

الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاح

رَحَابَةُ رِجَالِ رَمَلٍ

فِي رِحَابِ الْقُرْآنِ



الجزء الثالث

مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ إِلَى سُورَةِ الْكَهْفِ

دار الفقه
دمشق

رَحِلْتُمْ ذِكْرًا
فِي رَحَابِ الْقُرْآنِ



أَسَّسَهَا:
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ دَوْلَةٍ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
سنة ١٢٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

دار القلم
دمشق

الطبعة الأولى
١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

حقوق الطبع محفوظة

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدة

ص.ب: ٢١٤٦١ هاتف: ٢٨٩٥ فاكس: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

ISBN: 978-9933-29-328-4



9 789933 293284

رَحَلْتُمْ ذِكْرًا فِي رَحَابِ الْقُرْآنِ

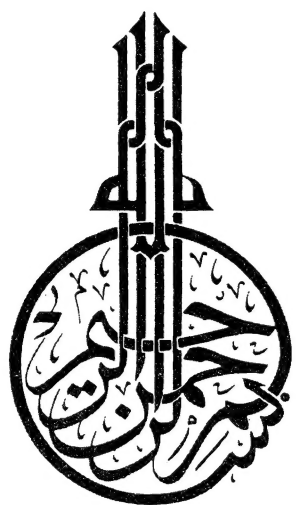
الجزء الثالث

مِنْ سُورَةِ يُوسُفَ إِلَى سُورَةِ الْكَهْفِ



الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاح

دار القلم
دمشق



سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ
أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ
قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ
﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۚ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ
ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ
مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ
شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ
الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِّيَعْلَمُوا
عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا
خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

التفسير

• ﴿الر﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿تِلْكَ آيَاتُ﴾ هذه الآيات في هذه السورة هي آيات ﴿الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ المحكم من الله تعالى.

• ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ أكان نزول القرآن عليك يا رسول الله مثار تعجب الناس ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ فاختصيناه بذلك دون غيره ﴿أَنْ أَنْذِرَ النَّاسَ﴾ خوْفهم عذاب الله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أجراً حسناً بما قدموا من الصالحات ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا﴾ أي: رسول الله ﷺ ﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿بَيِّنٌ وَاضِحٌ أَنَّهُ سَاحِرٌ لَا لِبَسَ فِي ذَلِكَ﴾.

• ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق بجلاله ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ يقضي ويقدر ما يريد في الكون ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ لا أحد يقدر أن يشفع في أحد إلا من بعد إذنه تعالى ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ أطيعوه ولا تشركوا به شيئاً ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿عِظْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى فَتَعْتَبِرُونَ بِذَلِكَ﴾

• ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ لا بد من حصوله وتمامه ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ أول مرة حين يخلق من عدم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يحييه بعد موته ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء شديد الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم بالله تعالى.



• ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ ذات ضوء ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ ذا نور ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾ جعل للقمر منازل ينزل فيها كل ليلة، وهي المسافة التي يقطعها كل يوم وليلة ﴿لِنَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالْحِسَابَ﴾ لتعرفوا عدد السنين والحساب بالأيام والأشهر ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ الشمس والقمر ونحوها من الآيات ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ لحكمة عظيمة ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ يبينها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٥ ﴿أنه الحق فيعبودونه على بصيرة.

• ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ تعاقبهما ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الآيات البينة الدالة على قدرته ﴿لَا يَتَّيْنُ﴾ لدلائل وعبر ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ ٦ ﴿يقومون لله تعالى بحقه من العبادة.



١ - الحقائق الكبرى ومورد الإيمان العذب في رحاب هذا القرآن الكريم ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ١ ﴿هذا وصف الله تعالى لكتابه، وبيانه عن ما فيه من آيات وحكم.

٢ - كل ما ورد في كتاب الله تعالى حقيق بالإجلال والاحتراف ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ١ ﴿لأن الله تعالى وصفه بالحكمة، وما كان كذلك كان حقيقاً بالإجلال.

٣ - إنذار الناس وتوعيتهم وبيان وظيفتهم في الحياة واجب الرسل والدعاة من بعدهم إلى يوم الدين ﴿أَكَا لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحِرُ مُبِينٌ ٢ ﴿لو فقهنا هذه المهمة لكان لها رايات!



٤ - تأهيل الدعاة والمصلحين وحملة الرايات ضرورة لقيام الدعوة بواجبها في الأوساط التي تعيش فيها ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ وإذا قرأت في كتاب الله تعالى أدركت أن هذا الوحي لم يأت إلا بعد اختيار وإعداد.

٥ - الاعتراض على أحكام الله تعالى وشريعته سفه في العقل وضعف في العلم ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ مُبِينٌ﴾ ليتهم عجبوا من هذا الكون الذي لا يديره سواه.

٦ - أبسط مواجهة الحقائق أن نلقي عليها تهماً عارية ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ مُبِينٌ﴾.

٧ - يستحق أهل الإيمان هذه البشائر التي تلقاهم في الطريق ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ مُبِينٌ﴾ ما أمتع العمل!

٨ - حاجة النفوس إلى التحفيز ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ لولا ذلك لما دعا الله تعالى نبيه ﷺ إلى ذلك.

٩ - من فقه الوالد في بيته، والإمام في مسجده، وصاحب الراية في مشروعه، والمعلم في مدرسته، والمربي في محضنه؛ عنايته بلغة التحفيز وبث الأمل في قلوب أصحابه من خلال هذا المعنى الكبير ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

١٠ - أسوأ شيء حين تكون الرحمة بالإنسان هي النعمة التي ينقمها على ربه تعالى ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ مُبِينٌ﴾



بعث إليهم منهم مَنْ يفهمهم، ويعرف حاجتهم، ويعينهم، ويكون رحيمًا بهم فكان ذاته الاعتراض.

١١ - هذا هو الله تعالى، وهذه بعض ملامح قدرته التي يجريها في الكون ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾.

١٢ - لا تنتظر مخلوقاً يدبر أمرك، أو ينهي معاملتك، أو يقضي دينك. توجه إلى ربك واسأله، وسيفتح لك العالم أبوابه كلها ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾.

١٣ - لا تتسول أحداً! فالله تعالى يدير الكون كله، ويدبر أمره، ويتصرف في شأن العالمين كما شاء؛ فلا تبتئس لمشكلتك وظرفك ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾.

١٤ - من حق الله تعالى عليك أن تتوجه إليه بقلبك ومشاعرك ووجدانك ووقتك وكل شيء من عمرك ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾.

١٥ - العبادة التي يدعوك الله تعالى إليها ليست هذه الصور التي تقيمها ببدنك، أو ترددها بلسانك، بل هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾.



١٦ - وظيفتك التي تدير شأنها كل صباح، ومعاملتك التي تتعامل بها مع زوجك وولدك، وصديقك وزميل العمل وتجاركتك، كلُّها عبادات تحتاج منك إلى فقهٍ في أدائها ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾.

١٧ - من أعظم الخذلان أن تكون النهاية مكشوفة، والعملُ إليها وفيها ضعيف ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

١٨ - إلى كل الذين طال عليهم الطريق فَشَكُّوا في وعد الله تعالى ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

١٩ - الجزء من جنس العمل ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

٢٠ - ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أصل في أثر الرؤية في بلوغ الإنسان لغاياته في الدارين.

٢١ - حين اختلت هذه الرؤية ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ اختل كل شيء في حياة الإنسان.

٢٢ - لله تعالى حِكْمٌ فيما يجريه في هذا الكون ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِئَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٥) إِنَّ فِي أُخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ولو لم يكن من ذلك إلا ضبط التاريخ والأيام والسنين لكان كافياً.



٢٣ - في مرات كثيرة لا تحتاج إلا أن تمعن في كلام الله تعالى، أو تخرج للكون ترى ملامح الإبداع فيه ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾.





إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا
 بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ
 النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوْتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ
 اللَّهُمَّ وَنَحْمُكَ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعَوْتَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ
 اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا
 يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ
 الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
 عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زَيْنَ
 لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ
 مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا
 لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ
 خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾



التفسير

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ يوم القيامة ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدلاً من الآخرة ﴿وَأَطَاعُوا أَيْهَا﴾ ركنوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ ﴿٧﴾ فلا ينتفعون بما فيها من عبر وعظات.
- ﴿أُولَٰئِكَ﴾ مَنْ كَانَ هَذَا وَصْفَهُ ﴿مَأْوَهُمُ النَّارُ﴾ مقرهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٨﴾ من الكفر والمعاصي.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله تعالى وبرسوله ﷺ ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ التي تقربهم إلى الله تعالى ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ يهديهم بسبب ما معهم من الإيمان ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ﴿٩﴾ يوم القيامة.
- ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا﴾ دعاؤهم ونداؤهم في الجنة ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ تقديس الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق به ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْهَا سَلَامٌ﴾ يحيي بعضهم بعضاً بالسلام ﴿وَأَخْرَجْنَا دَعْوَهُمْ﴾ خاتمة دعائهم ﴿إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠﴾ حمد الله تعالى على ما أعطاهم، وأنعم به عليهم.
- ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ لو يعجل الله تعالى للناس العقاب كما يتعجلون الخير ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ لحل بهم العذاب وماتوا وانتهوا ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يؤمنون بالآخرة ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ باطلهم ﴿يَعْمَهُوْنَ﴾ ﴿١١﴾ يترددون حائرين.
- ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ من فقر أو مرض ﴿دَعَانَا لِجَنَّةٍ﴾ لدعا الله تعالى وهو مضطجع ﴿أَوْ قَاعِدًا﴾ أو لدعاه وهو قاعد ﴿أَوْ قَائِمًا﴾ أو لدعاه وهو قائم ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾ أزلنا ما به من مرض وفقر ﴿مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ﴾ نسي كل ما أصابه ﴿كَذَٰلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين للحد ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢﴾ فيرون أنهم على الحق وهم على غير هدى.

• ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم الماضية ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بسبب ظلمهم ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحة ﴿وَمَا كَانُوا لِلْيُؤْمِنُوا﴾ حتى مع قيام الحجة عليهم ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٣) بمثل هذا نجزي كل مجرم.

• ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ استخلفناكم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد تلك الأمم الماضية ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤) هل تقومون بأمر الله تعالى أم تسيرون على ما مضى عليه من قبلكم.

التدبير

١ - إذا غابت الرؤية غاب من حياة الإنسان كل شيء ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (٧) أُولَئِكَ مَاوَهُمُ النَّارُ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨).

٢ - إذا أمنت في هذه الصفات ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (٧) أُولَئِكَ مَاوَهُمُ النَّارُ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨) أدركت كيف يصنع الإنسان نهايته البئسة بإرادته وهواه.

٣ - لا تتصور هذا المعنى إلا حين ترى بعض الخلق غارقاً في الدنيا إلى حد الثمالة ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (٧) أُولَئِكَ مَاوَهُمُ النَّارُ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨).

٤ - إذا رأيت ما يجري في واقعه من المعاملات الربوية، والتخلف عن الطاعة، والإقبال على ملاهي الحياة: عادت هذه الصورة إلى ذهنك من جديد ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (٧) أُولَئِكَ مَاوَهُمُ النَّارُ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨).



٥ - هذه نهايات التوفيق يصنعها أصحابها كما يشاؤون ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ① دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْيَتْهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②﴾.

٦ - الرؤية تصنع فارق الأحداث ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ① دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْيَتْهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②﴾ إنما بلغوا آمالهم لوضوح الرؤية لديهم، ولولا ذلك لما برحوا هذه الدنيا في شيء.

٧ - كم نحن بحاجة إلى قراءة هذا المعنى قراءة وجدانية شعورية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ① دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْيَتْهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②﴾ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ ﴿ تحتاج ذهباً لتغمس فيه قلمك وتعيد كتابتها من جديد!

٨ - ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ دعوة لترى ما يصنع الإيمان في واقع أصحابه في الحياة.

٩ - على قدر إقبالك على ربك تصنع طريقك الطويل وآمالك الكبيرة ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ فقصه حياتك وقف على قصة إيمانك.

١٠ - إذا شعرت بقلق يداهم قلبك، أو فراغ يسيطر على روحك، أو إجهاد من أثر مشروعك فاقراً هذا الحادي على مشاعرك مرات ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ① دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْيَتْهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②﴾.



١١ - ما أرحم الله تعالى بعباده! ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١١﴾.

١٢ - ماذا لو عاجل الله تعالى عباده بما يدعون؟! ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١١﴾.

١٣ - إذا أردت أن تعرف ضعف هذا الإنسان؛ فتأمل له لحظة مرض أو عارض من ألم ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ ۚ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢﴾.

١٤ - تلزمه الأمراض والمحن والبلايا فيعود من أكثر عباد الله تعالى في الأرض تضرعاً وإنابة، وتعود العافية إليه، فيعود من أقسى وأعتى عباد الله تعالى في الحياة ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ ۚ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢﴾.

١٥ - صورة متكررة لا تكاد تخطئها عين ناظر ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ ۚ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢﴾.

١٦ - الإعجاب بالعافية ومواطن القوة لدى الإنسان من الزينة التي ينفخ فيها الشيطان عند ورود حقوق الله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ ۚ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢﴾.

١٧ - ما أفلهم وأضعفهم عند ورود عوارض الحياة! وما أكثرهم وأقواهم وأشد



جبروتهم في أيام العافية ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ۞

١٨ - أكثر الطرق وضوحاً وعبرة طريق الظالمين ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ۞

١٩ - كل الأمم التي هلكت فتحوها على أنفسهم أبواب الظلم، فلقوا نائبات الدهر في عرض الطريق ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ۞

٢٠ - كم من قارئ لهذا المعنى ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ۞ وعاكف على بعض تطبيقاته في حياته!

٢١ - مشكلة كثيرين أنهم يرون أعظم أسباب هلاك الأمم ثم يتقصونه خلقاً لهم في الحياة ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ۞

٢٢ - ما لم يتحوّل القرآن إلى منهج نستقرئ منه أحوال السابقين، ونوظفها في صالح واقعنا وإلا كان بيننا وبين الصلاح مفاوز بعيدة ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ۞

٢٣ - درس التاريخ أكثر الدروس أثراً في حياتنا إذا فقهناه ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ۞

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَاءَنَا أَنْتِ بِشُرْعَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي
أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ
اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ
لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا
عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ
الْكَاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا
الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾



التفسير

• ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ المنكرون للبعث ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ غير هذا الذي جئنا به وفيه ذم آللهتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ اجعل مكان كل آية فيها سبب لآلهتنا مدحاً أو آية وعيد رحمة ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي﴾ فلا سبيل لي إلى ذلك ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا مَا يُوْحِي إِلَيَّ﴾ فإنما عليّ البلاغ فحسب ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ خالفت أمره ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ١٥ ﴿شديد.

• ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ لو شاء الله تعالى ألا أتلوه عليكم ما تلوته ﴿وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ﴾ أعلمكم به وبما فيه ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ﴾ زماناً طويلاً قبل أن يوحي إليّ ما حدثتكم منه بشيء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ١٦ ﴿مراد الله تعالى من خلقه.

• ﴿فَمَن ظَلَمَ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فلا أحد أشد ظلاماً ممّن قال عليه زوراً وبهتاناً ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ فلم يؤمن بها ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ١٧ ﴿لا يصلون إلى شيء من مرادهم وبغيهم.

• ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ فلا تملك لهم هذه الآلهة نفعاً ولا ضرراً ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ إنما نعبدهم ليشفعوا لنا عند الله تعالى يوم القيامة ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ﴾ أتخبرون الله تعالى ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ بما لم يصل إليه علمه أن هناك شفعاء يشفعون لديه يوم القيامة؟ ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزهه ﴿وَتَعَالَىٰ وَتَعَازَمَ﴾ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٨ ﴿عن شركهم لله تعالى.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ متفقين على الدين ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ فصار بعضهم كافراً وبعضهم مؤمناً ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير كل أمة إلى أجلها ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١١) ﴿لَحَكَمَ فِيهِمْ حَكَمًا عَاجِلًا﴾.

﴿وَيَقُولُوا﴾ المشركون ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ تصدق خبره ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ أي أن نزول الآيات بيد الله تعالى لا سبيل إلى علمها ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ ما عند الله تعالى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنَظِّرِينَ﴾ (٢٠) لذلك الأمر.

التدبر

١ - الجاهلية طويلة الأمد، لا يمكن أن يتعافى الإنسان منها في لحظة ﴿وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتِ بِشَرِّهِمْ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (١٥) ﴿وَمَا طَلَبُ كِتَابٍ غَيْرِ الْقُرْآنِ أَوْ تَبْدِيلِهِ إِلَّا نَتِيجَةُ لَتَلِكِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي عَاشَتْ زَمَنًا طَوِيلًا فِي الْأَرْضِ﴾.

٢ - آيات بينات محكمات وبلسان عربي مبين، ويأبون إلا منهجاً يصفق بإعجاب للجاهلية الأولى ﴿وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتِ بِشَرِّهِمْ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (١٥) ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

٣ - العقول التي طال استعبادها بأفكار الجاهلية لا تقبل الحرية دفعة واحدة ﴿وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتِ بِشَرِّهِمْ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ (١٥) ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.



غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ جاء القرآن ليحرّره من مفاهيم الاستعباد فأبوا إلا كبر تلك الأيام.

٤ - تحرّر عبيد الأشخاص في كثير من الأحداث، ورَفَضَ عبيد الأفكار الحرية التي قُدِّمَتْ لهم على طبقٍ من ذهب ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتَ بِشَرٍّ مِنْ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾.

٥ - فساد التصورات أصلٌ في فساد الحياة كلها ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتَ بِشَرٍّ مِنْ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ يعرض عليهم الوحي وهم يقولون: غيره أو بدله!

٦ - المُحَاجَّةُ العقلية تصلح في الحوار مع الطبقات التي لا تؤمن بالوحي ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ لو كنتم تعقلون لعرفتم أن هذا القرآن كلام الله تعالى؛ فقد بقيت معكم زمناً طويلاً لم أعرض عليكم منه شيئاً إلا حين جاء من عند الله تعالى.

٧ - الاعتداد بالعقول في مقابل الوحي مشكلة أزلية ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾.

٨ - استحسان شيء لم تأت به الشريعة تعدّ على حقوق الله تعالى وجرأة على مقام الله تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ

وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ، وَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ❦

٩ - هذا الخلاف العريض له يوم تُبَيَّن فيه الحقائق ❦ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ❦ لولا أن لهم يوماً يجري فيه حسابهم لأجرى الله تعالى عليهم تبعات هذا الخلاف في حينه!

١٠ - كم من مدَّعٍ لقول وصاحب مذهب وصانع حكاية لا يجد في تلك المواقف دليلاً يصلح للاعتذار ❦ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ❦ إذا كان هؤلاء لخلافهم استحقوا الوعيد فكيف بمن تقول على الله تعالى وادعى ما ليس له به برهان!

١١ - الإعراض عن الله تعالى يصنع هذه السفاهات ❦ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ❦ ولا تنتظر من المعرضين إلا مثل هذه الطوام!

١٢ - الجرأة على الله تعالى فرع عن الجهل به ❦ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ❦ لو عرفوا الله تعالى حقاً ما تجرؤوا عليه بهذه الصور.

١٣ - ثمة يوم يحتاج الناس فيه للاعتذار عن كل ما صنعوه ❦ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ❦

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي
 آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ
 ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ
 وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
 وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا
 اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ
 الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجَبْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
 الْحَقِّ بِآيَاتِهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾
 إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
 نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
 زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَلَّتْ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا
 أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ
 بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ
 يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

التفسير

• ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ من صحة وعافية وخير ﴿مَنْ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْتَهْمٍ﴾ من مرض أو فقر أو شر ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ إذا هم يسعون بالباطل، ويتعاونون على المنكر ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ أعجل عقوبة ﴿إِنْ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ (٢١) فلا يخفى على الله تعالى من مكرهم شيء.

• ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بما يسر لكم من الأسباب المهيئة لذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ﴾ في السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ جرت السفن بمن فيها من الركاب ﴿يَرْبِجُ طَيْبَةً﴾ هادئة تسوق سفنهم إلى حيث يريدون دون إزعاج ﴿وَفَرِحُوا بِهَا﴾ بهذه الريح ﴿جَاءَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ﴾ موج البحر ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أيقنوا أنهم هالكين لا محالة ﴿دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أقبلوا متضرعين إلى الله تعالى بالدعاء ﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ﴾ مما نحن فيه من الشدة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢٢) الطائعين لك.

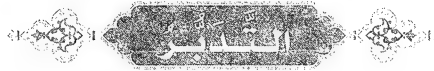
• ﴿فَلَمَّا أَنْجَيْنَاهُمْ﴾ مما هم فيه من الشدة ﴿إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ يسعون فيها بالفساد ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ عاقبة مكرهم وباطلكم عليكم ﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ إنما تتمتعون أيام الدنيا فقط ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٣) فنخبركم بكل أعمالكم.

• ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كماء الغيث النازل من السماء ﴿فَلَاخَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ نبت من أثر الماء نبات في الأرض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ نبات يأكله الناس وتأكله الأنعام ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ



أَلْأَرْضُ زُخْرُفُهَا ﴿٢٠﴾ بِهِجْتَهَا وَنُصَارَتَهَا ﴿٢١﴾ وَأَزْيَنْتَ ﴿٢٢﴾ وَتَزَيَّنْتَ وَتَزَخَّرْتَ فِي
 مَنَظَرِهَا ﴿٢٣﴾ وَظَرَى أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِ رُوتَ عَلَيْهَا ﴿٢٤﴾ عَلَى حَصَادِهَا وَالْإِنْتِفَاعِ
 بِهَا ﴿٢٥﴾ أَتَنْهَا أَمْرُنَا ﴿٢٦﴾ عَذَابِنَا ﴿٢٧﴾ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴿٢٨﴾ فِي اللَّيْلِ أَوْ النَّهَارِ ﴿٢٩﴾ فَجَعَلْنَاهَا
 حَصِيدًا ﴿٣٠﴾ مُحْصُودَةً مَّقْطُوعَةً ﴿٣١﴾ كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ ﴿٣٢﴾ كَأَنهَا لَمْ تَكُن قَائِمَةً
 بِالْأَمْسِ ﴿٣٣﴾ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ ﴿٣٤﴾ نَبَيِّنُهَا ﴿٣٥﴾ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴿٣٦﴾ فِي أَمْرِ اللَّهِ
 تَعَالَى وَقَدْرِهِ.

• ﴿٣٧﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴿٣٨﴾ إِلَى الْجَنَّةِ ﴿٣٩﴾ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٠﴾
 إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ، وَهُوَ هَذَا الدِّينَ.



١ - مَا أَشَدَّ نَكَرَانَ الْإِنْسَانِ لِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿٤١﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ
 مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِيْ ءَايَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا
 تَمْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ يَعَافِيهِمْ وَيَسْبِلُ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ، ثُمَّ إِذَا هُمْ يَمْكُرُونَ وَيَتَمَرَّدُونَ.

٢ - مِنْ أَعْظَمِ الْأَدْلَةِ عَلَى غَفْلَةِ الْإِنْسَانِ فَقْدَانُ الشُّعُورِ بِالنِّعْمَةِ ﴿٤٣﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ
 رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِيْ ءَايَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا
 يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٤٤﴾ كَمْ هُمَ الَّذِينَ يَرْفُلُونَ فِي نِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى! كَمْ هُمَ الَّذِينَ
 صَحُّوا بَعْدَ الْمَرَضِ، وَأَقَامُوا بَعْدَ السَّفَرِ، وَأَمِنُوا بَعْدَ الْخَوْفِ وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ لَمْ
 يَدْرِكُوا مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ!

٣ - كُلُّ حَوَادِثِ الطُّغْيَانِ وَالْإِعْرَاضِ الَّتِي تَكْتُبُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي وَاقِعِهِ إِنَّمَا يُسَطِّرُ
 بِهَا فِي كِتَابٍ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴿٤٥﴾ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا
 تَمْكُرُونَ ﴿٤٦﴾.

٤ - ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَبَقَ لَكُمْ مِنْهُ مَوْجٌ مِّنْ تَحْتِهَا رِيحٌ فَاصْبَحُوا هَاغَاءً كَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٢﴾
 ﴿لَمَّا أَتَيْنَاهُمْ إِذَا هُم بِمَوْجٍ مِّنْ تَحْتِهَا رِيحٌ فَاصْبَحُوا هَاغَاءً كَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٣﴾
 ﴿لَمَّا أَتَيْنَاهُمْ إِذَا هُم بِمَوْجٍ مِّنْ تَحْتِهَا رِيحٌ فَاصْبَحُوا هَاغَاءً كَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٤﴾
 صورة كاشفة لحال الإنسان مع ربه في مرات كثيرة.

٥ - حين تضيق بالإنسان حيل الحياة ترى رجاء يملأ الكون خشية، وحين يجد سعة ونعمة ترى بغياً يكاد يملأ الكون فجوراً وطغياناً ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَبَقَ لَكُمْ مِنْهُ مَوْجٌ مِّنْ تَحْتِهَا رِيحٌ فَاصْبَحُوا هَاغَاءً كَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٢﴾
 ﴿لَمَّا أَتَيْنَاهُمْ إِذَا هُم بِمَوْجٍ مِّنْ تَحْتِهَا رِيحٌ فَاصْبَحُوا هَاغَاءً كَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٣﴾
 ﴿لَمَّا أَتَيْنَاهُمْ إِذَا هُم بِمَوْجٍ مِّنْ تَحْتِهَا رِيحٌ فَاصْبَحُوا هَاغَاءً كَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٤﴾
 إِيَّاكُمْ مَّرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾

٦ - لا تغرنك الدنيا! هذه هي كما صوّرها الله تعالى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطَرَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِمْ أَتَيْنَاهُمْ أَمْراً لَّيلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾

٧ - إلى المستمتعين بالحياة المشغولين بها عن تلك الغايات الكبرى التي خلَقوا من أجلها. دونكم وصفها من العليم الخبير ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطَرَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِمْ أَتَيْنَاهُمْ أَمْراً لَّيلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾



٨ - رأيتُ هذا المشهد في صورة تاجر وهب للحياة كل شيء من عمره فرحل، وهو لم يرتو منها بعد ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آتْنَهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وآخر أعطاها كل شيء، فخرج منها لا يملك شيئاً، وثالث يركب سيارته من ربا، ويسكن من حرام، ويسافر ويلهو من أموال الضعفاء ثم يدعها للجزاء، ولم يبق له منها شيء.

٩ - مشكلة الربيع أنه يغرق في اللحظة، ويفوت عليك حساب الغايات الكبرى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهَا آتْنَهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

١٠ - يا أيها القراء لكتاب الله تعالى! إنما هو دعوة لرؤية دار السلام ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ كل هذه الآيات التي تقرأونها محاولة لإقناعكم بتلك الدار التي تنتظركم.

١١ - الهداية توفيق ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ فإذا من الله تعالى بها عليك فتلك من الغنائم التي تحتاج إلى شكر.



﴿٢٦﴾ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا
 ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا
 السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن
 عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ
 نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ
 شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِبَانًا تَعْبُدُونَ ﴿٢٩﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَفْلَةٍ ﴿٣٠﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ
 نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا
 كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن
 يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
 الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا
 تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا
 الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصْرِفُونَ ﴿٣٣﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
 الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٤﴾



التفسير

• ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ فيما بينهم وبين الله تعالى، وما بينهم وبين خلقه ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ وهي النظر إلى وجه الله تعالى يوم القيامة ﴿وَلَا يَرَهُقُ وَجُوهُهُمْ﴾ لا يغشاها يوم القيامة ﴿قَتَرٌ﴾ غبار ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ هوان وصغار ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أهلها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ مقيمون.

• ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ عملوها في الدنيا ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَبْسِلُهَا﴾ مقابل كل سيئة من العمل سيئة من الوزر ﴿وَتَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ خزي وهوان ﴿مَا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِّنْ عَاصِرٍ﴾ لا يعصمهم أحد من دون الله تعالى ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ ألبست ﴿وُجُوهُهُمْ قُطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ من شدة ما يعلوها من الذل والفضيحة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أهلها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ مقيمون.

• ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ نجمعهم في يوم القيامة ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ الزموا مكانكم، لا تتحركوا منه ﴿أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ﴾ أنتم ومن اتخذتموهم آلهة من دون الله تعالى ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ فرّقنا بينهم ﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ﴾ آلهتهم ﴿مَا كُنْتُمْ إِنَّا نَعْبُدُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ لم تعبدونا من دون الله تعالى.

• ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ فالله تعالى يتولى الفصل بيننا وبينكم ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ لم نكن نعرف أنكم تعبدوننا من دون الله تعالى، ولا طلبنا ذلك منكم.

• ﴿هُنَالِكَ﴾ يوم القيامة ﴿تَبْلُؤُا كُلُّ نَفْسٍ﴾ تعاین وتتفقّد ﴿مَا أَسْلَفَتْ﴾ ما عملت من عمل في الدنيا ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ كل أمة عادت إلى ربها يوم

القيامة ﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾ الصدق ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ ضاع واضمحل ﴿مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ من الآلهة والمعبودات التي كانوا يعبدون.

• ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ من يمدكم بأنواع الرزق النازلة من السماء أو النابتة من الأرض ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ ومن الذي خلق أسماعكم وأبصاركم وجعلها كذلك ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ فيحيي هذا ويميت هذا ﴿وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ يقدره ويقضيه ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ سيعترفون أنه الله تعالى، ويقولون له بذلك ﴿فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾ ﴿٣١﴾ إذا كان كذلك فلماذا لا تأتمرون بأمره وتقومون بحقه!

• ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ أي هذا الذي يملك كل ذلك هو ربكم الصدق ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ إذا ثبت هذا فليس بعد الله تعالى من معبود إلا الضلال والباطل ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ كيف تُصرفون عن عبادة الله تعالى؟! ﴿كَذَلِكَ﴾ إنما كان ذلك منهم ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ ثبتت ووجبت ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ خرجوا عن طاعة الله تعالى ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ لا يتحقق منهم الإيمان بالله تعالى.

التدبر

١ - الجزاء من جنس العمل ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَيَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٧﴾



٢ - أثنى خطواتك على الإطلاق تلك الخطوات التي تقبل بها على الحق ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٦) ومن فقهك أن تستكثر من هذه الخطوات، وتقبل عليها جاداً بكل ما تملك.

٣ - إذا أعطى الله تعالى أدهش ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٦) إذا كانت الشجرة الواحدة في الجنة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مئة سنة ما يقطعها^(١)؛ فكيف برؤية الله تعالى في ذلك اليوم!

٤ - إذا أمضت الطريق، وازدلفت على بابك العقبات، وكثرت همومك، فارتق لتلك الآمال الموعودة هناك ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٦).

٥ - تخيل مكافأتك بإمعان، وارصد للحظات الشوق فيها ما يعينك على بلوغ أمانيك ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٦).

٦ - نظرة واحدة لوجه ربك تكفي دواءً لأيامك البائسة، وحسرات طريقك، وجهاد العمر الطويل ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٦).

٧ - أيها المعذبون المطرودون من ساحات أوطانكم، والمقتولون في ساحات الجهاد! لو تأملتم هذه اللحظات لأشرق لكم الحياة ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٦).

(١) حديث رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مئة سنة ما يقطعها».



٨ - أيتها الأم التي تعتني بتربية أبنائها، والفتاة التي تحافظ على قيمها، والزوجة التي تبني قيم بيتها، والمعلمة التي تحتهد في بناء طالباتها! قريباً سترون وعد الله تعالى الذي تنتظرون ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٦).

٩ - أحد مشاهد الحسرات التي تنتظر المفرطين في ذلك اليوم ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٧).

١٠ - الأنفس المشؤومة لا حظ لها في الفلاح! ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٧) مع أن الحسنه بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها إلا أنهم أصرّوا على هذه النهايات.

١١ - الاجتماع رغم أثره الإيجابي على كثيرين إلا أنه تحوّل في حياة البعض إلى صناعة مستقبل الضياع ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ ﴿٣٨﴾ فَكُفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ (٣٩).

١٢ - كل اجتماع لا علاقة له بالآخرة فهو وبالٌ على صاحبه يوم الحاجات ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ ﴿٣٨﴾ فَكُفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ (٣٩).

١٣ - ثمة فرص كثيرة جداً للاعتذار قبل الفوات يقتلها التأخير، ويبدّد مساحاتها التسويف، حتى توقع صاحبها في الهلاك ﴿وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ﴾ كان يمكنهم ألا يسقطوا في وحل الخصام من أول مرة.



١٤ - من فقهك وكمال وعيك أن كل عمل يحتاج منك في ذلك اليوم إلى اعتذار فدعه ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ^٤ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ^(٣٠)﴾.

١٥ - حين تتحول المعرفة إلى صورة وشكل لا قيمة لها في واقع إنسان ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ^٥ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُ^(٣١)﴾ يعرفون كل شيء، ولم تنفعهم تلك المعرفة في شيء.

١٦ - إذا لم تتحول المعرفة إلى تطبيق فلا مفروح بها في شيء ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ^٥ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُ^(٣١)﴾.

١٧ - كل معرفة لا تفتح لك باباً للحياة، ولا تمُدُّ في خطوك لتلك الدار فليست من شأنك ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ^٥ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُ^(٣١)﴾.

١٨ - ضلال الرؤية ضياعٌ للهوية والطريق ﴿فَذَلِكُمُّ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصَرِّفُونَ^(٣٢)﴾ إذا فقدت البوصلة لم يصل الإنسان إلى شيء.

١٩ - المعصية موجبة للخذلان ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ^(٣٣)﴾ إنما حق عليهم الضلال والضياع لوقوعهم في الفسق ومخالفتهم لأوامر الله تعالى.



قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَسْبَدُوا
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي
 إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ
 يُنَبِّعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
 وَمَا يَنْبِغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
 عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ
 فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ
 مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾
 بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾
 وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
 بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ
 أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ
 يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

• ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ الذين تعبدونهم من دون الله تعالى ﴿مَنْ يَبْدُؤُاَ الْخَلْقَ﴾
يخلق أول مرة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد الموت ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدُؤُاَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ فهو
تعالى القادر على ذلك ﴿فَأَنَّى تُؤْفِكُونَ﴾ (٣٤) كيف تُصرفون عن الحق
فتعبدون غير الله تعالى.

• ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ الذين تعبدونهم من دون الله تعالى ﴿مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾
يملك هدايتكم إلى الحق ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ لا أحد سواه ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي
إِلَى الْحَقِّ﴾ أي الله تعالى ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ يُطاع ويُعبد ﴿أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾ فلا
يهتدي إلى الحق ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ يهديه غيره ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٥)
كيف تجعلون لله تعالى شريكاً وهم لا يقدرّون على شيء.

• ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ أي الذين يدعون من دون الله تعالى لا يعبدون
هذه الآلهة إلا على سبيل الظن أنها تنفع أو تضر ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ
شَيْئًا﴾ فلا يقوم مقام الحقائق في شيء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦)
لا يغيب عنه من عملهم شيء.

• ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ لا يمكن أن يكون القرآن كلام
أحد من الخلق ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ إنما هو مُصَدِّق لما سبقه
من الكتب السماوية السابقة ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ تبين أحكام الله تعالى
من الحلال والحرام ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧) إنما
هو كلام الله تعالى أنزله على عبده ورسوله ﷺ.

• ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ المعاندون من أهل الكفر ﴿أَفْتَرَيْنَاهُ﴾ اختلقه محمد ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ إن كان كما تقولون فاتوا بسورة واحدة مثله ﴿وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ مِمَّنْ يعينكم على ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٨) أنه مفترى من رسول الله ﷺ.

• ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ﴾ كَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ قبل أن يفقهوه، ويعلموا ما فيه ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ وكذبوا به كذلك قبل أن يأتيتهم تأويل ما فيه من الأخبار بالغيوب، فسار تكذيبهم به من جهتين، الأولى: من جهة إعجاز نظمها، فكذبوا ولم يتأملوه بعد. والثانية: من جهة إخباره بالغيوب فكذبوه ولم ينتظروا حتى يروا حقيقة ما فيه ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فقد سبقهم إلى التكذيب آخرون ﴿فَانْظُرْ﴾ تأمل ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٩) كيف كان مصير الظالمين السابقين.

• ﴿وَمِنْهُمْ﴾ من الكافرين ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ بِالْقُرْآنِ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ بِالْقُرْآنِ ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (٤٠) في الأرض.

• ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ إِنْ كَذَّبَكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ ﴿فَقُلْ لِي عَمَلٍ﴾ الَّذِي أَسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ ﴿أَنْتُمْ بَرِئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ﴾ فلا ينالكم منه شيء ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٤١) فلا ينالني منه شيء.

• ﴿وَمِنْهُمْ﴾ من المشركين ﴿مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ وقت قراءتك للقرآن استماع تكذيب لا استماع انتفاع ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ أَي لا سبيل لك إلى إسماع الصم ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٢) وإذا كان لا يعقل مع عدم سماعه فلا وجه لانتفاعه.



التدبر

١ - كم نحن بحاجة إلى منح عقولنا حقها من التفكير ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتِ تُوَفِّكُونَ﴾ (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴿لو منحوا عقولهم شيئاً من التفكير لما صاروا إلى هذه النهايات. إن جزءاً كبيراً من حياتنا وقف على الأوهام والشبهات وأحوال الآخرين، وكم مرة أجر فيها الإنسان عقله لغيره فضاع!

٢ - العلم بالمدعو نوع من فقه الدعوة ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتِ تُوَفِّكُونَ﴾ (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴿فقد حاجَّهم القرآن بالعقل وبين لهم فساد تصوراتهم من خلاله.

٣ - الظنون مشكلة تطارد كثيرين في جملة من أحوالهم ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦).

٤ - ترى هذا الخلق في تعامل الإنسان مع زوجته، يأتي متأخراً في الليل بنية التجسس عليها، ويراقب جوالها، ويبحث عن الأرقام التي تواصلت معها، وأصل هذا مبني على ظن طارئ لم تقم به حجج وبراهين ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦).



٥ - وترى ذلك حتى في أمور دينه الكبار فيبني حكماً وفقهاً على الظنون ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦).

٦ - ورأيت ثالثاً تلاحقه الأمراض النفسية، والمواقف السيئة، والأحداث الكثيرة بسبب تلك الظنون التي ليس عليها من سلطان ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦).

٧ - ما أكثر ما خاضت الشريعة الظنون والأوهام، وما زالت تسيطر - مع ذلك - على كثيرين ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦).

٨ - مشكلات الوسواس، والخلافات، والطلاق فرغ عن الأوهام والظنون ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦).

٩ - من إعجاز هذا القرآن أنه تحدى بلغاء العرب منذ فجر الرسالة إلى يومنا هذا أن يأتوا بمثله ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧) وهذا أحد الأدلة التي يُستدلُّ بها على كمال الشريعة وصلاحتها لكل زمان ومكان.

١٠ - أراد بائع نصراني أن يجري اختباراً عن صحة القرآن والإنجيل فباع نسختين محرفتين، فعاد كل من اشتروا القرآن بحجة أن ما اشتروه محرف، ولم يعد أحد ممن اشترى الإنجيل؛ فأعلن إسلامه ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧).

١١ - ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتَّبِعُوا أَمْرًا قَدِيمًا وَأَدْعُوا مَنْ أَسْطَعَتْهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٨) رسالة تحدُّ لكل المناوئين لهذا الوحي منذ فجر الرسالة إلى يومنا هذا، وما زالت الدعوة متاحة للجميع.



١٢ - حين تبلغ وسعك مع المدعو ولا يستجيب؛ فدعه يخوض رحلة النهايات كما أراد ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (٤٠) وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وهذا يجري مع الأشخاص والجماعات وكل إنسان بحسبه.

١٣ - البراءة بعد البلاغ جزء من تحميل صاحبها تبعات قراره ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (٤٠) وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ فإذا بُلغَ بالحق، وأصرَّ على التكذيب؛ فذلك شأنه الخاص.

١٤ - فرق كبير بين بيان الحق والإقناع به والحرص على التزامه وبين الإكراه عليه ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (٤٠) وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ فالأول من شأن الرسل والدعاة والمصلحين، والآخر لا مساحة له في دين الله تعالى.

١٥ - العبرة بالقلوب، وليس للأجساد من ذلك شيء ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٢) يستمعون ولكن لا يعقلون! كم مرة بنينا على الصور والأشكال من أحكام، ولم يتحقق لنا منها شيء!

١٦ - يلزمك أن تحبّر موعظتك وتجتهد في إبلاغها قلوب المستمعين، وليس عليك بعد ذلك هدايتهم بها ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٢) لا يعقلون.

١٧ - إذا أدبرت القلوب لم يبق للجوارح أي شأن ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٢) ألا تراهم يستمعون بأذانهم ولكن لم يبلغ عقولهم منها شيء!

١٨ - لا تفرح بأعداد السامعين لموعظتك، أو الجالسين لحديثك، أو الملتفتين في حلقتك. كم من عددٍ لا قيمة له عند رايات العمل والتطبيق ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٢) ﴿اعتنِ بموعظتك، وركز على دوائر تأثيرها، ولا تنشغل بغيرها.

١٩ - فساد النية أصل في ضياع الأوقات والجهود والأعمال ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٢) ﴿قضوا وقتاً طويلاً في الجلوس بين يدي الواعظ ولكنها ذهبت سدى لفساد النيات.

٢٠ - من فقهك وكمال وعيك وأدبك أن تتحسس قلبك عند سماع كل موعظة؛ وتستدرك أمرك قبل الفوات ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٢) ﴿فإذا وجدت روحاً وفرحاً واستجابة فذاك؛ وإلا فمثلك أعلم بإدراك واقعك.



وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا
لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ
النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُفِقَنَّكَ
فَالْيَنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يَظْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾
قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّخَذْتُمْ عَذَابَهُ بَيْتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَالَفَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ
أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾



التفسير

• ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ ينظر إلى أحوالك نظراً مجرداً عن الاقتداء
﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ (٤٣) أي لا سبيل لك إلى
هداية عميان القلوب.

• ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ فلا ينقص من حسناتهم ولا يزيد في
سيئاتهم ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤٤) بمخالفة أوامر الله تعالى.

• ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يجمعهم يوم القيامة ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ كأن
مقامهم في الدنيا ساعة واحدة في يوم من أيام الدنيا ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ مدة
ضيقة لا تتسع إلا للتعارف بينهم ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ فضاع كل
أمل لهم في الآخرة ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (٤٥) إلى الطريق الحق.

• ﴿وَأَمَّا زَيْنَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ﴾ من العذاب ﴿أَوْ نُنَفِّثُكَ﴾ دون أن ترى ما يحل
بهم ﴿فَالْتَبْنَا مَرْجِعَهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ حفيظ ﴿عَلَىٰ مَا
يَفْعَلُونَ﴾ (٤٦) فيجازيهم به يوم القيامة.

• ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ يبلغها أمر الله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ فبين لهم
أمر الله تعالى فكذبوا به وعصوه ﴿فُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿بِالْقِسْطِ﴾
بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ﴾ (٤٧) لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد في سيئاتهم.
• ﴿وَيَقُولُونَ﴾ المشركون ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ يوم القيامة ﴿إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ﴾ (٤٨) !؟

• ﴿قُلْ﴾ لهم يا رسول الله: ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فلا أملك أن أنفع
نفسي ولا أضرها بشيء ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ إلا شيئاً من النفع أو الضر شاءه



- الله تعالى وأرادہ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وقت محدد ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ وقت موتهم ﴿فَلَا يَسْتَفْرِخُونَ سَاعَةً﴾ عن ذلك الأجل ﴿وَلَا يَسْتَفِدُّونَ﴾ ﴿٤٩﴾ عنه .
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٌ أَوْ نَهَارًا﴾ لو أتاكم عذاب الله تعالى في الليل أو في النهار ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ ما الذي جعلهم يستعجلونه وهو عذاب .
- ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ أبعدا وقع ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ حصل منكم الإيمان ﴿ءَاَلَكُنَّ﴾ تؤمنون به ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٥١﴾ تودون حصوله قبل ذلك مستنكرين مستبعدين .
- ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ على وجه الاستهزاء والسخرية: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ العذاب الباقي الدائم ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ بكسبكم للمعاصي ومخالفتكم لأوامر الله تعالى .
- ﴿وَيَسْتَنْشِئُونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ أي يوم القيامة ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ حاصل واقع لا محالة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ الله تعالى أن يعذبكم في ذلك اليوم .



١ - لا تسل لِمَ لا يتعظ الذين يحضرون مشاهد الجنائز وحوادث الموت ! لأنها إذا خربت القلوب لا يكاد ينفع فيها واعظ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ .

٢ - يحضرون ويشاهدون كل شيء ، ولا يستطيعون أن يتقدموا خطوة نحو مستقبلهم الكبير ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ .

٣ - أعطاهم الله تعالى البصر النافذ، وحرموا آثاره بسبب أعمالهم ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي أَلْعُمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾.

٤ - حين لا نحتفل بنعم الله تعالى ونوظفها التوظيف الأمثل لا يبقى لها قيمة في واقعنا مع الأيام ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي أَلْعُمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾.

٥ - كم من نعمة تراها في جسد إنسان لا قيمة لها في واقعه ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي أَلْعُمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ وما يُضْنَعُ ببصرٍ لا تُرى من خلاله الحقائق! أو بسمعٍ لا يدل على الخيرات! أو جسدٍ معافى يركض به في مساحات الباطل!

٦ - كل ما تراه حلّ بهؤلاء إنما هو من سعي أنفسهم، وجهد عقولهم وقلوبهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾.

٧ - إذا رأيته يعيش سعادة وألقاً وراحة وطمأنينة؛ فاعلم أن ذلك من كسبه وسعي عمله وجهده ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ وإذا رأيت نعيم الله تعالى عليه بصلاح ولده، ونماء ماله، وسعادة بيته، واجتماع شمله، ونجاحه في الحياة؛ فذلك جزء من نصبه في طريق الحق ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾.

٨ - وإذا بلغك شتاته، وضياح أمره، وكثرة ديونه، ونزاع بيته وواقعه، وإخفاق عمله، فذلك بعض إصراره على طريق الخذلان ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾.

٩ - ثمة موعد ينسى فيه الإنسان سنين الحياة الطويلة ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿٤٥﴾.



١٠ - غابت عنهم الرؤية والحلم الكبير؛ فعادوا في النهاية يتحسرون على فوات الأحلام ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (٤٥).

١١ - هذا هو جزاء الغافلين عن نهايات الدار الآخرة ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (٤٥).

١٢ - يمكنك أن تقلب النهاية التي تقرأها الآن وتجعلها أيام ربيع ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (٤٥).

١٣ - لا تحرص على مشاهد الخزي التي تنتظر العدو، سيأتي يومهم ولو طال ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نُوَفِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤٦).

١٤ - لكل مجرم في الأرض مشهد ختام سيلقاه ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نُوَفِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤٦).

١٥ - لو كانت نهاية كل عدو عاجلة لفقد مشهد الابتلاء عند كثيرين ثمرته ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نُوَفِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤٦).

١٦ - من الابتلاء أن ترى عدوك يعبث في الأرض ولم تطله يد الله تعالى بعد! ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نُوَفِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤٦).

١٧ - رأينا بأعيننا صنيع الله تعالى في الظالمين، وأكثر المشاهد المثيرة في المشهد لم تأت بعد ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نُوَفِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤٦).



١٨ - إذا رأيتم ظالماً يثير مساحات الفساد في الواقع ولم يتوقف بعد؛ فاقروا هذه التسلية الماتعة لنبي الله ﷺ ﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نُوَفِّئَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤٦).

١٩ - ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٤٧) حتى لا يأتي أحد يلوك الأعذار ويتحلل الحيل في مواقف الحساب!

٢٠ - كل هالك إنما صنع نهايته بنفسه ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٤٧).

٢١ - إذا أردت أن تعرف استحقاق الظالمين للحساب؛ فانظر للمسافة التي عاشها الرسول بينهم دون جدوى ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٤٧).

٢٢ - البلاغ يقطع أعذار المعتذرين، ويوقف زحف الحجاج الواهية في ذلك اليوم ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٤٧).

٢٣ - بعض الأسئلة تستحق أن يرمى بها في النفايات ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨).

٢٤ - من مشكلاتنا الأزلية الانشغال بالسؤال على حساب العمل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨).

٢٥ - لو استثمرت أوقات الأسئلة في العمل لتحولت حياتنا إلى أمل ونجاح ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨).

٢٦ - كم من أجل بلغ موعده وصاحبه سادر في الظلام ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.



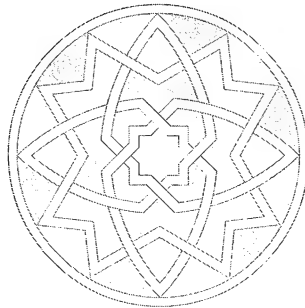
٢٧ - حتى الرسل - على مقامهم - لا يملكون جواباً شافياً على موعد سؤال الرحيل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨) ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٤٩).

٢٨ - الغفلة تصنع مثل هذا الواقع البئيس ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٥٠) ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ؕ أَلَكُنْ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٥١) يستعجلون عذاب الله تعالى، ولا يملكون من العمل شيئاً.

٢٩ - ﴿وَيَسْتَنْشِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٥٢) يالبلادة هؤلاء! يسألون عن شيء به سِرُّ الحياة!

٣٠ - كم هي الأسئلة التي أخذت من أوقاتنا كل شيء ولم تعطنا في النهاية شيئاً ﴿وَيَسْتَنْشِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٥٣).

٣١ - ليس البعث والجزاء هو الحق فحسب، بل حتى التمكن من جزائكم وعذابكم حق كذلك ﴿وَيَسْتَنْشِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.





وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ. وَأَسْرُوا
 النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَٰ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۖ وَهُمْ لَا
 يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَلَا إِنَّ وَعْدَ
 اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ
 وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ
 يُفَضِّلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ ۖ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ
 ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ
 حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ۖ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْرًا عَلَى اللَّهِ تَقَرُّوْنَ
 ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ
 ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ
 مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ وَمَا
 يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
 وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾



التفسير

- ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي لو كانت تملك كل ما في الأرض ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ لدفعته مقابل الفكاك من عذاب الله تعالى ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ أخفوها في نفوسهم ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ شاهدوه عياناً ﴿وَقَضَىٰ رَبُّهُمْ أَلْتِيسُطُ بِالْعَدْلِ﴾ وهم لا يظلمون ﴿٥٤﴾ لا يبخسون.
- ﴿الْأَيْنَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو مالها والمتصرف فيها ﴿الْأَيْنَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ لا شك فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ ما ينفعهم يوم القيامة.
- ﴿هُوَ﴾ أي الله تعالى ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ المتصرف بالإحياء والإماتة ﴿وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ يوم القيامة.
- ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ القرآن الكريم يعظكم ويذكركم أمر الله تعالى ﴿وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من أمراض الشهوات والشبهات ﴿وَهُدًى﴾ يهدي به أهل الإيمان إلى الحق ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ بما يدلهم عليه من الخيرات.
- ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ الذي تفضل به على عباده وهو هذا القرآن ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ من الإيمان بهذا الدين ﴿فِيدْرِكَ فَليَفْرَحُوا﴾ حقيقة الفرح ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ من متاع الدنيا ولذاتها.
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ﴾ من الحيوانات التي أباحها الله تعالى لكم ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ تقسمونه إلى حلال وحرام بقولكم ﴿قُلْ ءَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿٥٩﴾ سمح لكم بهذا التقسيم ﴿أَمْرٌ عَلَىٰ اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ تكذبون.



• ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي ماذا يظن أن يفعل الله تعالى بهم يوم القيامة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ في خلقهم ورزقهم وبيان الحق لهم ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ لا يقومون لله تعالى بحقه من الشكر مقابل هذه النعم.

• ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ في حال من الأحوال ﴿وَمَا تَنْتَلُو مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ﴾ وما تقرأ من كتاب الله تعالى ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ صغيراً أو كبيراً ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ حين تشرعون في عمله ﴿وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ ما يغيب عنه ﴿مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ وزن نملة صغيرة ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ حتى ما هو أصغر من الذرة ﴿وَلَا أَكْبَرَ﴾ من الذرة ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ واضح بَيِّن.

التدبير

١ - إذا أردت أن تعرف مرارة النهايات فتأمل هذه الصور من التأسفات ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴿٥٤﴾.

٢ - ليست مالا فتمسكه، ولا جاهاً فتبخل به، ولا جهداً فتضنَّ به، ولكنها النجاة التي تتمنى أن تفتدي من أجلها كل شيء ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴿٥٥﴾.

٣ - قد دُعيت وما زلت تُدعى لأقل من هذا، فإياك والفوات! ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴿٥٦﴾.



٤ - الحياة التي عاشوا لها يتمنون أن تكون فداءً للنجاة ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾.

٥ - كل جهد غير موصول بهذا المعنى ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾ فلا قيمة له.

٦ - كثير من الجهود لم تع هذه الحقائق بعد ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٧ - تتمنى في مرات أن تلفت انتباه كثير من اللاهين إلى هذا المعنى ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٨ - جزء كبير من العالم يجتهد وتغيب عنه معالم الطريق ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

٩ - ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ هنا نناخ مطايا الصالحين!

١٠ - كم مرة وعظك رجل صالح فأثار مشاعرك! وهذه موعظة الله تعالى لك ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

١١ - في كتاب الله تعالى شفاء لآلام النفوس، ودواء لجراحاتهم، وهدى لقلوبهم، ورحمة بهم ولهم ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

١٢ - ماذا لو أعطينا القرآن أوقاتنا وأحلامنا ومشاعرنا وكل شيء؟ ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

١٣ - له ورد يومي يقرؤه كل يوم، ويراجع محفوظه في اليوم نفسه، ولديه برنامج تدبر، ويستشفي به عند الأمراض والأسقام، فماذا بقي من النعيم لم يدركه صاحبه بعد؟! ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

١٤ - إن كان ثمة شيء يستحق الفرح فهو الفرح بالقرآن الكريم تلاوة وتدبراً وعملاً وتطبيقاً ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

١٥ - تخيل أن هذا القرآن يعدل دنياك بكل ما فيها ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ومن كمال وعيك وفقهك أن تهب له وقتك وقلبك ومشاعرك وكل شيء.

١٦ - الفتوى في الشريعة ليست كلاً مباحاً لكل إنسان ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ



تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾.

١٧ - إذا رأيته يسارع في الفتوى في شريعة الله تعالى فذكره بهذه الموعظة ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ ﴿٥٩﴾ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾ ﴿٦٠﴾.

١٨ - من الافتراء على الله تعالى أن تقول في دينه ما ليس لك به علم أو ليس عندك فيه من الله تعالى برهان واضح ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ ﴿٥٩﴾ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾ ﴿٦٠﴾.

١٩ - كثيرة هي نعم الله تعالى على عبده لو كانوا يعقلون ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾.

٢٠ - كم من نعم الله تعالى على عبده تستحق شكراً ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾.

٢١ - من فضله عليك أن شرح صدرك للإسلام، وأراك الكفر ضلالاً، وأعانك على الطاعة، وفتح لك موارد الخيرات، وألبسك حلل النعيم، وجمع شمل بيتك، وأصلح لك أهللك، وأعانك على موارد التوفيق، وجنبك طرق الحرمان ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾.

٢٢ - ومن فضله عليك أن وهب لك ولداً صالحاً، وأقنعت بمشروع وقضية عمر، وأعانك على بلوغ أحلامك في كل شيء ﴿ إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون ﴾.

٢٣ - ومن فضله عليك أن أبقى والديك على قيد الحياة لتستمتع ببرهما ما بقي من العمر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

٢٤ - ومن فضل الله عليك أن فتح قلبك للصدقة والبر والمعروف، وجعلك عوناً لكل محتاج ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

٢٥ - ومن فضل الله تعالى عليك أن يسر لك رزقاً، وأمدك بالعافية، وفتح لك آفاق التوفيق، ولم يحرمك من شيء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

٢٦ - ومن فضل الله عليك أن متعك بالعافية، وجنبك الأمراض، ورزقك التوفيق، ولم يتخل عنك في موقف كنت بحاجة إلى عونه وسداده ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

٢٧ - ماذا لو قرأنا هذا المعنى بإمعان؟! ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦١).

٢٨ - أياً كان العمل الذي تخوض فيه هذه اللحظة؛ فالله تعالى يراك، ويرقب جهدك، ويرى عملك، لا يغيب عليه منه شيء ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦١).

٢٩ - حتى عرقك الذي تبذله في دينه، وجهدك الذي تصرفه في منهجه، وساعاتك التي تقضيها في رسالته هي كذلك تُرى في كل تفاصيلها



وأحداثها ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٦١).

٣٠ - ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٦١) حتى لو كنت مسافراً، ونزلت ديار غربة دون رفيق؛ فالله تعالى يرقب سيرك، ويعرف تفاصيل رحلتك، ويرى أين ذهبت وماذا صنعت!

٣١ - في وظيفتك تجري عليك القضية نفسها فيرى الله تعالى دواملك، ويعرف انضباطك، ويرى تفاصيل عملك وخروجك ودخولك، ويرصد كل ذلك، لا يفوت عليه منه شيء ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٦١) وفي تجارتك، وسوقك، وتعاملك في مالك تجري عليك المراقبة نفسها ويكتب عنك ولك كل شيء.

٣٢ - ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٦١) حتى جوالك، وشاشتك الفضائية، وغرفتك التي تسكنها، ودفتر الذكريات الذي تكتبه محفوظ لا يغيب منه شيء.

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
 ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ
 ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ
 الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ
 مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ
 يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا
 الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
 اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا
 سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا
 لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
 لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ
 نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

التفسير

- ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ وهم كل مؤمن تقى ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلون ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ على ما يتركون.
- ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله تعالى وبرسوله ﷺ ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ يجعلون بينهم وبين عذاب الله وقاية.
- ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي المحبة في قلوب الخلق، والثناء الحسن على ألسنتهم ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ وهي كل رحمة تلقاهم من لحظة الموت إلى لقاء الله تعالى يوم القيامة ﴿لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لا تغيير لأقواله ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٦٤﴾ ما يلقيه المؤمن من خير في دنياه وآخرته.
- ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ قول المعارضين ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ القهر والغلبة لله تعالى ﴿هُوَ أَسْمِيعٌ﴾ فلا يفوته من حديث الناس شيء ﴿أَعْلِيمٌ﴾ ﴿٦٥﴾ بكل شيء.
- ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ له الملك والتدبير في كل المخلوقات ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ كل ما يتخذه ويتبعه المشركون من دون الله تعالى ليسوا شركاء في الحقيقة ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ إن هو إلا ظنهم، وليس لله تعالى شريك ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ يكذبون.
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيْلًا لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ تخلصون وتستقرون فيه للراحة ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ مضيئاً لشغلكم ومعاشكم ﴿إِنَّ فِي



ذَلِكَ لَا يَنْتِ ﴿ دَلَائِلُ ﴾ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٧﴾ كلام الله تعالى سمع تدبر وقبول.

• ﴿ قَالُوا ﴾ أي المشركون: ﴿ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ جعل له ولداً من الخلق ﴿ سُبْحَنَهُ ﴾ تنزهه عن ذلك ﴿ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ عن كل شيء ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ملكاً وتدييراً ﴿ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا ﴾ حجة ودليل على ذلك ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ من نسب الولد إليه.

• ﴿ قُلْ إِنَّا الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ لا يبلغون مقصودهم.

• ﴿ مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا ﴾ إنما نهايتهم الدنيا يتمتعون فيها ﴿ ثُمَّ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ ﴾ يوم القيامة ﴿ ثُمَّ نَذِيرُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ بسبب كفرهم.

التدبير

١ - الذين يجلبون شعائر الله تعالى، ويعظمون أمره، يستحقون هذه المعاني التي وعدهم الله تعالى بها ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٢٢﴾ من كان مؤمناً تقيّاً كان لله تعالى وليّاً.

٢ - الجزاء من جنس العمل ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ ذَلِكُ ﴾ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٣﴾.



٣ - شهادة الآخرين لك، وثناء المؤمنين عليك، أول عتبات طريق ذلك النعيم المنتظر ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾.

٤ - من حق قلبك ألا يلتفت لنعيق المعارضين ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٥).

٥ - تفوّق على مشاهد الباطل، ولا ترهق نفسك بمشاعر اليأس والإحباط ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٥).

٦ - من مقتضيات هذه العزة ألا تجهد قلبك ومشاعرك لأذى الآخرين ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٥).

٧ - كل ما في هذا الكون لربك، ليس للخلق منه شيء ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٦٦).

٨ - خلل البدايات مؤذن بسوء النهايات ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٦٦).

٩ - الظنون والأوهام لا تبني لأصحابها مجداً، ولا تهديهم في الأصل إلى الطريق ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٦٦).

١٠- المؤلم أن تتحوّل آيات الله تعالى إلى مساحات من العبث والفوضى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٦٧).

١١- كم من مستعين بهما على الباطل! وكم من خالقة في مساحاتهما من التحديات ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٦٧).

١٢- من حديثه تعرف عقله أو ضلاله ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۚ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٨).

١٣- أي فكرة عارية عن البراهين لا تستحق أن تلقي إليها بالاً، بل مكانها الإهمال دون اعتبار ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۚ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٨).

١٤- ﴿إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا ۚ﴾ تصلح سوطاً يضرب به على أفواه المتحدثين بلا براهين.

١٥- إذا رأيته يتحدث في أمر؛ فاطلب منه دليلاً على صدق دعواه ﴿إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا ۚ﴾.

١٦- هذه عواقب المفترين على الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّا الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (٦٩) مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (٧٠).



١٧- رأيتهم يتصدرون الفتوى، ويقولون بلا دليل، ويخاصمون في الشريعة بلا برهان، وفي النهاية إلى هاوية الخذلان ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (٦٩) مَتَّعُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾.

١٨- عاش زعيماً للضلالة، يدافع عنها وينافح، ثم اكتشف في النهاية أنه آيلٌ إلى الضلال ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (٦٩) مَتَّعُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾.



﴿٧٠﴾ وَأَنْتَلِ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ
 مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا
 أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ
 وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ إِنْ أَجَرِيَ
 إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ
 فَجَبَّتْهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَهُمْ خَلْفًا وَأَغْرَقْنَا
 الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُذْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ
 بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا
 لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ
 ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ
 وَمَلَائِكَهُ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا
 جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ
 مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ
 السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَزَمًا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا
 وَتَكُونُ لَكُمْ أَلِكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾



التفسير

• ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ خبر رسول الله نوح ﷺ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ إن شقَّ عليكم مقامي بين أظهركم وتذكيري لكم في كل مرة ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فَوَضَعْتُ أَمْرِي إِلَيْهِ ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ اجتمعوا كلكم ﴿وَشُرَّكَاءَكُمْ﴾ ادعوهم لاتخاذ قراركم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ مشتبهاً خفياً، بل ليكن ظاهراً معلناً ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ﴾ بالعقوبة التي تودون ﴿وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ لا تمهلوني ساعة.

• ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن ما قلت لكم ﴿فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ من مال على دعوتكم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ فثوابي وجزائي على رب العالمين ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المنقادين المستسلمين لله تعالى المتبعين لأمره.

• ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في كل ما قال ودعاهم إليه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ﴾ في السفينة التي حملته وقت الغرق ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ نوح ومن آمن معه ﴿خَلْقَافَ﴾ في الأرض بعد هلاك المكذبين ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ في الماء ﴿فَأَنْظُرْ﴾ تأمل ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُذْذِرِينَ﴾ ما أسوأ عاقبتهم ومآلهم الذي صاروا إليه!

• ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد نوح ﷺ ﴿رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ أي كل أمة لها رسول ﴿فَجَاءَهُمْ﴾ أي الرسل ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج والدلائل البينة الواضحة ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ هؤلاء الأقوام ﴿بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ استمروا على كفرهم قبل إرسال الرسل ﴿كَذَلِكَ نُنْجِي﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين لحدود الله تعالى

- ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ من بعد الرسل المذكورين ﴿ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴿ خَاصَّتِهِ وَأَشْرَافَ مَمْلَكَتِهِ ﴾ بِأَيِّنَّا فَاسْتَكْبَرُوا ﴿ فَأَعْرَضُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ ﴿٧٥﴾ متجاوزين لحدود الله تعالى.
- ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مِّمَّنْ ﴾ ﴿٧٦﴾ سحر بين واضح.
- ﴿ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا ﴾ أَتصفونه بذلك ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ لا يصلون إلى شيء.
- ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا ﴾ لتصرفنا ﴿ عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ من الأفعال ﴿ وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ ﴾ تكونوا رؤساء وكباراً علينا ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٧٨﴾ بمصدقين ولا متبعين.

التدبر

١ - التوكل على الله تعالى عقيدة صلبة في قلوب المتقين ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾ ﴿٧١﴾ يتحداهم للوقوف أمامه بكل ما يملكون، وهو يعلم أنهم لا يفعلون شيئاً إلا بقضاء الله تعالى وقدره.

٢ - في مرات كثيرة لا تقوى العقائد في قلوب الآخرين إلا من خلال القدوات ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴾ ﴿٧١﴾.



٣ - العقيدة أصل في أي بناء، وهذا المعنى الذي يصرح به نبي الله تعالى ورسوله نوح عليه السلام هو نوع من التربية على مواجهة الطغيان من خلال العقائد ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمُوا إِن كَانَ كِبَرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾.

٤ - حسب الأنبياء والدعاة والمصلحين أنهم أجراء عند الله تعالى فحسب ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

٥ - الرسالة لا تقوم على استجداء الآخرين قوتاً أو مالاً أو شيئاً من متاع الحياة العاجل ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ العزة شرط من شروطها، وقد رعى نبيك ﷺ الغنم في مستقبل عمره.

٦ - ليس من مسؤولية الأنبياء أو الدعاة والمصلحين هداية الخلق، وإنما يكفي الرسالة التعريف بالله تعالى، ودعوتهم إلى امتثال أوامره وهم يخوضون رحلة نهايتها كما يشاؤون ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

٧ - بعد هذا الزمن الطويل الذي قضاه نبي الله تعالى نوح عليه السلام في رسالته تأتي هذه النهاية المُرّة ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ وهي نتيجة طبيعية جداً فيمن جرب مكابدة الدعوة، وعاش بعضاً من أحداثها ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَافَةً وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكِبِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

٨ - ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بعد تسع مئة وخمسين عاماً من الجهد والتعب والعناء، المشاريع ليست شيئاً فتاتاً في حياة أصحابها.

٩ - ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بعد أن بذل كل الوسائل المتاحة لنجاح مشروعه، واستفرغ كل طاقته في سبيل ذلك، يكفي منها العيش للمشروع حتى آخر رمق في الحياة.

١٠ - ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ رسالة لكل الذين يشكون في الطريق، وتأخرت عليهم الثمار، ولم يروا نتائج كبيرة لمشاريعهم، الثبات على الفكرة، وعدم الاستسلام لعقبات الطريق أعظم البراهين على النجاح.

١١ - ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ الذين عاشوا قبلك عاشوا أطول زمناً من زمناك، وكابدوا أكبر من مكابدتك، ومع ذلك صبروا حتى النهاية؛ فلم الاستعجال على ثمار مشروعك!

١٢ - الذين يقيسون المشاريع بثمارها: عليهم أن يعيدوا هذه النتيجة في فجر كل يوم، وعند العودة إلى فرش النوم ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾.

١٣ - ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ، فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا﴾ يخبرك الله تعالى أنه يحبه، ويريد أن يفرحه، وكتب له نهاية صالحة بالنجاة، الانتصار ليس حصراً على النتائج!

١٤ - ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ، فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا﴾ رسالة في الرضا التام عنه؛ فنجاحك فرع عن تمسكك بمشروعك، وإصرارك على بلوغ أمانيك، وعدم التخلف عن فكرتك لتخلف نتائجها في واقعك.

١٥ - البقاء للحق؛ وإن كان عدد الأتباع قليلاً وبسيطاً ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ، فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا﴾.



١٦ - ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ نتيجة طبيعية تتراءى أمام أعيننا كل مرة.
 ١٧ - ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُذْذِرِينَ﴾ درس لكل المتخلفين في الطريق أفراداً كانوا أو جماعات.

١٨ - ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُذْذِرِينَ﴾ دعوة لأصحاب الحق، ودعوة في الوقت نفسه للمتخلفين. النهايات رأي العين!

١٩ - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٧٤ رسالة في أن الدعوة والبلاغ والبيان لا يجوز أن تتوقف لحال أو حدث من الأحداث.

٢٠ - سيرة التخلف عن واجبات الدعوة ما زالت تأخذ حظها من الواقع
 ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٧٤.

٢١ - إذا تكررت الفرص، ولم توظف لصالح أصحابها، حرموا آثارها، ولو بعد حين
 ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٧٤.

٢٢ - ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٧٤ نتيجة طبيعية للتخلف عن أوامر الله تعالى، والإصرار على معاندة رسله ومنهجه.

٢٣ - الإعراض عن الحق فرع عن الاستكبار ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ٧٥ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾.

٢٤ - إذا ظهرت الحقائق في الأرض جهَد الأعداء في تشويهاها بكل ما يملكون ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ٧٦.

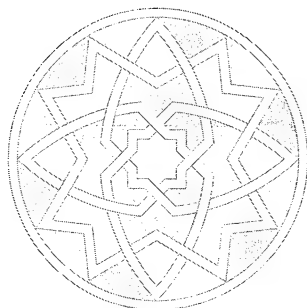
٢٥ - المسألة عندهم أكبر من كونها حق وباطل ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧٨).

٢٦ - ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ لا تزال إرثاً تتقاسمه الأمم جيلاً بعد جيل.

٢٧ - التصورات الخاطئة تبني طرق الضلال كما تشاء ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧٨) الحق عندهم ما جاء من طريق آبائهم فحسب.

٢٨ - تأجير العقول مشكلة أزلية ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧٨) لا يقبلون شيئاً إلا من خلال الآباء والأجداد.

٢٩ - ﴿ وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ ﴾ أهم قضية ألا تنازعهم على مناصب المسؤولية وكراسي المقدمة، والألقاب الكبيرة، وغير ذلك لا حرج.



وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
 مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِغُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ
 عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ يَكَلِّمُنِيهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى
 خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي
 الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ
 ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ
 تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا
 بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن
 تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا
 إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ
 عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

التفسير

- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ (٧٦) ﴿أَي مَاهِرٍ بِالسَّحَرِ مُتَقِنٍ لَهُ.
- ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾ حضروا أمام موسى ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (٨٠) ﴿اطرحوا أي شيء تريدون طرحه في الأرض.
- ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ رموا وطرخوا ما في أيديهم ﴿قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ سيجعله باطلاً مردوداً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨١) ﴿لَا يَجْعَلُهُ صَالِحاً بَلْ مَمْحُوقاً بَاطِلاً.
- ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ يثبتته ويمكن له ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾ التي أنزلها في كتبه ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٨٢) ﴿ولو كانوا كارهين لنصرة الحق مؤيدين للباطل.
- ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ شباب من بني إسرائيل ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ﴾ آمنوا وهم خائفون من بطش فرعون وجنده ﴿أَنْ يَفْنَيْهِمْ﴾ عن دينهم ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالِي فِي الْأَرْضِ﴾ لجبار مستكبر ﴿وَلِإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٨٣) ﴿المتجاوزين الحد في الكفر والفساد.
- ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ فوضوا أموركم إليه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (٨٤) ﴿مستسلمين منقادين لله تعالى.
- ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ فوضنا أمرنا إليه ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٥) ﴿لا تسلطهم علينا فيفتنوننا عن ديننا﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٨٦) ﴿سلمنا من تسلطهم علينا.



• ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ﴾ حين اشتد عليهما الأمر ﴿أَنْ تَبَوَّءَا﴾ اتخذذا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ بيوتاً يستخفون فيها من الظالمين ﴿وَجَعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ مكاناً للصلاة حال الخوف ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ حافظوا عليها في أوقاتها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٧) بالنصر والتمكين.

• ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾ يتزينون بها من متاع الدنيا ﴿وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ استعملوها في الصدّ عن الحق ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ أتلفها ﴿وَأَشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ اختتم عليها ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٨٨) فلا يتمكنون من الإيمان حتى يلقوا العذاب عياناً.

السير

١ - طاغية يعرف الحقائق، ويصر على إبقاء الجماهير في الأوهام ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ (٧٩).

٢ - العبث بالعقول والأفكار جزء من الحرب التي يديرها العدو لإقناع الجماهير ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ (٧٩).

٣ - يشترط رجلاً ماهراً بصنعه لإدراكه لضرورة القوة في رد المعارضين ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ (٧٩).

٤ - القوة تفرض واقعها في كل حرب ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ (٧٩).

٥ - المعرفة هي القوة العالمية بالأمس، وهي المعنى نفسه اليوم ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ (٧٩).

٦ - من يتفوق عليك في العلم يهزمك في ساحة الحرب ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ (٧١) ﴿٦٠﴾.

٧ - من مؤهلات الكبار الثقة بالله تعالى وبنصره والتوكل عليه ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ﴾ (٨٠) ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴿٨١﴾.

٨ - في مواطن الأزمات تنبعث حقائق العقائد الكبرى ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ﴾ (٨٠) ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴿٨١﴾.

٩ - القناعات فرع عن العقائد ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴿٨١﴾.

١٠ - وفي النهاية زال غبار الحقائق، وذهب زيف المبطلين ﴿وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ يَكَلِّمُنِيهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٨٢) ﴿٨٢﴾.

١١ - حتى الحقائق الكبرى لا تملك هداية القلوب العمياء ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٨٣) ﴿٨٣﴾ لم يؤمن من تلك الجماهير الغفيرة إلا قلة من شباب بني إسرائيل.

١٢ - هذا الرعب الذي يسري في قلوب المؤمنين اليوم جزء من صنع الطغاة والمجرمين بالأمس ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٨٣) ﴿٨٣﴾ وهي ذاتها اليوم لم تتغير فيها إلا الأسماء فحسب.



١٣ - التوكل على الله تعالى فرع عن الإيمان به ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ ءَامَنُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا۟ إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴾ ٨٤ .

١٤ - لا قيمة للمعرفة المجردة التي لا تحظى بالتطبيق في واقع صاحبها ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ ءَامَنُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا۟ إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴾ ٨٤ .

١٥ - شعورك بضعفك وابتهالك لربك دليل تجردك من حولك وقوتك وبابُ توفيق ﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴾ ٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ٨٦ .

١٦ - النصر موكول بتهيئة البيئة المُعِينة على تحقيقه ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٨٧ .

١٧ - كونوا شركاء في رؤية بناء الغد ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٨٧ .

١٨ - إعادة ضبط وتوجيه البوصلة ضرورة لاستقبال أيام النصر ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٨٧ .

١٩ - الصلاة ليست صورة يقيمها الإنسان ليتخلص بها من التبعات، وإنما قضية تبعث فينا النصر، وتعيد لنا الحضارة المفقودة، وتكتب نصرنا على العالمين ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٨٧ .

٢٠ - أقم الصلاة كما يريد الله تعالى وانشر البشري في أرجاء العالم ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٧﴾.

٢١ - حين تقام الصلاة في نفوسنا وواقعنا تبدأ رحلة الفرح والانتصارات ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٧﴾.

٢٢ - صلاح نفسك، ودعاؤك، وبذل الأسباب الكافية وسيلة كافية لمحق الأعداء، وتبديد آمالهم وممتلكاتهم ﴿وَقَالَكَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٨٨﴾.

٢٣ - لا تقف متفرجاً على مشاهد العالم الإسلامي وهو يحترق بنيران العدو، تنحى جانباً، وارفع يديك للسماء وقل: يا رب ﴿وَقَالَكَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٨٨﴾. فلعل دعوة ثور أثارها في ساحات العدو!

٢٤ - حين تكون أموالنا ومهاراتنا وقدراتنا وراء كل النكبات التي نعيشها في واقعنا ﴿وَقَالَكَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٨٨﴾.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ
 الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجُوزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ
 فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ
 الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ
 وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ
 الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ
 ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ
 بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا
 اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا
 كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَرْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ
 الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ
 رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
 الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾
 إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾
 وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

التفسير

• ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿قَدْ أُجِيتَ دَعْوَتُكُمَا﴾ فما طلبتما حاصل لكما ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على دينكما واستمرا على دعوتكما ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩) ﴿من الجاهال والمفسدين.

• ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ قطعنا بهم البحر بعد إن شقَّ لهم ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾ لحقا بهما ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ ظلماً وعدواناً ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ أوشك على الغرق ﴿قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ﴾ أي الله تعالى هو الحق ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠) المستسلمين المنقادين.

• ﴿ءَالْتَنَ﴾ تؤمن وتقرُّ ﴿وَقَدْ عصَيْتَ قَبْلُ﴾ كنت عاصياً ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٩١) في الأرض.

• ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ نُمِيتُ روحك، ونبقي جسدك الميت ليراه الناس ﴿لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً﴾ عبرة وعظة ﴿وَلِإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ ءَايِنِنَا لَغَفِلُونَ﴾ (٩٢) معرضون غير متدبرين لها.

• ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ﴾ منزلاً صالحاً ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ فتحنا عليهم أبواب خيرات عظيمة ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ لما جاءهم العلم اختلفوا فيما بينهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يحكم بينهم ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٩٣). ليس أشأم على الإنسان من لحظة يكون فيها العلم هو سبب الخلاف والفوضى في حياته. العلم سبيل لاجتماع الكلمة، وصلاح النية وائتلاف القلوب، فإذا ما كان سبباً للخلاف صار شؤماً على صاحبه، وعلامة على خذلانه، وضياع آثاره.



﴿ فَإِنْ كُنْتَ ﴾ أَي يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ فَلَسْتَ مُتَقِنًا مِنْهُ
﴿ فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ
سَلَامٍ ﴿ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ الَّذِي لَا يُوجِبُ شُكًّا ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُتَرَدِّينَ ﴾ ﴿٩٤﴾ مِنَ الشَّاكِينَ الْمُرْتَدِّينَ فِي ذَلِكَ.

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ فَأَعْرَضُوا عَنْهَا ﴿ فَتَكُونُ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ خَسِرُوا كُلَّ شَيْءٍ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ ﴾ أَي
وَجِبَتْ عَلَيْهِمْ ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ أَي قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَةُ ﴿ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾ أَي لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ.

﴿ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ ﴾ وَلَوْ رَأَوْا كُلَّ آيَاتِ الدَّالَةِ عَلَى الْحَقِّ مَا آمَنُوا
﴿ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ﴿٩٧﴾ وَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ الْإِيمَانُ.



١ - كم بين قول الله تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً
وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ رَبَّنَا أَطْمَسَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدَّ عَلَى
قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ﴿٨٨﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ
دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٨٩﴾ إِذَا اسْتَكْمَلْتَ
أَدْوَاتِ النَّصْرِ عَانَقْتَ الْحَقَائِقَ كَمَا تَشَاءُ.

٢ - حَتَّى الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ عَلَى الدُّعَاءِ شُرَكَاءَ فِي سَهْمِ الدُّعَاءِ ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ
دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٨٩﴾ لَمْ يَكُنْ مِنْ
هَارُونَ سِوَى التَّأْمِينِ، وَسَمَاهُ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءً.

٣ - الثبات على الدين عند الفرح والنصر والغلبة مطلب مهم في تحقيق النصر وكمالهِ ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩).

٤ - مواقف الفرح بالنصر تؤدي أحياناً إلى الطغيان؛ ولذا جاءت الوصية بالاستقامة والثبات على الطريق ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩).

٥ - المعصية تصنع غطاءً كبيراً على الوعي حتى تُلقَى بصاحبها في أسوأ النهايات ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠).

٦ - انفلاق البحر من مجرد عصا آية كانت كافية لرد فرعون عن اللحاق بموسى عليه السلام، لكن عمى الخذلان فوق التصورات ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠).

٧ - الطغيان لا يمكن صاحبه من حساب العوائد في كثير من الأحيان ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠).

٨ - ﴿قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ مثال للاستجابات التي تأتي بعد فوات زمانها، ولا تنفع صاحبها في شيء.

٩ - الآن آمن أنه عبد، وله إله ﴿قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.



١٠ - كثيرة هي الفرص التي تعرض لصاحبها في الطريق، وكثير في المقابل رفضها وعدم الاستفادة منها وتوظيفها ﴿قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

١١ - بالأمس يتبجح على رؤوس الأشهاد (أنا ربكم الأعلى، ما علمت لكم من إله غيري، أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي) واليوم يتوسل ويتضرع ﴿قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ما أقل شأن الظالمين إذا أراد الله تعالى بهم سوءاً!

١٢ - ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ حتى لا تأتي الجماهير الضالة فتقول بأنك حيي موجود في مكان ما، وغداً ستبعث للأمة منهجاً، وتأتي زعيماً لها من جديد.

١٣ - كان آية في الفساد، واليوم صار آية في العبر والعظات! ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

١٤ - الجماهير المغرر بها لا تؤمن بزوال أسطورتها حتى تركله الأقدام وهو لا يستطيع الحراك ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

١٥ - مؤلم أن يكون العلم هو سبب الفرقة والخلاف والنزاع والشقاق ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

١٦ - الأصل في العلم أنه يجمع الناس ولا يفرقهم، ويعينهم ولا يخذلهم، فكيف صنع به هؤلاء الفرقة والخلاف ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

١٧ - فساد القلوب والأحوال موجب لتحويل غايات العلم، وضياح مباحجه في حياة قوم ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِوَا صِدْقٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

١٨ - من بدائع القرآن أنه يتعامل مع النفوس قبل كل شيء ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ أعطى رسول الله ﷺ مساحة لاكتشاف الحقيقة من مصادرها، رغم أنها واضحة للعيان لا تحتاج إلى بحث.

١٩ - حتى الذين بعثهم الله تعالى بالحقائق يحذرون من انتهاكها في النهاية ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

٢٠ - إذا رأيتهم صادين عن الطريق رغم كل ما بذل لهم فيها؛ فلا تستغرب شيئاً من ذلك، أولئك ممن حق عليهم الضلال ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾.

٢١ - رغم كل المشاهد التي حضروها، والمواعظ التي سمعوها، والأحداث التي عاصروها ما زالوا غير مستجيبين للحقائق التي عاشوها ورأوها ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ رفضوا الاستجابة في البداية؛ فختم الله تعالى على قلوبهم فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية!

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمٌ يَأْتُواكُم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ
كُفُّوا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ
شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ
حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾
فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ
فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ
فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ
الَّذِي يَتَوَفَّكُم وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ
لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن
يَمَسُّسُكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا
رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾
قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن أِهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا
يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ
﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

التفسير

• ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ ﴿ هَلَّا قَرْيَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ الْقُرَى الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا ءَامَنَتْ إِيْمَانًا مُعْتَبَرًا قَبْلَ مُعَايِنَةِ الْعَذَابِ ﴿ فَفَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا ﴾ قَبْلَ أَنْ تَرَى عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا ﴾ إِيْمَانًا نَافِعًا ﴿ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ ﴾ أَيِ الذِّلِّ وَالْهَوَانِ ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٩٨﴾ ﴾ إِلَىٰ زَمَنٍ أَجْلِهِمْ.

• ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ﴿ فَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُؤْمِنَ كُلُّ النَّاسِ لَأَمَّنُوا كُلَّهُمْ وَلَكِنْ قَضَىٰ وَقَدَّرَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَمِنْهُمْ الْكَافِرُ ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ تَجْبِرُهُمْ عَلَى الدِّينِ فَيُؤْمِنُوا مَكْرَهِينَ.

• ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿ مَتَىٰ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ ﴿ الْعَذَابِ ﴿ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى أَمْرَهُ.

• ﴿قُلْ أَنْظِرُوا ﴿ تَأْمَلُوا ﴿ مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿ مِنْ عِظَاتٍ وَعَبَرٍ ﴿ وَمَا تَعْنِي الْأَيَّاتُ ﴿ الدَّلَائِلُ وَالْبَرَاهِينُ ﴿ وَالنُّذُرُ ﴿ الرِّسَالُ ﴿ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ بِاللَّهِ تَعَالَى.

• ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ ﴿ فَهَلَّا يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ ﴿ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿ أَيَّامُ الْبُؤْسِ وَالْعَذَابِ ﴿ قُلْ فَانْظِرُوا ﴿ انْتَظِرُوا ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ إِنِّي مَعَكُمْ سَأَنْتَظِرُ وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَيَّامَهُ.

• ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿ مِنَ الْعَذَابِ ﴿ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا ﴿ وَاجِبًا ﴿ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ مِنَ الْعَذَابِ.



﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي ﴾ لستم متيقنين له ﴿ فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ فلا أشرك كما تشركون ﴿ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي تَتَوَفَّكُم ﴾ الذي يملك أمر آجالكم ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ ١٠٤ ﴾ بالله تعالى.

﴿ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ أقم نفسك على الإسلام مستقيماً عليه ﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلاً عن كل ملة غير ملة الإسلام ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ ١٠٥ ﴾ بالله تعالى.

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ لا يملك لك نفعاً ولا ضرراً ﴿ فَإِنْ فَعَلْتَ ﴾ دعوت هؤلاء من دون الله تعالى ﴿ فَإِنَّكَ إِذَا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ ١٠٦ ﴾ لنفسك بالشرك.

﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ وحده لا شريك له ﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بَخِيرٌ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ لا يملك أحد دفعه عنك ﴿ يُصِيبُ بِهِ ﴾ بفضلته ﴿ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ ممن أراد تعالى له الخير ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ ﴾ للمذنبين ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿ ١٠٧ ﴾ بالمؤمنين.

﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ واضحاً بيناً ﴿ فَمَنْ أَهْتَدَى ﴾ سلك طريقه ﴿ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾ فإن مصلحة هدايته لنفسه ﴿ وَمَنْ ضَلَّ ﴾ أي عن طريق الحق ﴿ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ على نفسه ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ ﴿ ١٠٨ ﴾ بحفيظ يحفظ أموركم وأعمالكم.

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ من ربك ﴿ وَأَصْبِرْ ﴾ على كل ما تلقى ﴿ حَتَّىٰ يَخُصِّمَ اللَّهُ ﴾ يقضي بحكمه ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ﴿ ١٠٩ ﴾ أوفاهم وأعدلهم.

التدبير

١ - مشكلة الإعراض مشكلة جماعية على مرّ الأزمان ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيبَةً ءَامَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَنْهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ٩٨﴾.

٢ - إذا غابت البوصلة الموجهة ضاع كل شيء ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيبَةً ءَامَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَنْهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ٩٨﴾.

٣ - وما زالت المجتمعات سادرة في الأفكار والتصورات نفسها التي تسلك بهم طريق الشقاء ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيبَةً ءَامَنْتَ فَنَفَعَهَا إِيْمَنْهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ٩٨﴾.

٤ - لا تجهد نفسك على إعراض المعرضين، لو أراد الله تعالى لهم الإيمان لجاء بهم منقادين مستسلمين ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٩٩﴾.

٥ - دعك من القلق الذي تصرفه على مستقبل دعوتك وأثرها، ثمة أناس لا يمكن أن ينقادوا لك، ولو سلمتهم الدنيا كلها ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٩٩﴾.

٦ - خفف همومك، وقّلل من الأعباء التي ينوء بها ظهرك، لو أراد الله تعالى للعالم كله أن يأتي مؤمناً طائعاً لفعل ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٩٩﴾.

٧ - حسبك أن تلقي بدعوتك في أمتع أساليبها وأوقاتها، ثم دعك من حساب التبعات ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٩).

٨ - حتى الذين يُسلمون في النهاية ليس بجتهادك، وإنما ألقى الله تعالى في قلوبهم الإيمان ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّحْمَنُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠٠).

٩ - اجهد، واتعب، وانصب، وحاول، وكرر، واستمر، ولا تتوقف، وفي النهاية آمن «أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء» (١) ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّحْمَنُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠٠).

١٠ - ليت الذين يجتهدون في الدعوة يصرفون جزءاً كبيراً من أوقاتهم في إصلاح نفوسهم، ودعاء ربهم تعالى، والتوسل والتضرع عليه، وحسن الإقبال إليه ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّحْمَنُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠٠).

١١ - إذا رأيته مصروفاً عن مشاهد الخير؛ فذاك من الرجس الذي نزه الله تعالى مجالس الخير عنه ﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّحْمَنُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٠٠).

١٢ - مشاهد الكون كافية لإقبال النفوس على ربها لو تأملوا ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠١).

١٣ - ماذا ينتظر الذين لم يؤمنوا بعد؟! حتى الذين لم يستقيموا على الطريق! ليتهم أدركوا نفوسهم قبل الفوات! ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. ولفظه: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرّفه حيث يشاء».

مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴿النهاية واحدة وهم في الطريق نفسه.

١٤ - المتأخرون والمترددون والقاعدون لو منحوا من أوقاتهم لرؤية المقبورين، أو الذين حلت بهم سوابق العذاب: لعادوا إلى ربهم مؤمنين طائعين ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

١٥ - ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ مشهد لجمال النهايات في ساحات الدنيا، فكيف بمشاهد الفوز في ساحات القيامة!

١٦ - أياً كانت المعركة التي تُدار بين أهل الإيمان وأهل الفسوق؛ فالغلبة في النهاية للمتقين ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

١٧ - ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ درس في النهايات المكشوفة!

١٨ - ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ في كل مكان وزمان وعصر ومصر وإلى النهاية.

١٩ - الذين يخوضون المعارك لا بد أن يستعرضوا هذا المعنى في كل حين ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

٢٠ - العزة بهذا الدين ضرورة يجب أن تأخذ حظها من قلوبنا بامعان ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.



٢١ - لا شيء أضر على الإنسان من الانهزامية التي يعيشها في مواجهة الباطل ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

٢٢ - درس العقائد يجب أن يأخذ حظه من نفوس الكبار ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

٢٣ - الاعتداء على حقوق الألوهية ظلم يستحق العقاب ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

٢٤ - يجب أن ترتفع القلوب عن حضيض الشرك بالله تعالى ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

٢٥ - حين تحل بك الضراء تعلم أن تقول: يا الله! ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

٢٦ - في مرات كثيرة يكون المرض والبلوى والضراء هي الطريق الأوسع إلى فتح باب العبودية لله تعالى من جديد ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

٢٧ - لا ترفع يدك وقت الضراء حتى يتخلّى قلبك عن كل الشركاء في الأرض ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

٢٨ - يَا لِلذَّةِ (يا رب) فِي أَوْقَاتِ الْحَاجَةِ! جَرَّبَهَا وَسْتَرَى الْفَرْقَ! ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٧).

٢٩ - إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِكَ خَيْرًا صَنَعَ لَكَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحِسْبَانِ ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٧).

٣٠ - آمِنُ أَنْ الْعَالَمَ كُلَّهُ فِي قَبْضَةِ رَبِّكَ، وَإِذَا أَذِنَ لَكَ بِشَيْءٍ فَلَا تَسْلُ كَيْفَ تَجْرِي الْأَقْدَارُ بِهِ! ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٧).

٣١ - يَتَوَسَّلُونَ لِلْمَخْلُوقِينَ، وَيَرْجُونَ مَا عِنْدَهُمْ، وَيَهْبُونَ لَهُمْ مَشَاعِرَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ، وَلَوْ عَادُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَبْهَجِهِمْ ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٧).

٣٢ - إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِكَ خَيْرًا أَدْهَشَكَ! ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٧).

٣٣ - حِينَ يَرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى بِكَ خَيْرًا يَتَحَوَّلُ الْعَالَمُ كُلُّهُ لِعِزَّتِكَ ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٧).

٣٤ - إِصَابَةُ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى مَبْنِيٌّ عَلَى تَعَرُّضِكَ لِفَضْلِهِ، وَكَدْحُكَ مِنْ أَجَلِهِ، وَالْبَذْلُ فِي سَبِيلِ تَحْصِيلِهِ، وَغَالِبًا مَا يَكُونُ قَاصِدُ الْخَيْرِ الْحَرِيصِ عَلَى بَلُوغِهِ أَقْرَبَ إِلَى عَنَاةٍ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ آخَرَ، وَيَبْقَى الصَّدَقُ وَالْإِخْلَاصُ رَوَافِدَ ذَلِكَ الْفَضْلِ ﴿وَإِنْ



يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرَدِّكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴿١٠٨﴾

٣٥ - أنت في النهاية صانع لقرارك بنفسك ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ ﴿١٠٨﴾

٣٦ - حين تلوي رأسك وتعرض، وترفض الحق فلا تضلُّ إلا نفسك ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ ﴿١٠٨﴾

٣٧ - لا تبرح هذا القرآن قيد شبر، وصابر طول طريقك، وإياك والنكوص على عقبيك ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصِّمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ﴿١٠٩﴾

٣٨ - لو أنك أعطيت هذا المعنى ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ لبقيت طول عمرك سعيداً مطمئناً منصوراً بهيجاً بما حولك.

٣٩ - هذا المعنى ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ من أعطاه قلبه ومشاعره وواقعه، وأقبل إليه صادقاً لقي ما لا يتصوره في حياته كلها.

٤٠ - لا أعلم قضية امتثال لله تعالى تورد صاحبها الخيرات مثل هذا المعنى ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ ولكنها شاقة ومكلفة، وتحتاج إلى هذا المعنى الكبير ﴿ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصِّمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾.

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَنُ أَهْكَمَتْ ءَايَتُهُ، ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ① أَلَا
تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ② وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمَنِّعَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي
فَضْلٍ فَضْلَهُ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ③
إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ④ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ
صُدُورَهُمْ لِیَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑤ وَمَا
مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ⑥ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى
الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ

مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا
 إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَيَنْ أَخْرَنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ
 مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۖ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
 مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾
 وَلَيَنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ
 لَيَكْفُورٌ ۖ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَيَنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ
 مَسْتَهْ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا
 الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
 كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ
 بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ
 إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

التفسير

﴿الر﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿كَنْبٌ﴾ أي
 القرآن الكريم ﴿أَحْكَمَتْ أَيْنُهُ﴾ أتقنت وجُودت ﴿ثُمَّ فَصَّلَتْ﴾ بُيِّنَتْ
 ووضّحت ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ﴾ في أفعاله وأقواله ﴿خَيْرٍ﴾ ﴿١﴾ بظواهر
 الأمور وبواطنها.

• ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ عبادوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ﴿إِنِّي لَكُرِّمْتُهُ﴾ من الله تعالى ﴿نَذِيرٌ﴾ للمعرضين عن عبادة الله تعالى ﴿وَبَشِيرٌ﴾ للمؤمنين الطائعين.

• ﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ عن ذنوبكم التي وقعتم فيها ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ ارجعوا إليه نادمين، وأصلحوا ما بينكم وبينه في الحال والمآل ﴿يُمْنِعْكُمْ مِّنْعَاً حَسَنًا﴾ فيبدل خوفكم أمناً، وفقركم غنى، وشقاءكم سعادة ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى وقت موتكم ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ يعطي كل محسن أجره وثوابه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فأعرضوا عن الله تعالى ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يوم القيامة.

• ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد موتكم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه عن حسابكم شيء.

• ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَمُنُّونَ بِصُدُورِهِمْ﴾ يضمرون في صدورهم الكفر ﴿لَيْسَتْ خَفَا مِنْهُ﴾ من الله تعالى ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بها ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في أنفسهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يظهرون ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ لا يخفى عليه شيء منها.

• ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ جميع ما على الأرض من دواب ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ أي أن الله تعالى تكفل برزقها ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ مكانها الذي تستقر فيه وتأوي إليه ﴿كُلُّ﴾ من تفاصيل أحوالها ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ مثبت في اللوح المحفوظ.

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ قبل خلق السموات والأرض ﴿ لِيَسْبُلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أصوبه وأخلصه ﴿ وَلَئِنْ قُلْتَ ﴾ أي يا رسول الله: ﴿ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ ﴾ لو أخبرت الكفار بأنهم يبعثون بعد الموت ﴿ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ ﴿٧﴾ إنما خبرك سحر واضح لا لبس فيه.

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ ﴾ إلى وقت مقدر محدد ﴿ لَيَقُولَنَّ مَا يَجِئُهُ ﴾ ما الذي حبس العذاب عن النزول ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ بل واقع بهم ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ ﴾ نزل بهم ﴿ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿٨﴾ من العذاب.

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ كالصحة والرزق ﴿ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ﴾ سلبناها منه ﴿ إِنَّهُ لَيَغْوَسُ ﴾ يائس من رحمة الله تعالى ﴿ كَفُورٌ ﴾ ﴿٩﴾ جحود لنعم الله تعالى.

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ ﴾ صحة وعافية ورزقاً ﴿ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ ﴾ مرض وفقر ﴿ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ﴾ ذهب عني الضيق والشدة ﴿ إِنَّهُ لَفَرِحٌ ﴾ بالنعم ﴿ فَخَوْرٌ ﴾ ﴿١٠﴾ متعال بهذه النعم ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ على ما يصيبهم ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ حرصوا عليها، وواظبوا على فعلها ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ تمسح ذنوبهم وتمحو خطاياهم ﴿ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ ﴿١١﴾ عظيم.

﴿ فَلَعَلَّكَ ﴾ أيها الرسول لما واجهته من كفرهم وعنادهم واقتراحهم الآيات ﴿ تَارِكَ بَعْضُ ﴾ تبليغ ﴿ مَا يُوحَى إِلَيْكَ ﴾ ﴿ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ وضائق صدرك بتبليغه ﴿ أَنْ يَقُولُوا ﴾ بسبب قولهم: ﴿ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ ﴾ هلاً أنزل

عليه مال كثير ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يصدقه، ويبين لنا أنه رسول ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ تبلّغهم ما أمرك الله تعالى، وتنذرهم ما ينتظرهم يوم القيامة ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٢﴾ حفيظ لأعمالهم، يجازيهم عليها يوم القيامة.

التدبير

١ - كل هذا العالم الذي تراه تكفل الله تعالى برزقه، وإدارة شأنه، وضمن له كل شيء! ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦﴾ فلم القلق على وظيفتك ورزقك وما قدر الله تعالى لك في الحياة؟!!

٢ - لو اجتمع العالم كله ما استطاع ردّ شيء من رزق الله تعالى الذي كتبه الله تعالى لك؛ فدعك من الأوهام ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦﴾.

٣ - البناء أياً كانت صورته، والتغيير الذي تود أن تحدثه لا بد أن يأخذ زمنه الكافي من الوقت ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ستة أيام بيان للسنة الإلهية التي تجري في الكون كله.

٤ - حتى العادات الإيجابية التي تود تبنيها، أو العادات السلبية التي تود التخلص منها هي كذلك تحتاج إلى زمنٍ كافٍ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

٥ - ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ رسالة في بيان أعظم المقاصد التي خلق من أجلها الإنسان.



٦ - ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أخلصه وأصوبه، ما كان خالصاً لله تعالى وعلى سنة نبيه ﷺ.

٧ - إن أمكن الجمع بين كثرة العمل وحسنه؛ فذلك كمال على كمال وإلا فالانشغال بإحسان العمل أولى وأفضل ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾.

٨ - غياب الرؤية سبب ضياع كثيرين ﴿وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

٩ - لا تستغرب هذا الضياع ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَجِئُهُمْ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾﴾ حتى العذاب يستبطؤونه ويسألون عنه ويبحثون عن وقته. الغفلة تصنع أكبر من هذا بكثير.

١٠ - مساكين لو دروا حين يغشاهم العذاب، وتحل بهم النكبات كيف يكونون! ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَجِئُهُمْ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾﴾.

١١ - هذا هو الأصل في الإنسان ما لم يغالب طبعه بدين ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُفِّرُ كَفُورًا ﴿٩﴾﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

١٢ - ما تَخَلَّقَ رجلٌ صالحٌ بخلق كالصبر، وما زانه شيءٌ كما زانه الصبر ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ١١.

١٣ - للكلمة تأثير كبير على النفوس ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ١٢ حتى إن الرسول يهتم بترك الدعوة أو يتخلى عن طريقها الكبير!

١٤ - اختر كلماتك بعناية تلج القلوب دون استئذان ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ١٣.

١٥ - إذا رزقك الله تعالى فصاحةً وبياناً وقلماً؛ فاستوثق به من دينك، وشد وتره في مواجهة عدوه؛ فلعلك تصدّع صفاً بعد تمام ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ١٣.

١٦ - ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ١٣ رسالة في ألا يلتفت أصحاب المشاريع لنعيق المنافقين، وصيحات العدو، وأن ينشغلوا بالعمل والبناء.

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ
 وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
 فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
 وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا
 صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى
 بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَى
 إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ
 الْأَحْزَابِ فَأَلَنَّا لَهُ مَوْعِدَهُ فَلَآتُكَ فِي مَرِيضَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْخَقُّ مِنْ
 رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
 مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى
 رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ
 أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾

التفسير

- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي القرآن اختلقه وقاله من عنده كذباً ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَأَنزَلْنَا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلَهُ مُفْتَرِيَتٍ﴾ إن كان كما قلتم فهاتوا عشر سور مثله؛ فإن قدرتم على ذلك، فإنكم صادقون فيما قلتم ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعينونكم على ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٣﴾ فيما تتهمونه به.
- ﴿فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ إلى ذلك ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ من عند الله تعالى ﴿وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا شريك له في ملكه ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ ﴿١٤﴾ مستسلمون منقادون لله تعالى.
- ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ من النساء والبنين وكل ما فيها ﴿نُوفٍ﴾ إليهم أعمالهم فيها ﴿نعطيهم ما طلبوه فيها من الرزق والصحة والأمن والملاذ﴾ وهم فيها لا يبخسون ﴿١٥﴾ لا ينقصون من ثوابها شيء.
- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ ويوم القيامة ليس لهم إلا النار ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ بطل وانتهى كل ما صنعوه في الدنيا ﴿وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٦﴾ فلا قيمة له ولا أثر صالح فيه.
- ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ بالوحي الذي أنزله الله تعالى ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ ويتلو هذه البينة والبرهان شاهد الفطرة المستقيمة والعقل الصحيح حين شهد ما أوحاه الله تعالى وشرعه ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ شاهد آخر وهو ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ التوراة التي جعلها الله تعالى ﴿إِمَامًا﴾ للناس ﴿وَرَحْمَةً﴾ لهم، أفمن كان بهذا الوصف قد تواردت عليه شواهد الإيمان، وقامت عليه أدلة اليقين كمن هو في الجهالات ليس بخارج



منها ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين وفقوا لقيام الأدلة عندهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ من طوائف الأرض المعارضة للحق ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ يوم القيامة ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ في شك ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٧﴾ بأنه وحي الله تعالى.

• ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ فلا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ممن قال على الله تعالى كذباً وزوراً ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ فيجازيهم بأعمالهم ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ﴾ الملائكة والرسل والجوارح: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يشهدون عليهم بما فعلوا ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٨﴾ تصيبهم فتهلكهم وتوردهم موارد العذاب.

• ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فصدوا أنفسهم وغيرهم عن الإيمان ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ سبيل الله تعالى ﴿عِوَجًا﴾ غير مستقيمة بالشهوات والشبهات ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿١٩﴾ غير مؤمنين.



١ - من العبث أن ترمي أوصافاً وألقاباً وأوهاماً على أشياء ليس لك منها الرصيد المعرفي الكافي ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ﴾ مُفْتَرِيَتٍ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾.

٢ - نزال المعرفة أقوى في كثير من الأحيان من نزال السيوف ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ﴾ مُفْتَرِيَتٍ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾.

٣ - إذا كنت تملك المعلومة فإنك تستطيع أن تملأ فم المعترض رماداً حاراً ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾.

٤ - يُعْطِي اللَّهُ تَعَالَى الدُّنْيَا مَنْ يَحِبُّ وَمَنْ لَا يَحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْآخِرَةَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

٥ - العاكفون على الدنيا، المبتغون لعاجلها يستحقون منها ما يملأ بطونهم وأفواههم، وليس لهم في الآخرة من نصيب ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

٦ - كم من عمل صالح كبير أريد به متاع الحياة العاجل؛ فعاد صغيراً حقيراً ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

٧ - نحن في زمان لم تعد المسابقة على عرض الدنيا شيء خفي، بل باتت ميداناً كبيراً فسيحاً للناظرين ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

٨ - يبني بيته، ويشترى مركوبه، ويكاثر بماله، وكل ذلك من أجل تصفيق عاجلٍ وحظٍ رخيص ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا



لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴿١٥﴾

٩ - الحقائق تُرى بالعين المجردة ﴿١٥﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ يَنبَعٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ فَالْآخِرَةُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مَرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴿١٧﴾

١٠ - توقع من الجاهل كل شيء! لا أعني جاهل الحرف، وإنما أقصد الجاهل بربه ﴿١٧﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴿١٨﴾

١١ - من أعظم الظلم أن ترى مَنْ وضع لنفسه موقعاً يتناول منه على الله تعالى ﴿١٨﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴿١٨﴾

١٢ - ألبسوه ثوباً وعباءة وعمامة وزجوا به في عالم الفضائيات؛ فأخذ يفترى على الله تعالى الكذب، ويمد في ساحات الباطل ﴿١٨﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴿١٨﴾

١٣ - كم من مغرر به سيعرض على ربه للحساب ﴿١٨﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴿١٨﴾

١٤ - ماذا يقول أولئك الذين يقفون في طريق الصالحين يصدونهم عن دين الله تعالى، ويخوفونهم تبعات الطريق؟! ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴿١٩﴾

١٥- كلما رأى رجلاً مستقيماً أطلق لحيته وقصّر ثوبه ما زال به حتى أعاده للظلام ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ١٩.

١٦- وكلما جلس مجلساً أرعد وأزبد، وقال ونقل تقاريراً، واختلق قصصاً وصوراً يريد بها صد المقبلين على دين الله تعالى ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ١٩.





أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
 السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
 أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ
 فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
 هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى
 وَالْأَصْبَرِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
 ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
 أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ إِلِيمٍ
 ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا
 مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ
 الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَذِبِينَ
 ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْبَغٍ مِنْ رَبِّي وَءَانِنِّي رَحْمَةً
 مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهُونَ ﴿٢٨﴾

التفسير

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ ما كانوا يفوتون على الله تعالى
 ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ يدفعون عنهم عذاب الله تعالى
 ﴿يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ﴾ يزداد لهم فيه ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ من بغضهم
 للحق ونفورهم منه ﴿وَمَا كَانُوا يَبْصُرُونَ﴾ ينظرون نظر تفكر واعتبار.
 ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بإيرادها موارد الهلاك ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾
 أي ذهب وضاع ﴿مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾ ما كانوا يخلقونه من
 الشركاء والشفعاء.

﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله تعالى ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَاجْتَبَوْا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾
 أنابوا إليه وخشعوا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أي أهلها ﴿هُمْ فِيهَا﴾
 خَالِدُونَ ﴿مُسْتَقَرُونَ﴾.

﴿مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ﴾ فريق السعداء وفريق الأشقياء ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ﴾
 فريق الأشقياء ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ فريق السعداء ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾
 لا يمكن أن يستويا في وصفهما ﴿أَفَلَا نَذْكُرُ﴾ تتفكرون فيما
 ينفعكم فتنفعون.

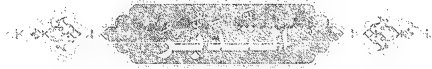
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ يبلغهم دين الله تعالى ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ منذر
 من الله تعالى ﴿مُبِينٌ﴾ بين واضح فيما أقول.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ فلا تشركوا به شيئاً ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عصيتم
 ربكم ﴿عَذَابَ يَوْمٍ﴾ يوم القيامة ﴿أَلِيمٌ﴾ شديد.



﴿ فَقَالَ أَلَمَلَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ الكافرون من قوم نوح ﴿ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ﴾ لا فرق بيننا وبينك ﴿ وَمَا نَزَّلَكَ أَتَبَعَكَ ﴾ على دينك ﴿ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا ﴾ الضعفاء والفقراء ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ إنما اتبعوك هكذا كما بدا لهم دون تفكير ﴿ وَمَا نَزَّلَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ﴾ شيء زدتم به عنا ﴿ بَلْ نُنَظِّمُ كَذِبِيكَ ﴾ ﴿ ٢٧ ﴾ فيما تقولون.

﴿ قَالَ ﴾ نوح ﴿ يَفْقَهُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْبَغٍ مِنْ رَبِّي ﴾ حجة واضحة ﴿ وَءَانِسِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ﴾ من عليّ بالرسالة ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ خفيت عليكم ﴿ أَنْزَلْنَاهُمْ كُفْرًا ﴾ أنكرهمكم على اعتناقها ﴿ وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴾ ﴿ ٢٨ ﴾ مبغضون.



١ - من سوء توفيق الله تعالى لإنسان أن يهب وقته وجاهه وماله وفكره في الصد عن دين الله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ ﴿ ١٩ ﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿ ٢٠ ﴾ .

٢ - ترك الله تعالى الطريق للصادين عن دينه لمضاعفة العذاب عليهم ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ ﴿ ١٩ ﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿ ٢٠ ﴾ .

٣ - إذا وهبك الله تعالى قوى وطاقات وقدرات وإمكانات؛ فانظر أين تصرفها ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ ﴿ ١٩ ﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا

كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴿٢٠﴾ كم من قوَى وطاقات وقدرات أمدَّ الله تعالى بها هؤلاء؛ فذهبوا يحاربون بها دينه، ويصدون بها عن سبيله!

٤ - الذين عرفوا الطريق من بدايته عانقوا النهاية التي يريدون ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٢﴾.

٥ - الإيمان والعمل الصالح كفيلٌ بمباهج الحياة ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٣﴾.

٦ - إذا أردت أن تعرف الفارق الكبير بين حياة المؤمن وغيره؛ فانظر إلى هذا الوصف ﴿٢٤﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٤﴾.

٧ - كيف يستويان: فريقٌ يشرب من عين صافية، وآخر يعبُّ من كدر الماء ﴿٢٥﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٥﴾!؟

٨ - كيف يستويان: فريقٌ ينهل من معين الوحي، وآخر يمدُّ في مساحات الظلام ﴿٢٦﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٦﴾!؟

٩ - الفرق بين صاحب الهدى وصاحب الضلال كالفرق بين الأعمى والأصم، والبصير والسميع ﴿٢٧﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٧﴾.

١٠ - التوحيد راية الرسل، وقاعدة الدعوة، وبداية الطريق الصحيح في كل مشروع ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٨﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِّ ﴿٢٩﴾ ﴿٢٩﴾.

١١ - حين نحاكم الشريعة إلى موازين البشر ﴿٣٠﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَائِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٣٠﴾ ﴿٣٠﴾ يختل كل شيء.



١٢ - خلل التصورات يورث خلل الإيمان ﴿ فَقَالَ أَلَمَلَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (٢٧).

١٣ - كم مرة كان الكبُر حائلاً عن الهداية والتوفيق ﴿ فَقَالَ أَلَمَلَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (٢٧).

١٤ - حماس الشباب، وعجلتهم أودت بهم لما هم فيه من الضلال. هذه حكايات المنافقين ﴿ فَقَالَ أَلَمَلَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (٢٧).

١٥ - حتى حين تسارع لاعتناق دينك تنهم بأنك بادئ الرأي ﴿ فَقَالَ أَلَمَلَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (٢٧).

١٦ - ما زالت مشكلة التصورات تطارد كثيرين ﴿ فَقَالَ أَلَمَلَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (٢٧) أراذل، وبادئ الرأي، وما نرى لكم علينا من فضل، ونظنكم كاذبين...، منذ فجر التاريخ هي العبارة ذاتها التي تتكرر عن الأخيار والمقبلين على الحق.

١٧ - ليس بالضرورة أن يُقتاد الناس للهداية مرغمين ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنُتِمَّ هَا كَرِهُونَ ﴾ (٢٨) إما أن يأتوا إليها منقادين، وإلا لا قيمة لوجودهم فيها بعد ذلك.



وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا
بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبِّهِمْ وَلِكِنِّي أَرْكُزُ قَوْمًا
بِجَهْلِهِمْ ﴿٣٩﴾ وَيَقُولُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طُرِدْتُهُمْ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ
الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ
لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا
فَأِنَّا بِمَا نَعُدُّكَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ إِنَّمَا
يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَا يَفْعَلُكُمْ
نُصْحِي إِن أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ
هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ
إِن أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَى إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يَشْكُرُونَ ﴿٤٥﴾
وَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٤٧﴾



التفسير

• ﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا﴾ تدفعونه مقابل دعوتكم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ هو الذي يتولى جزائي ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من الفقراء والضعفاء ﴿إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾ فيجازيهم على إيمانهم ﴿وَلَكِنِّي أَرْكُزُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ دين الله تعالى.

• ﴿وَيَقَوْمٍ مَن يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ﴾ من يمنعني من عذابه ﴿إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ أي الفقراء والضعفاء ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ تتأملون في دين الله تعالى وما جاء به.

• ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ خزائن رزقه ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ فلا أدعي قول ما لا أعرف ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ من الملائكة ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ تنتقصونهم بالفقر والضعف ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ لفقيرهم وضعفهم ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من سرائر الحق وطلب ما عند الله تعالى ﴿إِنِّي إِذًا لِّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾ إن طردتهم وأبعدتهم.

• ﴿قَالُوا﴾ قومـه: ﴿يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا﴾ دفعتنا بالحجج والبيانات ﴿فَأَنبَأْنَا بِمَا كُنَّا نَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ أنك رسول الله.

• ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ إذا شاء أن يعجل لكم العذاب عجله ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ فائتين على الله تعالى.

• ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ دعوتي لكم إلى الحق ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ أحببت أن أنصحكم ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ لا ينفعكم من ذلك شيء إن كان الله تعالى شاء لكم الغواية ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ بعد موتكم.

- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ أي: اختلق القرآن ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ﴾ اختلقته ﴿فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾ فأنا المسؤول عن ذلك وعاقبة جرمي عليّ ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ﴾ (٣٥) ﴿فَإِنْ جَرِمْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾.
- ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ فلن يؤمن بعد ذلك أحد ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن ولا تبال بهم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦) من الأعمال التي يصدون بها عن دين الله تعالى.
- ﴿وَأَصْنَعَ الْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا ﴿وَوَحَيْنَا﴾ الذي علمناك إياه ﴿وَلَا تُخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لا تراجعني في إهلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُّعْرِفُونَ﴾ (٣٧) في ماء العذاب.

التدبِير

- ١ - لم تأخذ الدعوة يوماً مالا من الناس على هدايتهم ﴿وَيَقَوْمٌ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرِئُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ (٢٩).
- ٢ - دعوة الباطل يمكنها أن تقيم الناس على أشكالهم وأحوالهم، أما دعوة الحق فالمقبلين عليها هم أولى الناس بها، وأحق بمباهجها ﴿وَيَقَوْمٌ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرِئُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ (٢٩).
- ٣ - القلوب الرقيقة تلقي لله تعالى بالاً في كل أمر، وتخشاه وتحذره في كل شيء ﴿وَيَقَوْمٌ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣٠).



٤ - بُئِستَ تلكَ المجالس التي لا يرتادها إلا الكبار والمترفون، ويُزاد عن حياضها الفقراء والمعوزون ﴿وَيَقُومُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣٠).

٥ - الرسل لا يملكون شيئاً ولا يَعِدُونَ الناس بتحقيق ما لا يملكون ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (٣١) إِذَّا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿وَكَذَلِكَ الدِّعَاءُ وَمَنْ سَارَ عَلَى طَرِيقِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. حَسْبِهِمْ هِدَايَةُ النَّاسِ لِلطَّرِيقِ، وَاللَّهُ يَتَوَلَّى شَأْنَهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

٦ - سوء الأدب بضعة من أخلاق الضالِّين من غابر الدهر ﴿قَالُوا يَنْتُحِقُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣٢).

٧ - الهداية بيد الله تعالى ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣٤).

٨ - ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ فالله تعالى أرحم بهم لولا أنهم يصرون على دقِّ باب سوء التوفيق بكلتا اليدين.

٩ - مَنْ لَا يَلْقِي اللَّهَ تَعَالَى بِالْأَيْسَلِ عَلَيْهِ أَنْ يَقْذِفَ الْآخِرِينَ بِالْأَوْهَامِ ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْنَاهُ، فَعَلَى إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَجْحَرُمُونَ﴾ (٣٥).

١٠ - اتواصوا به؟! بل هم قوم طاغون ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْنَاهُ، فَعَلَى إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَجْحَرُمُونَ﴾ (٣٥).

١١ - متى جاء هذا الخطاب الخاتم لنبي الله تعالى نوح! حين قضى من عمره تسعمئة وخمسين عاماً في الطريق ﴿وَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦) يا لطول صبر هؤلاء!

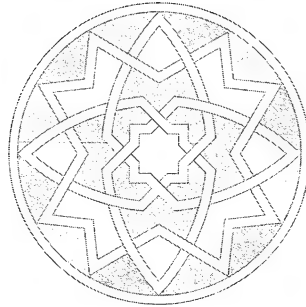
١٢ - بعد تسعمئة وخمسين عاماً في الطريق، ولم يتوقف العدو لحظة عن الابتزاز ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا نَبْتِيسَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦).

١٣ - يستحق الذين يصبرون على طول الطريق في مشاريعهم هذه العناية الربانية في الختام ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ (٣٧).

١٤ - اصنع مشاهد الختام على مرأى منا، وبتعليمنا لك، وحين تختتم مشاهد تلك السفينة لا تأخذك في الظالمين رافة ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ (٣٧).

١٥ - هذه نهاية الظالمين ﴿وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾.

١٦ - هذه المرة في صورة ماء يعثهم، ومرات في صور مختلفة من العذاب ﴿وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾.



وَيَصْنَعُ الْفُلُكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا
 مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
 فَسَوْفَ نَعْلَمُوتُ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
 مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ
 كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ
 ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا
 بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِدْنَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي
 بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي
 مَعْرِزٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ
 سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ
 مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ
 الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَتَاَرْضُ أَبْلَغِي مَاءَكَ وَتَسْمَأُ أَقْلَعِي
 وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا
 لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ
 أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

التفسير

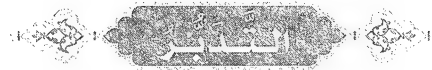
- ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَّ﴾ أي نوح ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ﴾ جماعة من قومه ﴿سَخَرُوا مِنْهُ﴾ استهزؤوا به كيف يصنع سفينة ولا ماء في الأرض ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا﴾ اليوم ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (٣٨) وقت حلول العذاب بكم.
- ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يذله ويهينه ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٣٩) لا ينفك عنه.
- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بالعذاب ﴿وَفَارَ الْفُتُورُ﴾ بالماء، والمقصود تنور الخبز الذي توقد فيه النار ﴿قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا﴾ في الفلك التي صنعتها ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ من كل صنف من أصناف المخلوقات ذكر وأنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ من أهل الإيمان ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ من أهلك؛ فلا تحمله كزوجه وابنه ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ واحمل معك كل من آمن بك ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٤٠) فئة قليلة.
- ﴿وَقَالَ﴾ نوح: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا﴾ في السفينة ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا﴾ جريها ﴿وَمُرْسَهَا﴾ منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤١).
- ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾ أي السفينة ﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ من شدته وقوته ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ بعيداً عنهم ﴿يَبْنِىْ أَرْكَبَ مَعَنَا﴾ في السفينة ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤٢) المخالفين لأمر الله تعالى.
- ﴿قَالَ﴾ الولد: ﴿سَآوِىَ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ سأرتقي جبلاً شاهقاً لا يصل إليه الماء ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾



لا جبل ولا غيره ﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ﴾ إِلَّا مَنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى عَصَمَتَهُ ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾ بَيْنَ نُوحٍ وَوَلَدِهِ ﴿الْمَوْجُ﴾ الْمَاءُ ﴿فَكَانَ﴾ الْوَلَدُ ﴿مِنْ الْمُغْرَقِينَ﴾ ﴿٤٣﴾.

• ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ لَا تُبْقِي مِنْهُ شَيْئاً ظَاهِراً ﴿وَنَسَمَاءُ أَقْلَعِي﴾ تَوْقِفِي عَنْ إِنْزَالِ الْمَطَرِ ﴿وَعِغِضَ الْمَاءِ﴾ نَقَصْ حَتَّى جَفَ ﴿وَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ بِنَجَاةِ الْمُؤْمِنِينَ وَهَلَكَ الْمَكْذِبِينَ ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ السَّفِينَةُ ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ تَوَقَّفَتْ عَلَى جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ يُقَالُ لَهُ: الْجُودِي ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ هَلَاكاً لِكُلِّ ظَالِمٍ.

• ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ حَيْثُ قُلْتُ: ﴿أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿وَأَنْتَ أَحْكُمُ الْحَكِيمِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ فَلَاحِكْمُ كَحِكْمِكَ.



١ - لَا نِهَايَةَ لِلْغِي وَالضَّلَالِ ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ ﴿٣٨﴾ حَتَّى فِي قِصَّةِ الْخَتَامِ، وَنِهَايَاتِ الطَّرِيقِ، وَبَعْدِ شَقَةِ الْمَسَافَةِ، مَا زَالُوا يَسْتَهْزِئُونَ.

٢ - مُشْكَلَةُ الضَّلَالِ أَنَّهُ يَحْجُبُ عَنْ أَصْحَابِهِ رُؤْيَا نِهَايَاتِ السُّوءِ، وَيَقِفُ دُونَهُمْ وَدُونَ الْعَبْرِ وَالْعِظَاتِ ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾.

٣ - إذا أراد الله تعالى أمراً أجرى له مشاهد الختام ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُوتُ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾.

٤ - هذه قصة النهاية تطوي مراحلها، وتأتي على المعرضين ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٤٠﴾.

٥ - كم بين المعرضين ومجيء أمر الله تعالى بالسوء من مراحل ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٤٠﴾.

٦ - ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ ليس بالضرورة في صور عذاب عام كهذا، وإنما يأتي على كل إنسان بحسبه، قد يكون في صورة مرض، أو حادث، أو موت مفاجئ.

٧ - حين تصل الأمة إلى ذروة الفساد يتنزل عقاب الله تعالى ولا يبالي بمخلوق ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٤٠﴾.

٨ - ما أكثر اللاهين والعابثين والسادرين في الظلام قبل مجيء أمر الله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾.

٩ - لا تسل كيف يأتي أمر الله تعالى! لقد تحول التنور الذي يخبزون فيه إلى ينبوع يجري بالماء ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ﴿٤٠﴾.

١٠ - نجاح الداعية ليس مرهوناً بكثرة الجماهير المستوعبة لرسالته، وإنما بمقدار جهده ونصبه في مشروع الحياة الكبير ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ



فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾.

١١ - من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين أنه يكرمهم بلطفه ورحمته في أيام الأزمات والظروف ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٤١﴾.

١٢ - ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٤١﴾ لحظات النهاية التي كان ينتظرها المؤمنون!

١٣ - حتى السفينة جند من جنود الله تعالى في الأرض ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٤١﴾.

١٤ - من رحمة الله تعالى بعباده أن هيا للنجاة أسباباً ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٤١﴾.

١٥ - هل تصورت مشهداً من مشاهد العذاب التي يجريها الله تعالى على المعرضين ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤٢﴾.

١٦ - تخيل معي: أباً يجزه الشوق لابنٍ شاردٍ عن الهداية، وقد أوشك على وداع الحياة ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤٢﴾.

١٧ - ماذا لو قيل لك: صف مشاعر والد في وداع ولده في لحظات سفر! وماذا لو قيل لك: صف مشاعر والد في وداع ولده في لحظات وداع وعذاب وغياب للأبد ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤٢﴾!

١٨ - هذه صورة تحكي أشد لحظات الوداع بين والد وولده ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤٢﴾.

١٩ - تأمل هذه الصور، وذلك المشهد؛ موجٌ كالجبال، وولدٌ في رأس جبل، وأبٌ تمتلئ مآقيه بالدمع، ويتشقق قلبه حزناً، ويتلهف شوقاً لولده، ويدور بينهما هذا الحوار ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ يا لرحمة الآباء بأبنائهم ويا لقساوة قلوب الأبناء!

٢٠ - تخيل كيف تعمي المعصية عيون أصحابها! ﴿قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ يرى ما لم يتوقعه في عمره كله وما زال يردد ﴿قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾.

٢١ - المؤمن ليرتاع من صوت الرعد، ويضع يده على قلبه وجلاً من ربه؛ فكيف استطاع هذا الابن الشقي أن يضع أمانيه في أشد الأزمات في رأس جبل؟! ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ ﴿٤٣﴾.

٢٢ - يا رب! لا تُجر علينا صوراً من الحرمان كهذه التي تجري في قصة نبي ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْرِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ وأصلح لنا ذرياتنا، ولا تكلنا ولا هم إلى نفوسنا، إنك أرحم بنا من كل شيء.



٢٣ - إذا فسدت القلوب لا تنفع فيها حوادث الزمان ﴿قَالَ سَآوِيَ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ﴾ ﴿٤٣﴾.

٢٤ - هل تصوّرت مشاعر أب في هذه اللحظة ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَقِينَ﴾! يا الله! كم هي أشجانُ أب يرى ولده يذهب في لجج الماء وإلى غير لقاء!

٢٥ - لم يكلف الله تعالى عذاب هؤلاء زمناً، فقط أجرى عليهم آية من آياته، وتركهم في غياهب الضياع ﴿وَقِيلَ يَتَّزِشْ أِبْلَىٰ مَاءَكَ وَيَسْمَأْ أَقْلَىٰ وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾.

٢٦ - ﴿وَقِيلَ يَتَّزِشْ أِبْلَىٰ مَاءَكَ وَيَسْمَأْ أَقْلَىٰ وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ انتهت مهمة جنود الله تعالى في الأرض.

٢٧ - ﴿وَقِيلَ يَتَّزِشْ أِبْلَىٰ مَاءَكَ وَيَسْمَأْ أَقْلَىٰ وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ حين تتحوّل أعظم المخلوقات إلى جند من جنود الله تعالى.

٢٨ - ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ ضاع منه في الدنيا؛ فعاد يرجوه في الآخرة، يا الله! كم هو محزونٌ عقوب الأبناء في قلوب آبائهم! ما له ولهذه الآلام التي يبعثها في قلب والده الكبير!

٢٩ - حنان الأبوة بعثر جزءاً من الحقائق الكبرى وأثر على بناء المفاهيم ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٤٥﴾.

قَالَ يَنْتَوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا
 لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
 رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ
 لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْتَوُحُ أَهْبِطْ
 بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ
 سَنَنْتَعِبُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ
 الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ
 هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ
 هُودًا قَالَ يَنْقُومُ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن
 أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ
 أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَنْقُومُ
 أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ
 مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا جُنُومَكُمْ ﴿٥٢﴾
 قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ الْهِنَا عَنْ

قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

التفسير

﴿ قَالَ يَنْتُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ الذين وعدتُك بنجاتهم ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ فاسد، وهو الكفر بالله تعالى ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ما لا تعلم عاقبته وماله ﴿ إِنِّي أَعْطُكَ ﴾ أنبئُك وأحذرك وأبين لك ﴿ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٤٦) بأحكام الله تعالى وشرعه.

﴿ قَالَ ﴾ نوح: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ ما لا أعلم صحته وجوازه ﴿ وَلَا تَغْفِرْ لِي ﴾ ما وقعت فيه من سؤال ﴿ وَتَرْحَمْنِي ﴾ برحمتك ﴿ أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ (٤٧) في كل أعمالي.

﴿ قِيلَ يَنْتُحُ أَهْبِطْ ﴾ انزل من السفينة ﴿ بِسَلَامٍ مِنَّا ﴾ بسلامة وأمن ﴿ وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ﴾ نعم دائمة ﴿ وَعَلَى أُمُومٍ مِمَّنْ مَعَكَ ﴾ بركات كذلك لكل من معك ﴿ وَأُمَمٌ ﴾ وهم من صار كافراً من ذريتهم إلى يوم القيامة ﴿ سَمِعْتَهُمْ ﴾ في الدنيا ﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤٨) يوم القيامة.

﴿ تِلْكَ ﴾ قصة نوح ﴿ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴾ يا رسول الله ﴿ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ ﴾ لولا ما بلغناك من خلال الوحي ﴿ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ من قبل هذا الوحي ﴿ فَأَصْبِرْ ﴾ لكل ما تلقاه من قومك ﴿ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤٩) النهاية الجميلة، والخاتمة الحسنة للمتقين.

﴿ وَإِلَى عَادٍ ﴾ قبيلة من القبائل في الأحقاف من أرض اليمن ﴿ أَخَاهُمْ ﴾ أي في النسب ﴿ هُودًا ﴾ رسول الله ﷺ ﴿ قَالَ يَنْقُومِ الْعَبْدُ وَاللَّهُ ﴾ أي وُحدوه، ولا تشركوا به ﴿ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ ﴾ فلا معبود بحق سواه ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مَفْرُوكٌ ﴾ (٥٠) كاذبون.

• ﴿يَقَوْمٌ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ مالا على دعوتكم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي خلقتني؛ فهو يثيبني على ذلك ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٥١﴾ ما يأمركم به الله تعالى.

• ﴿وَيَقَوْمٌ أَسْتَغْفِرُكُمْ﴾ عما حصل منكم من ذنوب ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ أي فيما تستقبلونه من أعمالكم ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ كثيراً متتابعاً ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ مضاعفة ﴿وَلَا تَنُوتُوا﴾ عن الله تعالى ﴿مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ مستكبرين عن عبادته.

• ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ دليل وحجة على صدق ما جئت به ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ﴾ التي نعبدها من دون الله ﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾ لأجل قولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ بمصدقين ومتبعين.

التدبر

١ - تصحيح المفاهيم من القضايا الضخمة التي غني بها الوحي ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٤٦﴾.

٢ - المشاعر والعواطف غالباً ما تتسبب في انحراف المفاهيم ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٤٥﴾.

٣ - كل علاقة لا تقوم على عرى هذا الدين؛ فلا قيمة لها في النهاية ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٤٦﴾.



٤ - الرسل والأنبياء بشر، وقد يقع منهم الخطأ، ويقوم لهم الوحي التصورات ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

٥ - الأسئلة التي لا تستند إلى رصيد من الوحي لا قيمة لها في الواقع ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

٦ - في مواقف العقيدة بالذات يلغي الوحي العاطفة من أصلها ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

٧ - ورع الأنبياء وتعظيمهم لشعائر الله تعالى وسرعة استجابتهم لأوامر الله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

٨ - الخضوع والذل والإجلال لله تعالى موجب لغفران الذنوب ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ قِيلَ يَنْحُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾.

٩ - مهما طال ليل الظلام فإنه إلى زوال ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

١٠ - ﴿إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وإن طال زمان تلك العاقبة التي ينتظرون.

١١ - ﴿إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ حتى لو سالت الدماء وملأت الطرقات!

١٢ - ﴿إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ حتى لو تحزّبت أمم الأرض، وشاركت بخيلها ورجلها في المعركة ضدّ الإسلام.

١٣ - التوحيد قاعدة الدعوة، وأصلها الثابت، وروحها الناهضة، وأيّ دعوة لا تبدأ من هذا الطريق فلا يمكن أن تستوثق من قلوب العالمين ﴿وَالِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومُ رَبُّكَ اللَّهُ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا لَّمُفْتَرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾.

١٤ - الدعاء أجراء عند الله تعالى ﴿يَنْقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنِ اجْتَرَىٰ عَلَىٰ آلِ الَّذِي فَطَرْنِيٰ أَفْلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٥١﴾ وهداية الناس أسمى من أن تكون مرتعاً لجمع الأموال.

١٥ - إذا رأيته يشترط درجة أولى، وفندقاً مميزاً، وأجوراً مقابل دعوته فآلق على سمعه بهذه الآية إن كان من المعتبرين ﴿يَنْقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنِ اجْتَرَىٰ عَلَىٰ آلِ الَّذِي فَطَرْنِيٰ أَفْلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٥١﴾.

١٦ - الذين يشترطون في الدعوة مالا أو مقابلاً هم أنفسهم يحتاجون إلى دعوة تحيي فيهم مناقب الأنبياء ﴿يَنْقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنِ اجْتَرَىٰ عَلَىٰ آلِ الَّذِي فَطَرْنِيٰ أَفْلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٥١﴾.

١٧ - التوبة والاستغفار باب يلج بأصحابه إلى خيرات الدنيا ﴿وَيَنْقُومُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾.

١٨ - إذا أرادت الأمة غيثاً يصفاح أرضها بعد طول غياب فعليها أن تبدأ رحلة الاستغفار ﴿وَيَنْقُومُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾.

١٩ - في الاستغفار خشوع ورغبة وإنابة وضعف وتخلّ عن الحول والقوة؛ فتدبّر



من أجل ذلك السماء ﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ٥٢.

٢٠ - إن استغفاراً يُدر باب السماء لهو حريٌّ أن يدر باب التوفيق في قلب صاحبه إن أدام الطرق على الباب ﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ٥٢.

٢١ - سلّه كم مرة يستغفر في يومه لتعرف كم هي حاجته لغيث السماء؟ ﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ٥٢. وإذا أجابك؛ سل نفسك أنت: كم مرة تدق باب الفلاح في يومك؟!

٢٢ - مؤلم جداً أن يدلنا الله تعالى على الأبواب التي نلج من خلالها للتوفيق ثم لا نحسن قرعها بإمعان ﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ٥٢.

٢٣ - الاستغفار من أكثر الطرق التي ترزقك قوة، وتعينك على التمام ﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ٥٢.

٢٤ - الذين يبحثون عن القوة يبدؤون رحلة الاستغفار بإمعان، وسيرون ما يرجون ﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ٥٢.

٢٥ - القوة التي يهبها الاستغفار لك قوة في بدنك، وفكرك، ورأيك ومشروعك،

وكل ما يحتاج إلى مدد التوفيق ﴿وَيَقْوِمُ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَرْبَكُكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

٢٦ - التولي عن الحق والإعراض عنه جريمة في حق صاحبه ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

٢٧ - مشكلة العدو ليست في البيئات التي يطلبها، وإنما في الاستكبار الذي لا يقتنع بشيء ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

٢٨ - حتى العدو يفقه الرهان، ويدرك ضرورة الالتزام بالعقائد ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

٢٩ - الاستماتة على الأفكار نوع من التحدي الذي يضربه صاحبه في واقع الأحداث ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

٣٠ - كافر يستमित على الباطل! أفليس من حق صاحب الحق أن يموت من أجل فكرته ورسالته ومنهجه في الحياة؟! ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

إِنْ نَقُولُ إِلَّا أَعْرَضَكَ بَعْضُ إِلَهِنَا يَسُوءُ ۖ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ
 وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي
 جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا
 مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ
 رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ
 ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
 وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ءَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
 وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ
 الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ أَلَا إِنَّ ءَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۖ أَلَا بَعْدَ لِعَادٍ
 قَوْمٍ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۖ قَالَ يَتَقَوْمِ
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ
 ﴿٦١﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَنْ
 نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

التفسير

• ﴿إِنْ تَقُولُ إِلَّا أَعْرَضْتُ عَنْكَ﴾ أَصَابَكَ ﴿بَعْضُ الْهَتَنِاسِوَةِ﴾ جعلك مجنوناً ﴿قَالَ إِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ على أني بريء من شرككم.

• ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله تعالى ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ افعلوا بي ما تشاؤون من الكيد والمكر ﴿ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ لا تمهلوني.

• ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ﴾ اعتمدت عليه في أموري كلها ﴿رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَأْمِنٌ دَائِبَةٌ﴾ من دواب الأرض ﴿إِلَّا هُوَ أَخِذْ بِأَصْنَانِهَا﴾ بمقدم رأسها. بمعنى أنه مالکها والقادر عليها ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٦﴾ على الحق والعدل.

• ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ فقد أوصلت إليكم رسالة الله تعالى ﴿وَيَسْخُلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يقومون بأمره كما أراد ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ بهذا الإعراض ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ ﴿٥٧﴾ يحفظ من كل سوء.

• ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بالعذاب ﴿بَنَيْنَا هُودًا وَآلِيزْنَءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ بلطف وحسن رعاية ﴿وَبَنَيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥٨﴾ شديد.

• ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كفروا بها وكذبوها ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ فلم يطيعوهم ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ﴾ مستكبر ﴿عَنِيدٍ﴾ ﴿٥٩﴾ لا يقبل الحق.

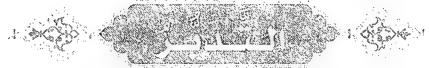
• ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ سخط وغضب من الله تعالى ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ مسخوط ومغضوب عليهم ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ جحدوا نعمه وعصوا أمره ﴿أَلَا بَعْدَ لَعَادٍ قَوْمٌ هُودٍ﴾ ﴿٦٠﴾ هلاكاً لهم.

• ﴿وَالِإِثْمُودَ﴾ وهم قبيلة عاد الثانية يسكنون الحجر ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ نبي الله تعالى ﴿قَالَ يَقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي وحده ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾



لا شريك له ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ خلقكم منها ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ استخلفكم فيها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ عما حصل منكم من ذنوب ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ فيما تستقبلونه من أعمالكم ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ ﴿٦١﴾ قريب مجيب لكل داع.

• ﴿قَالُوا﴾ أي قومه: ﴿يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ أي كنا نرجوك ونؤمل عليك لكمال عقلك ﴿أَنْتَ هُنَا أَنْ تَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ أي أتنهانا عن شيء لم يزل آباؤنا عليه ﴿وَأَنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ ما زلنا شاكين فيما تدعوننا إليه ﴿مُرِيبٌ﴾ ﴿٦٢﴾ شك يدعو للقلق والاضطراب.



١ - الثبات على الطريق فرع عن العقائد في القلوب ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ وإذا خلي قلب منها أصابته قوارع الزمان بالخوف والهلع، ولم يستوثق له طريق.

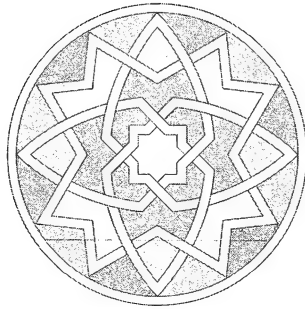
٢ - نجاة الرسل وأصحاب الحق أصل في سنن الله تعالى، وما جاء بخلاف ذلك فلغايات وحكم ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥٨﴾.

٣ - هذه نهايات الظالمين في كل زمان ومكان ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿٥٩﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدَ الْعَادِ قَوْمُ هُودٍ ﴿٦٠﴾.

٤ - رَسَلَ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ نَفْسَهُ (التَّوْحِيدَ أَوَّلًا) ﴿وَالِإِلَى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمِرْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَشْأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (٦١).

٥ - إِدَارَةُ الْمَعْرَكَةِ فَن ﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (٦٢) ﴿جَعَلُوا مَذْمَتَهُ وَمَشْكَلَتَهُ الْكِبَرَى وَقَضِيَّتَهُ الَّتِي لَوْلَاهَا لَكَانَ صَاحِبَ مَكَانَةٍ دَعْوَتِهِ وَرِسَالَتِهِ وَمَنْهَجِهِ وَمَشْرُوعِهِ الْكَبِيرَ فِي الْحَيَاةِ، هَكَذَا تَدَارُ الْمَعَارِكُ!﴾

٦ - آخِرُ مَا كُنَّا نَتَوَقَّعُ مِنْكَ يَا صَالِحُ أَنْ تَقِفَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَحْلَامِ آبَائِنَا ﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (٦٣) ﴿نَوْعٌ مِنْ فَنِّ إِدَارَةِ الْأَفْكَارِ وَالْحَوَارَاتِ!﴾





قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي
 مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ
 تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَتَقَوَّمُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوَهَا
 تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ
 ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ
 ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنِيَّانَا
 صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ
 يَوْمٍ إِذِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا
 فِيهَا ؕ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ؕ أَلَا بَعْدَ الثَّمُودِ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ
 جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ؕ فَمَا
 لِي أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ
 نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزْسَلْنَا إِلَىٰ
 قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ
 وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾



التفسير

• ﴿قَالَ يَنْقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ حُجَّةٌ بَيِّنَةٌ ظَاهِرَةٌ ﴿وَأَنْتَ مِنِّي رَحْمَةً﴾ فَمَنْ عَلَيَّ بِالرَّسَالَةِ ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ يَدْفَعُ عَنِّي عَذَابَهُ وَعِقَابَهُ ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ خَالَفْتَ أَمْرَهُ ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ ﴿٦٣﴾ تَضْلِيلٌ وَإِبْعَادٌ عَنِ الْحَقِّ.

• ﴿وَيَنْقُومُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ بَعَثَهَا اللَّهُ تَعَالَىٰ بِنَاءً عَلَىٰ طَلِبِهِمْ ﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ عِلَامَةٌ عَلَىٰ صَدَقِي ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنْ مُّؤْنَتِهَا شَيْءٌ ﴿وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءً﴾ لَا تَقْتُلُوهَا ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ ﴿٦٤﴾ عَاجِلٌ عَلَىٰ فَعْلِكُمْ.

• ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ نَحَرُوهَا ﴿فَقَالَ﴾ نَبِيُّ اللَّهِ صَالِحٌ: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ اَبْقُوا وَتَمَتَّعُوا فِي مَكَانِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَسَيَأْتِيكُمْ بَعْدَهَا الْعَذَابُ ﴿ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ ﴿٦٥﴾ بَلْ لَا بَدَّ مِنْ وَقُوعِهِ.

• ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بِالْعَذَابِ ﴿بَجَيْنًا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ بِتَوْفِيقٍ وَإِعَانَةٍ وَحَسَنِ نِّهَايَةٍ ﴿وَمِنْ خِزْيٍ يُؤْمِسُ﴾ وَنُنَجِّيهِمْ كَذَلِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿٦٦﴾ فَلَا غَالِبَ لَهُ.

• ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ الْعَذَابُ؛ فَقَدْ صِيحَ بِهِمْ صَيْحَةٌ عَظِيمَةٌ ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جُثُمٍ﴾ ﴿٦٧﴾ هَامِدِينَ.

• ﴿كَانَ لَمْ يَنْفَوْهَا﴾ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعِشُوا وَيَقِيمُوا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ﴿أَلَا بُعْدَ الثَّمُودِ﴾ ﴿٦٨﴾ هَلَاكَ لَهُمْ.. وَكُلُّ أُمَّةٍ

تتخلف عن نهج الله تعالى وتتأخر عن الاستجابة لرسالته سينالها ما نال هذه الأمم، لا فرق.

• ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ من الملائكة ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ مبشرين له بالولد ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ سلموا عليه ورد عليهم ﴿فَمَا لَيْثَ﴾ لم ينتظر ﴿أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ ﴿٦٩﴾ ذهب مسرعاً، وجاء بعجلٍ مشوي.

• ﴿فَلَمَّارًا﴾ إبراهيم ﴿أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ إلى الطعام ﴿نَكِرَهُمْ﴾ استنكر منهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أحسّ بخوف تجاههم ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ طمأنوه ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ ﴿٧٠﴾ إِنَّا رسل ربك إلى قوم لوط.

• ﴿وَأَمْرًا نُهُ فَايَمَةً﴾ على خدمة ضيوفه ﴿فَضَحَكْتَ﴾ تعجباً لنهاية الظالمين ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ ابناً لها ﴿وَمِنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ ﴿٧١﴾ وتلد من بعد إسحاق يعقوب.

التدبر

١ - الحوار وأثره في بناء القناعات وإدارة المعارك ﴿قَالَ يَنْقَوْمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ ﴿٦٣﴾ وَيَنْقَوْمُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا إِسْوَاءً فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ ﴿٦٤﴾.

٢ - مهما بلغ كيد العدو، لا يعفى أهل الإسلام من المسؤولية ﴿وَيَنْقَوْمُ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا إِسْوَاءً﴾

فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ولذلك فإن الدعوة ليست تخلصاً من واجبها وأثقالها، وإنما لا بد أن تبلغ كل ما تملك في سبيل هداية العالمين.

٣ - حتى الأدلة والبراهين لا تستطيع أن تقنع القلوب المحجوبة عن الحق ﴿وَيَقَوْمٌ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذَرْوَهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾.

٤ - إكرام الضيف دين، وأثر من أخلاق الكبار ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ وهو شعيرة جاوزت حدّها في زماننا، وخرجت عن مقصودها، والكبار موكلون إليهم إعادة بناء العادات على الجادة.

٥ - الاستقصاء لحال ضيفك قبيح، والنباهة في حاله ضرورة ﴿فَلَمَّارَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾.

٦ - الخوف الجليلي الطبيعي صفة ملازمة للإنسان، ولا ينفك عن أحد مهما بلغ مقامه ﴿فَلَمَّارَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ والقبيح منه أن يوقف صاحبه عن الخير، ويزجّج به في مدارك السوء والقلق.

٧ - من وعي الضيف أن يطمئن ضيفه، ويذكر له سبب مجيئه؛ ليذهب عنه الروع، ويزيح عنه القلق ﴿فَلَمَّارَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾.

٨ - وذلك كأن تتصل بمن بينك وبينه انقطاع كبير، ثم تواعده على لقاء، ولا تخبره بما تريد، يكفيه ما يقضيه من وقت في تفسير زيارتك، وسبب اتصالك



﴿ فَلَمَّارَةً أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ﴾ (٧٠).

٩ - بعض الأخبار السارة لا تحتملها النفوس ﴿ وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (٧١).



قَالَتْ يَوَيْلَتَىٰ ءَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا
 لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ
 وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ
 عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾
 إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَذَكَّرُ لَهُمْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ
 قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنَا بِهِمْ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا
 جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا
 يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا
 يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقَوْمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ
 ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ
 ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ ﴿٨٠﴾ قَالُوا
 يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ
 مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا
 مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾



التفسير

• ﴿قَالَتْ يَوْنَتَلَيْ﴾ كلمة تعجب ﴿ءَالِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ كبيرة في السن ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾ زوجي ﴿شَيْخًا﴾ رجلاً كبيراً ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٧٢) أمر يدعو للعجب.
• ﴿قَالُوا﴾ الملائكة ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ كيف تعجبين من أمر الله تعالى وهو القادر على كل شيء؟!

• ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ﴾ فضله وإحسانه ﴿وَبَرَكَتُهُ﴾ وهي كل زيادة في الخير ﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ يا أهل بيت النبوة ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ محمود الصفات والأفعال ﴿مَجِيدٌ﴾ (٧٣) عظيم.

• ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الفزع والخوف ﴿وَجَاءَهُ الْبَشَرَى﴾ بالولد ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧٤) قام يجادل في شأن قوم لوط ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ صبور متأنى ﴿أَوَهُ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿مُنِيبٌ﴾ (٧٥) تائب رَجَاعٌ إلى الله تعالى في سائر أموره.

• ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ أي: عن الجدل فيهم ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بعذابهم ﴿وَإِنَّهُمْ عَذَابٌ عَيْرٌ مَرْدُودٍ﴾ (٧٦) واقع بهم لا محالة.

• ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ وصلوا إلى لوط ﴿سَيِّئَ بِيَمِّ﴾ ساءه مجيئهم ﴿وَضَاقَ بِيَمِّ ذَرْعًا﴾ ضاق بهم صدره خوفاً عليهم من قومه ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (٧٧) شديد.

• ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يسرعون ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ أي إتيان الرجال ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿يَقَوْمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ أي عموم نساء المسلمين؛ لأنه في مقام الوالد لهم يدعوهم إلى زواجهن ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ من



إتيان الرجال ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ لا تسيؤوا إليّ بالتعرض لضيوفي ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ ﴿٧٨﴾ عاقل يزرركم عن هذه القبائح.

• ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة أو رغبة ﴿وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ﴾ ﴿٧٩﴾ إنما نريد الرجال.

• ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ أردكم بها عن طلبكم ﴿أَوْ أَوْىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٨٠﴾ يحميني من سوئكم؛ كقبيلة ونحوها.

• ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسلُ رَبِّكَ﴾ إنما نحن رسل من الله ﴿لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ لن يمسوك بسوء ﴿فَأَسِرْ بِاهْلَاكِ﴾ اخرج بهم ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾ بجزء منه ﴿وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى الوراء ﴿إِلَّا أَمْرًا نَّكَ﴾ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ﴿مَوْعِدَ هَلَاكِهِمْ بِحُلُولِ الْفَجْرِ﴾ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ بلى إنه قريب.

التدبر

١ - البيوت الصالحة ينبغي أن تكاثر في أولادها ﴿قَالُوا أَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ ﴿٧٣﴾.

٢ - المفجوعون لا تأخذ منهم رأياً حتى يعودوا من جديد للاستقرار ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ ﴿٧٤﴾.

٣ - غالباً ما تكون الأشياء التي تأتي على مهل موفقة ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ ﴿٧٤﴾.



٤ - يا لِعَظْمَةِ شَأْنِ الرِّسْلِ! تَغْلِبُهُمُ الرَّحْمَةُ، وَتَفِيضُ عَلَى خَوَاطِرِهِمْ، وَتَسْقِي قُلُوبَهُمْ حَتَّى لَكَأَنَّهُمْ هُمُ الْغَرَقَى فِي الْمَشْكَلَةِ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ ﴿٧١﴾ متى نجد مصلحاً ييذل إمكاناته لعز صديق فضلاً عن عدو! وصدق الله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ ﴿٧٥﴾.

٥ - من هذا الذي يصف إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ ﴿٧٥﴾ إنه الله! درس يا قراء السير الذاتية يجب أن يعاد ألف مرة!

٦ - إذا زكَّاه عالم أو صاحب مشروع أو مشهور ذهب يلقي بها على أعين الناس من الفرح، فما يصنع إذا إبراهيم بتزكية الله تعالى له ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ ﴿٧٥﴾.

٧ - إذا بت ليلةً والله تعالى راضٍ عنك فقد ملكت الدارين ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ ﴿٧٥﴾.

٨ - كل المناصب والشرف والتكريم الذي تلقاه إذا لم يكن على صلة بالله تعالى؛ فدعه في عرض الطريق ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ ﴿٧٥﴾.

٩ - من أعظم مباحج هذا الكبير أنه يحسن ما بينه وبين الله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ ﴿٧٥﴾.

١٠ - ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ ﴿٧٥﴾ فن إدارة العلاقات!

١١ - ما أحوجنا إلى إدارة هذا المعنى في حياتنا كل يوم ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ ﴿٧٥﴾.

١٢ - كثيرون يجهدون ويتعبون ويحاولون، ولكنهم لا يحسنون إدارة هذا المعنى بشكلٍ كبير ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ ﴿٧٥﴾.

١٣ - ثمة لحظات لا ينفع فيها حتى شفاعة الكبار ﴿يَتَابَرَهُمُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنَايِبُهُمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ (٧٦).

١٤ - قوارع الأحداث إذا جاءت لا تنفع فيها الشفاعات ﴿يَتَابَرَهُمُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنَايِبُهُمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ (٧٦).

١٥ - الرسل بشر؛ يصيبهم من الغم والحزن والأسى على واقعهم ما يصيب غيرهم ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ (٧٨) كان وجلًا حزينًا خائفًا من اعتداء قومه على رسل الله تعالى!

١٦ - من الطبيعي جداً أن يصيبك قلق على واقعك، وظروفك، وما يواجهك في الحياة شريطة ألا يلقي بك هذا القلق في مساحات اليأس، ويقعد بك عن العمل ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ (٧٨).

١٧ - تاريخ السوء إذا لم يستدرك ظلّ وسماً على صاحبه يطارده في كل مكان، ويعرف به في كل زمان ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾. ١٨ - تصحيح التصورات والمفاهيم من واجبات الكبار ﴿قَالَ يَنْقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾.

١٩ - حين تبلغ انتكاسة الفطرة مداها في حياة الإنسان ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (٧٩).

٢٠ - أكثر الحروب ضراوة تلك التي تدفع بقوة في ساحات القيم والمبادئ ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (٧٩) دفع الغرب اليوم كل ما يملك لتدمير القيم والمبادئ والمثل لتدمير الإنسان.



٢١ - صورة من صور تحوّل المنكرات إلى مشاهد جماعية تدار دون نكير ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ (٧٩).

٢٢ - لا تبرح أيها المصلح مكانك ولو تخطفتك الطير ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقَوْمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ (٨٠).

٢٣ - رأيت بعض المصلحين جمع حقائب سفره، ورحل عن دياره ياساً من العمل، وأبقى ساحات ذلك المجتمع مرتعاً للمفسدين ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقَوْمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ (٨٠).

٢٤ - من السهولة جداً أن نلقي بتبعات الأخطاء، ونتجرد من المسؤولية، ونرحل نبحث عن مساحات الأمن والطمأنينة ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقَوْمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ (٨٠).

٢٥ - كم من صاحب راية في مجتمعه يقوم في وقت النائبات ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾.

٢٦ - ثمة رجل إذا قامت النائبات لم يجد الناس بُدّاً من التوجه إليه ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾.

٢٧ - كن ذلك الرجل الذي إذا حلت النائبات يقوم أقبلوا إليك يستلهمون الخلاص ﴿ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾.

٢٨ - يمكن أن يكون الإنسان رأساً في البدايات في بيته وأسرته، ومسجد حيّه، وواقع عمله، وفي وسط أصدقائه، ثم يكون صاحب الحلّ وقت النائبات في أمته ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾.

٢٩ - لكل شيء نهاية ﴿قَالُوا يَلُوْطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلَوْا إِلَيْكَ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ الْبَيْتِ وَلَا يَنْفَتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾.

٣٠ - إذا قمت برسالتك وواجبك كما أراد الله تعالى فلا تلم نفسك على الضائعين بعد ذلك ﴿إِلَّا أَمْرًا إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ﴾.

٣١ - الأصل أن يبدأ الإنسان في دعوته وخيره وبره وأثره بأهله وزوجه وأسرته، وحسبه في ذلك بذل الأسباب الممكنة ﴿إِلَّا أَمْرًا إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ﴾.

٣٢ - بعض الأشقياء لا تنفعهم مجاورة المصلحين ولو كانوا أقرب ما يكونون إليهم ﴿إِلَّا أَمْرًا إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ﴾.

٣٣ - إلى كل المجتهدين والمتعبين والمثخين من جراح الآلام وكيد المعرضين لم يعد بينكم وبين الفجر إلا القليل ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

٣٤ - حين بلغ اليأس مداه جاءت البشرية تتهادى في عرض الطريق ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

٣٥ - في مرات كثيرة لا يأتي الأمل والفرج ونهايات الفرح إلا بعد زمن ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

٣٦ - لا تيأسوا ولا تستبطئوا نهايات الطريق فما بقي إلا اليسير ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.



فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
 حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا
 هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَى مَدِينٍ آخَاهُمْ
 شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
 وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرِيتُكُمْ بِخَيْرٍ
 وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمِ
 أَتَوْا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾
 بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
 بِحَفِيفٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتَك تَأْمُرُكَ أَنْ
 نَّتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَؤُا
 إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
 كُنتُمْ عَلَىٰ يَدَيْنِي مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
 أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا
 اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

التفسير

- ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ العذاب ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ قلبناها عليهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين متصلب متين ﴿مَنْضُودٍ﴾ (٨٢) صُفَّتْ بعضها إلى بعض متتابعة.
- ﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ معلمة بعلامة بيّنة ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ (٨٣) قريبة من كل ظالم مكاناً وزماناً.
- ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ قبيلة معروفة تسكن مدين ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ نبي الله تعالى ﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ لا معبود بحق سواه ﴿وَلَا نَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ لا تظلموا الناس بأخذ حقوقهم ﴿إِنِّي أَرَأَيْتُمْ يَخْضِرُونَ﴾ بنعم كثيرة عظيمة ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ (٨٤) عذاباً يحيط بكم، ويأتي عليكم ﴿وَيَقَوْمِ أَوْفُوا بِالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوا الناس حقوقهم ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٨٥) بمخالفة أوامر الله تعالى.
- ﴿يَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ما يبقى لكم بعد وفاء الناس حقوقهم خير لكم ﴿إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ بالله تعالى حق الإيمان ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمَفْظِطٍ﴾ (٨٦) لست بحافظ لكم أعمالكم ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْتُكَ﴾ التي تصليها ﴿تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ من وفاء وصدقة ونحوها. يقولون ذلك على سبيل التهكم والسخرية ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٨٧) العاقل حسن التصرف.
- ﴿قَالَ﴾ شعيب: ﴿يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي: عندي بيّنة واضحة ﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ بما من الله تعالى عليّ من الرسالة ﴿وَمَا



أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمُ عَنْهُ ﴿فَلَا أُرِيدُ أَنْ أَمْرَكُمْ بِأَمْرٍ وَلَا أَفْعَلُهُ، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ شَيْءٍ وَأَفْعَلُهُ﴾ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴿وَلَا أُرِيدُ سِوَى صَلَاحِكُمْ وَاسْتِقَامَةِ أُمُورِكُمْ﴾ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴿فَهُوَ الْمَوْفُوقُ لِكُلِّ خَيْرٍ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فَوَضَّضْتُ أَمْرِي ﴿وَالَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿٨٨﴾ أَرْجِعْ فِي كُلِّ أَمْرِي.

التدبر

١ - إذا بلغ الطغيان حدّه جاء العذاب على قدره ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ مشهد لا يتصوّره إلا من رآه وعايّنه.

٢ - إذا أراد الله تعالى أمراً، رتب مشاهدته، وصنع أحداثه، وكتب نهايته كما يريد ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾.

٣ - يد الله تعالى ستطول كل ظالم، وإن طال زمان ظلمه وبغيه وفساده في الأرض ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

٤ - ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ رسالة للذين هم على الطريق نفسه.

٥ - ما أحوج الأمة في زمن الفواحش والفوضى وضياع القيم إلى قراءة هذه الرسالة والعمل على مواجهة آثارها ما أمكن ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

٦ - واقع اليوم مؤسف إلى أبعد ما نتصوّر، وما لم تجتمع مؤسسات الأمة كلها على بناء الإيمان في نفوس الناس بالقدر الذي يجذّر الفضيلة في الواقع، ويحمي شبابها من الضياع وإلا سيطول انفراج الفجر، ويمتد ظلام الليل ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

٧ - الأسرة هي رأس الأمر وذروة سنامه وقاعدته، وعليها أن تولي هذا الجانب علاقة كبيرة ومتينة حتى تسلم من مصادرة عزة أبنائها، وهشاشة قيمهم في مستقبل الأيام ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

٨ - نقص المكيال والميزان ظلم للنفس وللخلق، وضياح للأمن، وخراب لواقع الأمة في مستقبل الأيام ﴿وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾.

٩ - من فقه الداعية أن يأتي إلى قلوب قومه على قدر وسعه وقدرته ﴿وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾ هاتفهم في أول خطابه بقوله ﴿يَنْقُورُ﴾ وذكرهم في نهايته أنهم على خير ﴿إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ﴾ وختم في نهايته بالخوف والقلق على مستقبلهم ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾.

١٠ - حين تلج إلى قلوب المدعويين بإمعان يمكنك أن تلقي إليهم ما تريد ﴿وَيَنْقُورُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

١١ - المكيال المشار إليه في دعوة شعيب هو المكيال الحسي الذي يجري في أرزاق الناس، وهو كذلك المكيال المعنوي الذي يجري في أخلاقهم والتعامل فيما بينهم ﴿وَيَنْقُورُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾.



١٢ - كثيرون يتورعون في المكيال الحسي ويتحرجون، ولكنهم لا يلقون بالاً للمكيال المعنوي في شيء ﴿وَيَقُومُوا أَلْمِكَالَ وَالْمِزَاتِ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٨٥).

١٣ - الحلال القليل خير وأبقى، وأكثر بركة من حرام كثير ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (٨٦).

١٤ - باع سلعته، وسيارته، وبعض حاجاته، وكنتم شيئاً من عيوبها؛ فأخذ مقابلاً كثيراً، ولم يبارك الله تعالى في شيء منها، وباع آخر معيباً وأبرزه؛ فأخذ قليلاً فنثر الله تعالى فيه ما لا يتوقع من البركة ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (٨٦).

١٥ - إذا أردت أن تعرف حقائق هذا المعنى ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (٨٦) فاقرأ حديث رسولك ﷺ: «فإن صدقا وبيننا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكنتما محق بركة بيعهما» (١).

١٦ - كم من قليل مبارك! وكم من كثير أودى بصاحبه في غياهب الفتن والمحن ترى ذلك في مال، وولد، وعلم ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (٨٦).

١٦ - حتى راتبك القليل الذي يبقى بعد الصدقة أبرك بكثير من راتب الكثير الذي لم تتخلله الصدقة ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (٨٦).

١٨ - لم تُصَبِّ العقول بأزمة أكبر من أزمة تأجيرها للآخرين ﴿قَالُوا يَشْعِبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٨٧) يقولون ذلك ساخرين متهمين.

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٠٧٩) ومسلم رقم (١٥٣٢) عن حكيم بن حزام رضى الله عنه.

١٩ - الكبار يدركون حقوق الله تعالى، ويعترفون بأن كل ما هم فيه من نعمه وخيراته ﴿ قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَ لَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

٢٠ - إذا أردنا لأفكارنا أن تأخذ حقها من مفاهيم الناس وأفكارهم وواقعهم؛ فلتتحول إلى واقع تطبيقي في حياتنا كل يوم ﴿ قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَ لَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

٢١ - القدوة تحمل أفكارنا إلى عالم التطبيق دون عناء ﴿ قَالَ يَنْقُورُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَ لَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

٢٢ - ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَ لَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ ﴾ من حق هذه الكلمة أن يقام لها حفل إعجاب وتقدير!

٢٣ - كل مسؤول ومربٍّ وقائد ما لم يجر هذا المعنى بعمق في حياته، ولا لا حظَّ له في الإصلاح ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَ لَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ ﴾.

٢٤ - إذا سمعته يتحدث عن العمل وليس له نصيب من هذا المعنى ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَ لَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُم عَنْهُ ﴾ فمن كمال عقلك ألا ترعي سمعك لشيء من حديثه. استثمر وقتك فيما ينفعك.



وَيَقَوْمٍ لَا يَحْجِرُونَكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ
 نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ
 ٨٩ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ
 وَدُودٌ ٩٠ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا
 لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا
 بِعَزِيزٍ ٩١ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ
 وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ
 ٩٢ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ
 تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ
 وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ٩٣ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
 شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جَثِمِينَ ٩٤ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا
 ٩٥ ﴿٩٥﴾ أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ٩٥ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى
 بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٩٦ ﴿٩٦﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا
 أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ٩٧ ﴿٩٧﴾

التفسير

- ﴿وَيَقَوْمٌ لَا يَعْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي﴾ لا تحملنكم عداوتي وبغضي على ترك ما جئتمكم به ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ لا زماناً ولا مكاناً فيصيبكم ما أصابهم.
- ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ عما حصل منكم من ذنوب ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بالتائبين ﴿وَدُودٌ﴾ محب بهم.
- ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ لا نفهم ما تريد من قولك ﴿وَأَنَا لَنَرَنَّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا﴾ من المستضعفين ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك وقومك ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ لقتلناك رمياً بالحجارة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ بصاحب قدرٍ ومنزلة.
- ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ مكانة قومي أكثر عندكم من مقام ربي وقدره ﴿وَأَتَّخِذُكُمْ﴾ أي الله تعالى ﴿وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا﴾ منبذاً وراء ظهوركم، لا تبالون به ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ لا يفوته من عملكم شيء.
- ﴿وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على طريقتكم وحالتكم ﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾ على حالي وطريقتي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يذله ويهينه ﴿وَمَنْ هُوَ كَذِيبٌ﴾ أنا أو أنتم ﴿وَارْتَقِبُوا﴾ انتظروا ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر ما يحل من أمر الله تعالى.
- ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ العذاب ﴿بِجَنَّتِنَا شُعَبِيًّا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ بتوفيق وإحسان ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ فصيح بهم فهلكوا ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِIRِهِمْ جَثِيمٌ﴾ هالدين لا حراك بهم.



- ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ كأنهم لم يقيموا ويستقروا في قراهم ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ﴾ هلاكاً لهم ﴿كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ ﴿٩٥﴾ كما أهلكت ثمود.
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على صدق ما جاء به ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٩٦﴾ حجة قوية بينة ظاهرة.
- ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ قومه ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ في الكفر ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ ﴿٩٧﴾ وإنما هو غاية السفه والجهل.

التدبر

١ - ما أحلم الرسل على أقوامهم! وما أكثر شفقتهم عليهم! ﴿وَيَقَوْمٍ لَا يُجِزُّكَكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ ﴿٨٩﴾ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ يخوفهم عذاب الأسبقين، ويأمرهم بالاستعتاب من ربهم، وأنه رحيم ودود.

٢ - حين يبلغ العمى مداه ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ ﴿٩١﴾ يأتي لإنقاذهم من الضلال، ويعيونه أنهم لا يفهمون منه، ولولا رهطه لرجموه. ما أقبح الضلال!

٣ - إذا اختلت موازين الشريعة اختل كل شيء ﴿وَإِنَّا لَنَرْنَكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ هذه موازين الجاهلية يحاكمون بها رسول الله تعالى. متى كانت الصورة برهاناً على فضل وعلم؟!

٤ - يذكرني هذا الموقف ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ بعشيرة رسول الله ﷺ التي دخلت الشَّعْبَ معه، وصبرت على مضض الأعداء ثلاث سنوات.



٥ - ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ رسالة في العناية بقبيلتك والاهتمام بهم وشحذهم على أن يكونوا أنصار الإسلام.

٦ - القبيلة تقف درعاً دون أذى رسول الله ﷺ ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ فابنوا يا أيها الدعاة من قبائلكم دروعاً سابغة تقف دون هيشات السفهاء.

٧ - ﴿قَالَ يَنْقَوْمُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (١٢) لا غرابة، فالقلوب التي عاشت الجاهلية ترى قدرها أعظم من كل قدر.

٨ - ﴿قَالَ يَنْقَوْمُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (١٢) رأيت في واقع اليوم من يعظم عادات القبيلة، يصنع منها أصناماً تُعبد من دون الله تعالى.

٩ - حتى الذين تراهم في المساجد، يصنع فرحه وترحه على عادات القبيلة، ويرمي بشرع الله تعالى وراء ظهره ﴿قَالَ يَنْقَوْمُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (١٢).

١٠ - للباطل نهاية وإن طال زمان الانتظار ﴿وَيَنْقَوْمُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَيْكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ (١٣).

١١ - انتظار النهايات التي حكاها القرآن لا يأتي من خلال القعود والفرجة والانتظار، وإنما يأتي من خلال العمل والبناء والتضحية والتحديات ﴿وَيَنْقَوْمُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَيْكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ (١٣).



١٢ - هذا فجر التاريخ الذي ينتظره كثيرون ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ
جِثْمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانُوا يَمْنُونَهَا ۖ أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾.

١٣ - اسألوا هؤلاء المستهزئين بالأمس: ما الذي حل بهم اليوم؟! ﴿وَلَمَّا جَاءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا
فِي دِيرِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانُوا يَمْنُونَهَا ۖ أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾. وإن
لم يجيبوا فسلوا من يقرؤون واقعهم وذكرياتهم وهذه النهايات!

١٤ - ليس من ضروريات الدعوة أن تأتي بالناس منقادين للحق! وإنما عليها
البلاغ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾.

١٥ - مسألة تأجير العقول ضاربة في عمق الزمن ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا
وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ
بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾.

١٦ - غمّي القلوب لا يفرقون بين الرشد والضلال ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا
وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ
بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيُسَّ الْوَرْدُ
 الْمَوْرُودُ ﴿١٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُسَّ
 الرَّفْدِ الْمَرْفُودِ ﴿١٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ
 مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿٢٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا
 أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَابُعٍ ﴿٢١﴾
 وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ
 أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
 ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿٢٣﴾ وَمَا
 نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا
 بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿٢٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنَادُونَ
 لِمَنْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿٢٦﴾ خَلَدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿٢٧﴾
 وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَيُنَادُونَ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴿٢٨﴾



التفسير

- ﴿يَقْدُمُ﴾ فرعون ﴿قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ هو دليلهم وقائدهم إلى النار ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ أوصلهم وأدخلهم فيها ﴿وَبِئْسَ الْوَرْدُ﴾ المدخل ﴿الْمُورُودُ﴾ ﴿٩٨﴾ المدخول فيه وهو النار.
- ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ﴾ في الدنيا ﴿لَعَنَ﴾ طرداً وإبعاداً من رحمة الله تعالى ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ﴾ العون والعطاء ﴿الْمَرْفُودُ﴾ ﴿٩٩﴾ المعطى لهم.
- ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور في هذه السورة ﴿مِّنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى﴾ من أخبار القرى ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ للظة والعبرة ﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾ لا تزال آثاره باقية ﴿وَحَصِيدٌ﴾ ﴿١٠٠﴾ ومنها ما مُحِيتْ آثاره.
- ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ بالعذاب الذي حلَّ بهم ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بمخالفتهم أمر الله تعالى ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهِمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ما ردت عنهم عذاب الله تعالى ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ﴾ ﴿١٠١﴾ تدمير وهلاك وخسران.
- ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ عادة الله تعالى وسنته ﴿إِذَا أَخَذَ الْفَرَى وَهِيَ ظَلِمَةٌ﴾ مخالفة عاصية متمردة ﴿إِنْ أَخَذَهُ﴾ لها ﴿أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ في غاية الألم والشدة.
- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ عبرة وعظة ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ عذاب يوم القيامة ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ يوم القيامة ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ ﴿١٠٣﴾ يشهده المخلوقون.

- ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ﴾ يوم القيامة ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ ﴿١٠٤﴾ موعِد قِيَامِ السَّاعَةِ.
- ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ يوم القيامة ﴿لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ لَا يَتَكَلَّمُ إِنْسَانٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ﴾ وَهُمْ كُلُّ كَافِرٍ بِاللَّهِ تَعَالَى ﴿وَسَعِيدٌ﴾ ﴿١٠٥﴾ وَهُمْ كُلُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ تَعَالَى.
- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا﴾ فِي الدُّنْيَا بِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ ﴿فَفِي النَّارِ﴾ مَقَرُّهُمْ ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ صَوْتُ شَنِيعٍ يُسْمَعُ عِنْدَ إِخْرَاجِ النَّفْسِ ﴿وَشَهِيْقٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ صَوْتُ شَنِيعٍ يُسْمَعُ عِنْدَ إِدْخَالِ النَّفْسِ.
- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ فِي النَّارِ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِخْرَاجَهُ مِنْ عَصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ﴿١٠٧﴾ لَا رَادَّ لِفَعْلِهِ.
- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا﴾ لِصَلَاحِ أَعْمَالِهِمْ ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِدْخَالَهُ النَّارَ قَبْلَ الْجَنَّةِ مِنْ عَصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ﴾ ﴿١٠٨﴾ غَيْرُ مُقَطَّوعٍ.

التَّحْدِثُ

- ١ - مِنْ حَقِّ الْعَبِيدِ أَنْ يَسُوقَهُمُ الْأَدْعِيَاءُ إِلَى سَاحَاتِ جَهَنَّمَ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ﴾ ﴿١٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٨﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَهُ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١٩﴾.
- ٢ - مَا أَكْثَرَ خَطَرَ الْكِبْرَاءِ عَلَى أَقْوَامِهِمْ ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ ﴿١٨﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَهُ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١٩﴾.



٣ - كم اجتال الكبراء والسادة معهم في طريق الضلال من أقوام ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ فَأُورَدَهُمُ النَّارَ وَيُسَّ الُّورْدُ الْمَوْرُودُ﴾ ٩٨ ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَهُ وَيَوْمَ
الْقِيَمَةِ يُسَّ الُّرِفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ ٩٩.

٤ - كم من فرعون في مسلاخ ذاك الهالك! وكم من أتباع في مسلاخ هؤلاء
المخدوعين! ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأُورَدَهُمُ النَّارَ وَيُسَّ الُّورْدُ الْمَوْرُودُ﴾ ٩٨
﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَهُ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُسَّ الُّرِفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ ٩٩.

٥ - كم في هذا القرآن من ذكرى! ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا
قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ ١٠٠.

٦ - بعض قرى الظالمين ما زالت ماثلة تذكر بهم، وتبين عن ما لحقهم من عذاب
﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ ١٠٠ وبعضها انتهى
منها كل شيء، ما أحوجنا للعبر!

٧ - إنما جنوا على أنفسهم ﴿وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ
ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ
تَتَّبِيرٍ﴾ ١٠١.

٨ - من حقهم الآن أن يبحثوا عن نصير في الظلام ﴿وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ
وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَّبِيرٍ﴾ ١٠١.

٩ - أيها العبيد! أين آلهتكم التي منحتموها أفكاركم؟ وعشتم تقتاتون منها الأوهام
﴿وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَّبِيرٍ﴾ ١٠١.

١٠ - هذه عادة الله تعالى وسنته الجارية في الظالمين ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾.

١١ - إذا رأيت مجتمعاً أو قرية أو دولة أو أمة تشرع في الظلم، ولا تقيم لأمر الله تعالى وزناً فانتظر مثل هذه النهايات ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾.

١٢ - حتى الأفراد الذين ظلموا حلَّت بهم نهايات السوء، وجرت فيهم سنة الله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾.

١٣ - هذا ظلم عاملاً، واستنزف عرقه، ولم يعطه حقه، وذاك ظلم زوجة لم يرع الله تعالى فيها حقاً، وثالث أقدم على مال ورثته، وأكله ظلماً، ورابع لم يقيم بحق الأيتام وأتى على كل ما خلف لهم أبوهم، وستحل عليهم النهاية نفسها ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ تَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾.

١٤ - إذا رأيت الله تعالى يؤخّر ظالماً، ولا يجري عليه سننه، فاعلم أنه إنما ينتظر به النهايات الكبرى ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ (١٠٤).

١٥ - أيها المنكوبون والمظلومون والمحرومون! قريباً تنال يد الله تعالى الطغاة ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ (١٠٤).

١٦ - لا تستبظوا نصر الله؛ فإن الله تعالى حكمة يجريها في العالمين ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ (١٠٤).

١٧ - ماذا ينتظر الأشقياء؟ ليتهم اعتبروا قبل الفوات ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾.

١٨ - ثمة موعد للنهاية وإن طال ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾.

١٩ - هذه نهايات الأشقياء ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾.

٢٠ - كم سيقت لهم العبر ولكن دون جدوى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾.

٢١ - ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ درس يحتاج إلى قراءة واعية قبل الفوات.

٢٢ - هذه نهايات السعداء ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ ﴾.

٢٣ - هنياً يا أهل العمل! فهذه مباهج النهايات ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ ﴾.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
 آبَاءَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ
 ﴿١١٠﴾ وَإِنْ كُلًّا لَمَّا لِيُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلُهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
 خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
 فَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا
 تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ
 إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾
 وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ
 الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ
 إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أُنْجِئْنَا مِنْهُمْ وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا
 أَتَرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ
 لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾



التفسير

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ في شك ﴿مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ من الأصنام والأوثان ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ فهم مقلدون، لا علم لهم بشيء ﴿وَإِنَّا لَمُقَوِّمُهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ من الخير في الدنيا، وقيل: نصيبهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ لا نقصهم منه شيئاً.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ فآمن به قوم، وكفر به آخرون ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتقدير أجلهم، وتحدد مدة موتهم ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ لحسم الخلاف بينهم ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من يوم القيامة ﴿مُريبٍ﴾ في قلق واضطراب.

﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَا لِيَؤْفِقَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ لا ينقص منها شيئاً ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا يفوته من ذلك شيء.

﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ﴾ فاستقم على الحق كما أمرك الله تعالى ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ وليستقم كذلك من تاب معك ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ لا تتجاوزوا حدود الله تعالى ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يغيب عنه من أعمالكم شيء.

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لا تميلوا إليهم وتوافقوهم على ظلمهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ بسبب ذلك ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ يمنعونكم من عذاب الله تعالى ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ لا ينصركم أحد من الخلق.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ أوله وآخره ﴿وَزُلْفَاءَ مِنَ اللَّيْلِ﴾ ساعات من الليل ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ تمحوها وتذهب بآثارها ﴿ذَلِكَ﴾ ما وعظتم به في هذه الآيات ﴿ذِكْرٌ لِلذَّكْرَيْنِ﴾ عبرة وعظة للمعتبرين.

• ﴿وَأَصْبِرْ﴾ احبس نفسك على طاعة الله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٥) ﴿بل ينمّيها ويزيد في آثارها﴾ ﴿فَلَوْلَا﴾ ﴿فَهَلَّا﴾ ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ من الأمم الماضية ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ بقايا من أهل الخير والصلاح ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ يقومون بواجب الإنكار على قومهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ فحصل نفع الناهين، ولكنه لم يكن كثيراً بل كان قليلاً ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ انساقوا وتبعوا ﴿مَا أَتَوْا فِيهِ﴾ الترف الذي عاشوه ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١١٦) ظالمين متجاوزين في ذلك.

• ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ من الله تعالى لهم ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١١٧) قائمون بواجبهم في الإصلاح.

التدبر

١ - الموعظة واجب يجب أن يبلغ به حتى الكبار ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُونَ هَؤُلَاءِ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ وَإِنَّا لَمُوقُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (١١٩).

٢ - مهما بلغ شأنك فعليك أن تتلقى موعظة الله تعالى بإيقان ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُونَ هَؤُلَاءِ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ وَإِنَّا لَمُوقُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (١١٩).

٣ - رأيتَه يستمع للمخالفين والضالين، ويزعم أنه يملك النجاة ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُونَ هَؤُلَاءِ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ وَإِنَّا لَمُوقُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (١١٩) كم من ضلال تسلل من هذه الثقة العمياء!



٤ - إياك أن ترخي أذنك لضال، أو تمنح عينك وقتاً في قراءة كتاب شبهة؛ فذلك الهلاك ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ (١٠٩).

٥ - التّكذيب سنة ماضية؛ فلا تكثر بالمعارضين ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (١١٠).

٦ - إذا رأيت مكذباً معارضاً ضالاً فتذكر سير الهالكين، هؤلاء جزء من أولئك ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (١١٠).

٧ - واصل طريقك، فالله تعالى يرصد أعمال المتخلفين ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمَّا لُؤْيَفْنَاهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلُهُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١١).

٨ - الاستقامة لها معالم مرسومة لا تكون إلا بها ﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢).

٩ - إذا أردت أن تعرف واقعك من الاستقامة فانظر أين أنت من وحي هذه الشريعة؟! ﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢).

١٠ - إلى الذين يرقعون دينهم كيف شاؤوا؛ إياكم والعبث! ﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢). وما أحسن ما قال الشاعر:

نرّقع دينانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرّقع

١١ - الاستقامة منهج وليست هوى ﴿فَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢).

١٢ - حتى الذين معك على الطريق نفسه عليهم أن يحملوا المعنى نفسه بامعان ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢).

١٣ - الاستقامة كما أنها تنأى بصاحبها عن التخلف، فإنها تحذره كذلك من الطغيان ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢).

١٤ - التخلف عن مباحج الاستقامة والغلو فيها إخوان من الرضاع ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢).

١٥ - الركون إلى الظلمة موجب للعذاب ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٣).

١٦ - من الركون إلى الظلمة عونهم بشهادة، أو أخذ منهم رشوة، أو التوقيع على معاملة، أو التصويت لهم في وظيفة ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٣).

١٧ - الصلاة مانعة من عذاب الله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (١١٤) وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥).

١٨ - إذا كان الوضوء مفضي لمحو السيئات فما بالك بالصلاة؟! ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (١١٤) وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥).

١٩ - من عرف قدر الصلاة حافظ على إقامتها، ولزم منها ورداً لا يتخلف عنه ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (١١٤) وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥).



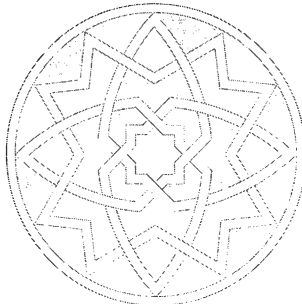
٢٠ - ما خالط الصبرُ قلبَ إنسان ومشاعره إلا عوضه عن كل مفقود، وأعانه على كل ثقل ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٥).

٢١ - الصبر إن كان في الطاعة وجدته عوناً، وإن كان في المعصية وجدته ساتراً عن التماذي فيها ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٥).

٢٢ - ماذا لو كان في قرى الهالكين بالأمس مصلحون؟! ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١١٦).

٢٣ - كم من كارهٍ لمصلح وهو يرفع راية الإنكار! وما دروا أنه مُبقي للخيرات ترتع في رحابهم أزماناً ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١١٦).

٢٤ - القرى التي رزقها الله تعالى مصلحين لم يحل عليهم عذاب الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١١٧) ما أجمل هذا المعنى عند العقلاء!



وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

التفسير

- ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الدين ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ في أديانهم ومعتقداتهم ومذاهبهم وآرائهم.
- ﴿إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ إِلَّا مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِالْحَقِّ، وأكرمهم بالهداية إليه، ووفقهم للعمل به ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ لذلك الاختلاف خلقهم حتى يُعرف أهلُ الحق من أهل الضلال ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ ثبتت كما أراد الله تعالى لها ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ ممن يستحق منهم ذلك.

- ﴿وَكَلَّا تَقْصُ عَلَيكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ ممن ورد ذكرهم ﴿مَا نُنَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ قلبك ليطمئن ويستمر ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ في هذه السورة ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ﴾ يتعظ بها كل إنسان ﴿وَذَكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ يتذكرون بها أوامر الله تعالى.
- ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالله تعالى ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ﴾ حالتكم التي أنتم عليها ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ ﴿١٢١﴾ وَأَنْظِرُوا﴾ ما يحل بنا ﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾ ما يحل بكم.
- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كل ما غاب فيهما من الخفايا ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فلا يفوت منه على الله شيء ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ قم بما أمرك به من العبادة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فوِّض أمورك إليه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ بل أحاط بكل شيء علماً.

التدبر

١ - هذا الخلاف الذي تراه في واقع الناس سنة إلهية ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١١٩﴾.

٢ - السالمون من الخلاف والنزاع والفرقة مرحومون من الله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١١٩﴾.

٣ - لا تبتئس من هذا الخلاف، لولاه لما عرفت الحقائق ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١١٩﴾.

٤ - قراءة قصص الأنبياء والمصلحين دروس للثبات على الطريق ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢٠).

٥ - كل الحقائق وقف على الوحي ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٢٠).

٦ - لا تشغل بالمعرضين، وذكّرهم بيوم اللقاء ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴾ (١٢١) وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴾ (١٢٢).

٧ - املأ قلبك ثقة بربك وامض في طريق دعوتك وتوكل عليه، ولا عليك من الضالين والمتخلفين ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ۖ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٣).

٨ - لا يملك عدوك أي شيء من مقومات النصر؛ فالكون كله لله ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ۖ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٣).

٩ - آمن بربك، واجتهد في بناء مشروعك، وتوكل عليه، ودع النهايات يديرها كما يشاء ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ۖ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٣).



سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ إِإِنِّي رَأَيْتُ
أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

التفسير

- ﴿الر﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ﴾ أي هذه الآيات آيات ﴿الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ الواضح.
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلسان عربي مبين ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تفهمون ما فيه.
- ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ أجملها ترتيباً وسياقاً وبياناً، وكل قصص القرآن كذلك، وقصة هذه السورة من أبداعها وأمتعها وأروعها وأتمها

﴿يَمَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ بما اشتمل عليه هذا القرآن من بيان وجمال ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل نزول الوحي ﴿لَمِنَ الْغَفْلِينَ﴾ لا تعلم من ذلك شيئاً.

• ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿يَتَأْتِيَ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ وتأويل هذه الرؤيا بأن الكواكب إخوته، والشمس أمه، والقمر أباه، وأن يوسف ستنتقل به الأحوال إلى أن يصير في حال يخضعون جميعاً له، ويسجدون له إكراماً وتعظيماً، وهذه النعمة ستشمل آل يعقوب الذين سجدوا له.

التدبِيرُ

١ - من فواتح الخير عليك أن جعل القرآن بلغتك، تفهم منه مراد ربك، وتأتي منه على أمانيك، وذلك من عاجل النعم التي يجب أن تكون منك على بال ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ومن ليس عربياً فيمكنه أن يشمر ساعده لتعلم اللغة والإقبال على القرآن من خلال ذلك.

٢ - القصة من أعذب الأساليب التي تأخذ بلب السامع، وتوصل إليه مقصود الموعظة من أقرب طريق ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَفْلِينَ﴾.

٣ - على الدعاة والمربين والمؤلفين أن يولوا القصة عنايتهم واهتمامهم حتى يأتوا منها على أمانيتهم كما يشاؤون ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَفْلِينَ﴾.



٤ - الرؤى المنامية حق ثابت، تراها في هذه الآية في رؤيا يوسف، وتراها في رؤيا صاحبيه في السجن، وتراها في رؤيا ملك مصر، وكلها حقائق واقعية ماثلة في حياة أصحابها، على ألا يفوتك أن منها رؤى صالحة، ومنها حديث نفس لا علاقة لها بالرؤيا، ورؤى غير صالحة، وكل رؤيا لها منهج شرعي في التعامل معها، فالرؤيا الصالحة لا يحدث بها الإنسان إلا من يحب، وحديث النفس لا يتعلّق به شيء، والرؤيا المحزنة يتعوذ الإنسان من شرها، وينفث عن يساره، وينقلب على جنبه الآخر، ويتوضأ ويصلي الله تعالى، ولا يحدث بها أحداً من الخلق، ولا تضره بإذن الله تعالى.

٥ - الحب ترياق الحياة! وإذا أردت بيتاً صالحاً، وعلاقة وارفة، وحياة جميلة بين الآباء والأبناء فأقم للحب في بيتك شأنًا، وافتح له مجالاً، ووسّع في مساحاته تنل به أحلام الدارين ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ﴾ ٤ ﴿لولا هذا المعنى لما بث يوسف هذه الرؤيا بين يدي أبيه.

٦ - كثيرة هي المشكلات والأزمات التي تعرض لأبنائنا في الطريق، ويقعون في شراكها؛ لأنهم لم يجدوا أباً يُفَضُّونَ له بما يواجهون في الحياة ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ﴾ ٤ ﴿.

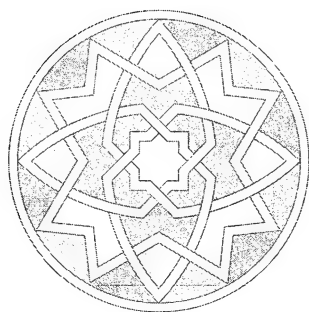
٧ - رأيت بعض الآباء يجتمع أسبوعياً بأبنائه في يوم الجمعة، ويسلمهم مصروفهم، ويستمتع لمشكلاتهم، ويفضي كل واحد منهم بمواقف الحياة التي واجهته في الطريق وكيف حلّها ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ﴾ ٤ ﴿.

٨ - حين يقع بعض الأبناء في بعض الأخطاء ويجدون أباً متسامحاً، فإنهم يفضون له مع الأيام بما يواجههم دون عناء ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ﴾ ٤ ﴿.

٩- مؤلم أن تتسع الفجوة بين الآباء والأبناء حتى لا يستطيع الولد أن يناقش أباه في دراسته وتعثره في بعض موادها، أو زوجة المستقبل، أو وظيفته، أو كيف يشارك في بعض مناسبات زملائه ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (٤).

١٠- للنهايات الكبرى بدايات مقلقة ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (٤).

١١- ثمة أبناء تستطيع أن تراهن عليهم مبكراً بأنهم رؤاد المستقبل وبناء حضارته؛ فقم بحقهم وارع شأنهم، وإياك من فوات آثارهم ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (٤).





قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ
 الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ
 وَيُعَلِّمُكَ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ
 يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ
 عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ
 لِلْسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَا مِنَّا
 وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ
 اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا
 صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي
 غَيِّبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾
 قَالُوا يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ
 ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَا غَدَا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ
 ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ
 الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ
 وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَبِيرُونَ ﴿١٤﴾

التفسير

﴿ قَالَ ﴾ يعقوب ﴿ يَبْنِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ﴾ لا تحكها لهم ﴿ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ﴾ يحسدونك، ويدبرون لك أمراً تهلك به ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ﴿٥﴾ عدو واضح.

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ ﴾ يصطفيك ويختارك ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ تأويل الرؤيا ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ فيجمع لك بين النبوة والملك ﴿ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ ﴾ كلهم ﴿ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ﴾ بالنبوة والرسالة ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ ﴾ بكل شيء، ومن ذلك من يستحق الإكرام ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ﴿٦﴾ في تدبير خلقه وأمره.

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ ﴾ عبر وعظات ﴿ لِلسَّائِلِينَ ﴾ ﴿٧﴾ لكل السائلين عن هذه القصة.

﴿ إِذْ قَالُوا ﴾ إخوة يوسف: ﴿ لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ ﴾ بنيامين ﴿ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عَصَبَةٌ ﴾ جماعة ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿٨﴾ خطأ بين حين فضلها علينا.

﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ غيبوه في أرض بعيدة ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ يتفرغ لكم ويقبل عليكم ﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ ﴾ من بعد إبعاد يوسف من حياتهم ﴿ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ ﴿٩﴾ صالحين في دينكم بتوبتكم من فعلكم، وصالحين في دنياكم بعد خلوها من المنغصات.

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ ﴾ من إخوته: ﴿ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ ﴾ ارموه ﴿ فِي غِيَبَتِ الْجَبِّ ﴾ في قعر بئر ﴿ يَلْقَظُهَا بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾ يأخذه بعض المارة ﴿ إِنَّ كُنْتُمْ فَعِلِينَ ﴾ ﴿١٠﴾ عازمين على ذلك.



- ﴿قَالُوا يَتَّابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَرُنَا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ لَا تَسْتَأْمِنُنَا عَلَيْهِ ﴿وَأِنَّا لَهُ لَنَنْصَحُونَ﴾ ﴿١١﴾ فِي حَفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ وَالْعَنَايَةِ بِهِ.
- ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ﴾ يَتَوَسَّعُ فِي الْمَلَاذِ وَيَأْنَسُ ﴿وَيَلْعَبُ﴾ وَيَمْرَحُ ﴿وَأِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿١٢﴾ مِنْ كُلِّ مَا يَكْرَهُ.
- ﴿قَالَ﴾ يَعْقُوبُ: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ يَصِيبُنِي الْحُزْنُ لِفِرَاقِهِ وَبُعْدِهِ ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ حِينَ ذَهَابِهِ مَعَكُمْ ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ لَاهُونَ ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جَمَاعَةٌ ﴿إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ لَا خَيْرَ فِينَا إِذَا عَجَزْنَا عَنْ حَفْظِهِ.



- ١ - ﴿يَبْنَى﴾ رسالة يبعثها النبي الكريم يعقوب ﷺ إلى كل الآباء يدعوهم فيها للرفق بأبنائهم، والتعامل مع مشاعرهم، ومخاطبة وجدانهم في كل حال.
- ٢ - ﴿يَبْنَى﴾ رسالة تقطر حباً ومشاعر ووجداناً من والد كبير إلى ولده الصغير، فما أحوج الآباء إلى تعلُّم هذا الخطاب الوجداني في كل رسالة يوجهونها إلى أبنائهم في الحياة.
- ٣ - هذا يقول: يا ولد، يا فوضوي، يا قليل الأدب، وذاك يقول: يا حبيبي، يا قلبي، يا روحي، يا أُملي، وهذا خطاب ذاك الكبير ﴿يَبْنَى﴾.
- ٤ - هذا يسجل ولده في جواله حبيبي، روحي، مشاعري، مشروعِي الكبير في الحياة، وذلك يسجله باسمه المجرد، وفاتَهُ خطابُ هذا الكبير ﴿يَبْنَى﴾.

٥ - من بديع إجابة يعقوب لولده أنه ناداه بهذا المعنى البهيج ﴿يَبْنَى﴾ ونهاه أن يقصّ رؤياه، ويّين له سبب ذلك، وذكره بعدوّه الأول، وأنه جالبٌ له الحسرات ﴿قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ وفي مرات كثيرة لا يعتني الوالد بطلب ولده، ولا يهتم به، ولا يعيش مشكلته، وإذا نصحه أغلظ عليه، وذكره بعيوبه، وجمع له همماً جديداً على همومه السابقة.

٦ - من فنون هذا المربي أنه حاول جاهداً أن يباعد كل سبب يفضي إلى الفرقه بين أولاده، ويفرق جمعهم ﴿قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ورأيت آباءً يكرّسون الفرقه دون وعي قائلين: أخوك أحسن منك وأفضل، وأرجل منك، وربما يكرّمون بعضهم على مرأى من بعض بما يثير ضغائنهم، ويحيي العدواة في قلوبهم من جديد.

٧ - احفظ نعمك، ولا تجعلها مشرعة لأسماع الآخرين؛ فذلك أدعى لحفظها ﴿قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

٨ - الاجتماع والائتلاف أصلٌ كبير في جمع الكلمة، ومن وعي الوالد بأثر ذلك أن يحرص على تكوين اجتماعات أسبوعية، ولقاءات شهرية، وأعمال تستوعب الجميع وكلٌّ في تخصصه حتى لا تتباعد القلوب، وكلٌّ يجد ضالته ومشروعه وعمله ﴿قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

٩ - الأسر التي حرصت على هذا المعنى نالها خيرٌ كبيرٌ في النهايات، فعاشوا مؤتلفين متحابين متقاربين، ولم يختلفوا في شيء حتى بعد رحيل آبائهم، وقامت



بينهم مشاريع مشتركة كبيرة ﴿قَالَ يَبْنِي لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ٥ ﴿وتخلف هذا المعنى عن كثيرين؛ لتخلفه من البداية.

١٠ - إذا أراد الله تعالى أمراً صنع له البدايات ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُسَمِّي نِعَمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٦ ﴿.

١١ - نعم الله تعالى مواهب يهبها تعالى من يشاء من عباده المتقين ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُسَمِّي نِعَمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٦ ﴿ وليس بين الله تعالى وخلقه نسب، وإنما يهب على قدر صلاح العبد وقربه منه تعالى وتعظيمه لشعائره، وهذا منال قريب لكل من أراد.

١٢ - النعم الكبار تحتاج إلى مقدمات مثيرة ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُسَمِّي نِعَمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٦ ﴿.

١٣ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ عليم بمن يصلح لهذه النعم، حكيم أين يضعها جل في علاه! ومن عرف الطريق، وسار إليه صادقاً، وأقبل إليه عازماً أفاض الله تعالى عليه بما يشاء.

١٤ - ثمة بيوت يعتني الله تعالى بها ويكرمها، ويفتح لها أبواب التوفيق ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُسَمِّي نِعَمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٦ ﴿ وهي بيوت أسلمت نفوسها لله تعالى، وأقبلت عليه بكل شيء.

١٥ - إِذَا رَأَى اللَّهُ تَعَالَى مَعْتَبِيًّا بِأَسْرَتِكَ، تَشَكَّلَ نَفْسُهُمْ عَلَى مَنَهِجِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَجَهَّدَ فِي قِيَامِهِمْ بِالْحَقِّ أَعَانَكَ اللَّهُ تَعَالَى، وَسَدَّدَكَ، وَفَتَحَ عَلَيْكَ تَوْفِيقَهُ فِي الدَّارَيْنِ ﴿وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلٍ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾.

١٦ - أُنِخْ مَطَايَاكَ فِي ثَنَايَا هَذِهِ السُّورَةِ تَلْقَى مَا تَرِيدُ مِنْ بَصَائِرِ الْأَحْدَاثِ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلْسَائِلِينَ ﴿٧﴾﴾.

١٧ - مَنْ تَدَبَّرَ هَذِهِ السُّورَةَ بِإِمْعَانٍ أَجَابَتْ عَنْ أَسْئَلَةٍ كَثِيرَةٍ فِي وَاقِعِهِ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلْسَائِلِينَ ﴿٧﴾﴾.

١٨ - حِينَ يُوْتَى الْوَالِدُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرِيدُ! ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا مَنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾.

١٩ - يَا أَيُّهَا الْوَالِدُ! إِيَّاكَ أَنْ يَسْتَرْقَ مِنْكَ الشَّيْطَانُ لِحِظَةِ وِفَاءٍ فِي غَيْرِ مَحَلِّهَا ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا مَنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾.

٢٠ - الْحُبُّ الزَّائِدُ لِأَحَدِ أَوْلَادِكَ طَرِيقٌ لِإِشَاعَةِ الْبَغْضَاءِ فِي قُلُوبِ الْأَبْنَاءِ ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا مَنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾.

٢١ - احْتَفِ بِكُلِّ وَلَدِكَ، وَامْنَحْ مَشَاعِرَكَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَهَبْ لَهُمْ جَمِيعًا مِنْ وَجْدَانِكَ، وَلَا يَرَوْا مِنْكَ شَيْئًا زَائِدًا لِأَخَرِ مَهْمَا كَانَتِ الْبَرَاهِينُ وَالْبَيِّنَاتُ ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا مَنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾.

٢٢ - لَا يُنْجِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، كُلُّ الَّذِي كَانَ يَخْشَاهُ يَعْقُوبُ ﴿قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ وَقَعَ فِي النِّهَايَةِ ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا مَنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾.



٢٣ - في مرات كثيرة نستطيع أن نحلل أخطاء الآخرين، ونصف لها العلاج اللازم، ونعجز في الوقت نفسه عن وصف أدوائنا وأخطائنا، هذا يعقوب يحذر ولده من عرض الرؤيا على إخوته لمعرفته بما يقدهه الشيطان في نفوسهم ﴿قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٥﴾ وفاته أن الحب الزائد الذي كان يهبه ليوسف كان مكمناً للداء ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨﴾.

٢٤ - الأشياء الصغيرة في نظرك قد تكون في نظر غيرك جبلاً من الأخطاء ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨﴾.

٢٥ - أكثر الأخطاء خطورة تلك التي تمس مشاعر الإنسان ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨﴾ اعتبروا زيادة الحب التي تزرع في قلوب الإخوة غاية الضلال.

٢٦ - ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ هذا وهو زاد في مشاعره نحو بعض أبنائه فكيف بمن جعل لأحدهم أرضاً، ولآخر سيارة، ولثالث بيتاً، والبقية لم يجدوا شيئاً!

٢٧ - لحظات حب كسرت قلوبهم، وفتنت نفوسهم، فكيف بكلمة أو مالٍ تُدفع لبعضهم دون بعض ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨﴾.

٢٨ - ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ٩﴾ غالب الذين يقعون في المعصية يفكرون بالطريقة ذاتها.

٢٩ - اعمل الذنب وتُب منه فكرة ألقت بكثيرين في مسارب الضلال ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ٩﴾.



٣٠ - في مرات كثيرة نختار الطريق الأبعد والأسوأ لعلاج ظروفنا دون وعي ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ ﴿٩﴾ مع أنه كان هناك ألف طريق.

٣١ - المبادرة تصنع فارقاً في واقع الأحداث ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا نَقْتُلُ يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿١٠﴾ استطاعت المبادرة أن تقلب القتل إلى حياة!

٣٢ - يستطيع المسؤول والموظف في أي مكان أن يحوّل قرارات كثيرة، ويصنع فيها مرونة أكثر من واقعها الذي جاءت عليه، ويحقق المصلحة ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا نَقْتُلُ يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿١٠﴾.

٣٣ - إذا كانت الوظيفة التي تشاور فيها ستساهم في مدّ الخير، وتحويل بعض مخاطره، والتخفيف من أعبائه، فامض إليها، واعتبرها ساحة جهاد لدينك، لا تبرحه ولو تخطفتك الطير ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا نَقْتُلُ يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿١٠﴾.

٣٤ - الحيل معقودة على سببها؛ فإن كان باطلاً فهي كذلك، وإلا فهي حلال وقربى ﴿قَالُوا يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ﴾ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ ﴿١٢﴾.

٣٥ - اللعب واللهو جيلةٌ وطبيعة في نفس كل إنسان ﴿قَالُوا يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ﴾ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ ﴿١٢﴾ وإذا رأيتم كبيراً يلهو في بعض وقته؛ فذلك بعضٌ من تلك الجيلة في نفس كل إنسان.

٣٦ - من فرط حبه أفضى لهم بالخطّة ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ ﴿١٤﴾.



٣٧ - ومن الحب ما قتل ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ
الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا
لُخِيسِرُونَ ﴿١٤﴾ ۞

٣٨ - كن يقطاً لما وهبك الله تعالى من نعيمٍ خائفاً على فواته ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي
أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ وإن وقع
خلاف ذلك مع يعقوب إلا أن الأصل أن النعم لا تبرح متيقظاً خائفاً على الفوات.

٣٩ - كم من نعم تبددت من أناسٍ آمنوا ذهابها، وفرطوا في القيام بحقها! ﴿ قَالَ
إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ ۞.

٤٠ - إذا ألبسك الله تعالى نعمة ومنَّ عليك بشيءٍ فالزم باب العبودية، وتمسك بذلك
النعيم، وحافظ عليه قدر وسعك، وإياك وغفلات الطريق ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ
تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ ۞.

٤١ - إن الله تعالى يغار، ومن اشتد حبه بمخلوق ابتلاه الله تعالى به!



فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَ
أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ
بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى فَمِصَّةٍ
يَدْمِرُ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا
وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَّوهُ بِشَمْسٍ بِخَيْسٍ
دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأُمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ
يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى
أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾



التفسير

- ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ خرجوا به من عند أبيه ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ﴾ في قعر البئر ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ أخبرناه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ سننجزيك ثم ستخبرهم بفعلهم بعد ذلك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١٥ لا يشعرون بأنك أنت الذي تخبرهم في ذلك الوقت لإيقانهم أنك هالك.
- ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً﴾ في الليل ﴿يَبْكُونَ﴾ يتباكون ﴿قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ﴾ فيما بيننا ﴿وَتَرَكْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا﴾ يحرسه ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ في حال غيابنا عنه ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ بمصدق لما نقول ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ١٦ فيما نقول.
- ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أخذوا قميص يوسف ولطخوه بدم إيهاماً بأكل الذئب له ﴿قَالَ﴾ والده: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ زينت لكم ﴿أَمْرًا﴾ قبيحاً من المكر ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ وهو كل صبر لا شكوى فيه ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ١٧ ومن الله تعالى العون على ما تفعلون.
- ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ قافلة تريد مصر ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ من يرد الماء ليسقيهم ﴿فَادَّانِي دُلُوهُ﴾ أنزله للبئر فتعلّق به يوسف ﴿قَالَ يَبْشُرِي﴾ مستبشراً ﴿هَذَا غُلْمٌ﴾ وجد في البئر ﴿وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً﴾ أخفوا يوسف من أن يراه أحد فينازعهم فيه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ١٨ يعلم كل ما يفعلون مع يوسف وهو حافظه وهاديه.
- ﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعوا يوسف ﴿بِثَمَنِ بَخْسٍ﴾ بثمان زهيد يسير ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ يسيرة لا تساوي شيئاً كثيراً ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ ١٩ قليلي الرغبة في بقاءه معهم.

• ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ وهو عزيز مصر ﴿لِامْرَأَتِهِ﴾ زوجته ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ اعطني به غاية العناية ﴿عَسَى أَنْ يَفْعَنَّا﴾ في أمور دنيانا ﴿أَوْ نَخْذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ بإنجائه من الجُب، وشراء عزيز مصر له، جعلنا كل ذلك مقدمة لإكرامه ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ بالعلم وتأويل الرؤيا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ لا يعجزه عما يريد شيء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿حِكْمَةً اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا يَفْعَلُ﴾.

• ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ كمال قوته المعنوية والحسية ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ أعطيناه فهماً ﴿وَعِلْمًا﴾ وآتيناه علماً ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ وهذا جزاؤنا لكل محسن في عبادته ومعاملته.

التدبير

١ - إنما تنزل ولاية الله تعالى على أوليائه في أحوج ما يكونون إليها ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنْبِتْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ أخذوه من أبيه، وانفردوا به عن الناس، وذهبوا به إلى صحراء مجدبة من كل شيء، ثم رموه في بئر في تلك الأرض، ونسوا أن ولاية الله تعالى تلاحق أصحابها في أحلك الظروف وأكثر الأوقات ألماً.

٢ - أمعن في طريقك مع الله تعالى ولا تضرك صيحات الناكسين، فإله تعالى معك ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنْبِتْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾.



٣ - هل تصوّرت إخوة يرمون أخاهم في الظلام في قعر البئر ثم يتولون! نعم حين يبلغ الحقد والحسد مداه! ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٥).

٤ - إذا تصوّر الآباء هذه النهايات التي تحكيها سورة يوسف بين الإخوة أدركوا خطورة أي تصرف معهم لا يتم على وفق هذه الشريعة ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٥).

٥ - يا أيها الآباء! إياكم أن تخالفوا منهج الله تعالى مع أبنائكم فتأتون على هذه النهايات ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٥) قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ الدِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (١٧).

٦ - الحقد يغلب مشاعر الأخوة، ويصنع مشاهد الختام باقتدار ﴿وَجَاءَ آبَاَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (١٦) قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكَلَهُ الدِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (١٧).

٧ - الكبار يحسنون اللوذ بالله تعالى عند الأزمات ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

٨ - أدرك يعقوب ما فعل أبنائه، وأبان عن عجزه، وسأل الله تعالى الصبر والسلوان ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ هكذا يصنع المتقون!

٩ - بدأت مشاهد الحياة والفرج والنصر والفرح من جديد ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩).

١٠ - حتى لو كنت على بوابة السجن، ووداع الأهل، ورحيل الأصدقاء، فستأتي اللحظة الي تبعث في قلبك الأمل، وتعيد فيك فال الحياة من جديد ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَعَّةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ١٩﴾ .

١١ - ﴿ وَشَرُّهُ بِشْمٍ بِخَسِ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ٢٠﴾ هذه أولى البشائر، وجد مَنْ ينزعه من البئر، ويزهد في ثمنه في الوقت ذاته!

١٢ - إذا أراد الله تعالى أمراً صنع له الطريق ﴿ وَشَرُّهُ بِشْمٍ بِخَسِ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ٢٠﴾ زهدهم فيه حتى لا يُيقوه معهم طويلاً!

١٣ - لا تتعجل بتسريح ما في يدك؛ فقد تكون أحوج ما تكون إليه بعد الفوات ﴿ وَشَرُّهُ بِشْمٍ بِخَسِ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ٢٠﴾ ماذا لو دروا بَعْدُ ما أعد الله ليوسف ﴿ ٢١﴾! رأيت هذا في صور كثيرة، وكم من نادِم بعد الفوات!

١٤ - لا بد من صورة يكتمل من خلالها مشهد النهاية ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ٢١﴾ .

١٥ - جرت سنة الله تعالى في الأرض أن الحياة وقف على الأسباب ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ٢١﴾ .

١٦ - الفراسة تضع صاحبها على أبواب التوفيق ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ٢١﴾ .



١٧ - غالباً لا يأتي التمكين إلا بعد الابتلاء ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾.

١٨ - ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سلوى للمسجونين والمطرودين والمضطهدين في كل مكان.

١٩ - لا تسل كيف جاءت النهايات ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٢٠ - نسي إخوة يوسف هذا المعنى ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فصنعوا تلك المحاولة البائسة في طريق الأحلام.

٢١ - كن مع الله تعالى، وتوكل عليه، وأقم قلبك على دينه، وستبوء كل المحاولات التي يصنعها العدو بالفشل والخسران ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٢٢ - وضعوه في الجب، ورفع الله تعالى على سرير الملك، وبيع عبداً، وجعله الله تعالى صاحب الملك ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٢٣ - ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أخرجته عناية الله صغيراً من بئر في الفلاة، وزهد فيه من أخرجه من البئر، فباعه بأبخس الأثمان، وحين اصطفاه الملك أفاض بالحب على قلوب مستقبله حتى يتمكن من إدارة شؤون مستقبله باقتدار ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٢٤ - تلك المقدمات لا تستحق إلا مثل هذا الجزاء ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٢).

٢٥ - من كمال حكمة الله تعالى أنه لم يضع نعمه إلا في موضعها، ومن كمال وعيك أن تصنع ذلك في نعمك ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٢).

- ٢٦ - أحسن ما بينك وبين الله تعالى وانتظر الخيرات ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.
- ٢٧ - مُدَّ يَدُكَ وَجَاهُكَ وَمَسْئُولِيَّتُكَ وَوُضُفَتُكَ لِلْمُحْتَاجِينَ، وَسَيَفِيضُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكَ نِعَمَهُ ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.
- ٢٨ - ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ سَنَّةٌ تَجْرِي فِي الْعَالَمِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ!
- ٢٩ - كُنْ يَقْظًا لِإِثَارَةِ هَذَا الْخُلُقِ فِي وَاقِعِكَ مَعَ وَالِدَيْكَ وَزَوْجِكَ وَوَلَدِكَ وَزَمَلَانِكَ وَأَصْدِقَائِكَ وَعَامِلِكَ، وَكُلِّ مَنْ تَلْقَاهُمْ فِي عَرْضِ الطَّرِيقِ، وَانْتَظِرْ كَرَامَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.
- ٣٠ - وَقِفْ مَعَ يَتِيمٍ حَتَّى بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَعَانَ مَعْسُراً حَتَّى قَضَى دِينَهُ، وَأَنْجِزْ مَعَامَلَةَ عَجُوزٍ، وَتَكْفُلْ بِإِعَانَةِ طَالِبٍ عِلْمٍ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ، فَجَاءَهُ نَعِيمٌ ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.



وَرَوَدَتْهُ أَلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ
 وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ
 لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا
 أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ
 وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا
 الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ
 قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ
 أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
 الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ
 الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ
 كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا
 وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ✽
 وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ
 قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾



التفسير

• ﴿وَرَزَوَدَتْهُ﴾ حاولت إغراءه ﴿الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ أي امرأة العزيز ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ ليوافقها ﴿وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ أحكمت قفلها ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ تعال وأقبل. تدعوه لفعل الفاحشة بها ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله مما تدعوني إليه ﴿إِنَّهُ رِجْفٌ﴾ أي إن زوجك هو من رباني ﴿أَحْسَنَ مَثْوًى﴾ وأكرمني ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣) المعتدون على حقوق الناس.

• ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ مالت نفسها له ﴿وَهُمَّ بِهَا﴾ مال إليها بمقتضى الطبيعة البشرية ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ تذكّر أمر الله تعالى وميثاقه الذي أخذه على عباده ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ﴾ لنبعد عنه ﴿الْسُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ وهي كل ما يسوء ويفحش من ظلم الرجل في أهله ومواقعة الزنى ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٤) الذين أخلصناهم لطاعتنا وعصمناهم من السوء.

• ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ بادر يوسف إلى الباب وسابق إليه هرباً منها، وبادرت هي وسابقت للحاق به ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ﴾ قطعت قميصه ﴿مِنْ دُبُرٍ﴾ من خلف من شدة تعلقها به ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ وصادفها زوجها عند الباب ﴿قَالَتْ﴾ لما رأت زوجها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ فاحشة ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾ إما أن تسجنه ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٥) أو تعذبه عذاباً أليماً.

• ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿هِيَ رَزَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ هي التي طلبت مني ذلك ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ قام شاهد من أهلها حاكماً في الخلاف بينهما قائلاً ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ﴾ الذي يلبسه ﴿قَدْ﴾ قطع ﴿مِنْ قُبُلٍ﴾



من الأمام ﴿فَصَدَقَتْ﴾ في أنه أرادها بسوء ﴿وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ ﴿٢٦﴾ لأن هذه قرينة على إرادته إياها.

• ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ﴾ قطع ﴿مِنْ دُبُرٍ﴾ من الخلف ﴿فَكَذَبَتْ﴾ في اتهامها له ﴿وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ لأن هذه قرينة على محاولتها الجادة وهربه منها.

• ﴿فَلَمَّا رَأَى﴾ أي العزيز ﴿قَمِيصَهُ﴾ قميص يوسف ﴿قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾ قطع من خلف ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ مكرك وإرادتك ﴿إِنْ كَيْدُكُنَّ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢٨﴾ كبير.

• ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ عن الحادثة لا تتحدث فيها، وانسها كلياً ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾ عما أردت من الفاحشة ﴿إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ بفعلك ذلك.

• ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ لما سمعوا الخبر ﴿أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ تُرْودُ فَتَنْهَاعَنَ نَفْسِهِ﴾ تريده أن يزني بها ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ استحوذ على قلبها ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٣٠﴾ خطأ بين واضح؛ إذ كيف ترضى مع ملكها وملك زوجها أن تغري خادمها في البيت أن يزني بها.



١ - لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣١﴾.

٢ - كل من تساهل في هذا الطريق جاءه منه العطب وهو لا يشعر ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣).

٣ - ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣) رسالة لأصحاب الخدم والسائقين والعمال لعلها توقظهم من سبات الغفلة! وإذا كان بعض أولئك فيهم جمال؛ فقد جلب الرجل بيده الفاحشة إلى بيته.

٤ - كلما قربت الفتنة تهيأت أسباب الفاحشة ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ ما كان لها أن تصنع ذلك لولا أن يوسف عليه السلام كان معها وفي بيتها.

٥ - وسائل التواصل الاجتماعي كبيت العزيز قد تشرف بكثيرين على الهلاك كما أشرفت بهذه المرأة ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣) من تساهل فيها ألقته به في تيه الشهوات!

٦ - من كمال العقل أن يكون جوال الزوجين في متناول بعضهما دون تحرُّز برقم سري أو نحوه ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣) وإذا رأيت أحدهما يحرص على حجب جواله عن الآخر فاعلم أن ذلك ريبة.

٧ - كل من زج بينته أو زوجه في مهنة فيها اختلاط دون أن يحرس قيمها ومبادئها، ويضمن لها المباحة عن الرجال؛ فقد أدخلها في الوحل، وأقفل عليها بكلتا يديه ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣).



٨ - ثق في زوجك بقدر، ومارس ولايتك كرجل، ولا تمكنها من فوضى تودي بها مع الزمن إلى الهلاك ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾.

٩ - رأيت بعضهم أدخل إلى بيته كل القنوات الفضائية، واشترى لها لوازمها من التقنية، وتخرج زوجه من بيته في أية ساعة شاءت، وتتواصل كيفما شاءت؛ فأصابه العطب من تفريطه، وعاد يبكي أيام الحسرات ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾.

١٠ - كثرة دخول الغريب وخروجه مؤذنة بالفساد ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ ما كان للمرأة أن تصنع ذلك لولا كثرة الخلطة المفضية لتزع الكلفة.

١١ - لا تستصغرن شيئاً مهما كانت ضالته، فمعظم النار من مستصغر الشرر ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٥﴾.

١٢ - في مثل زماننا الذي أصبح الفساد تقنية لا يقوم في وجه ذلك إلا التربية على القيم، والمبادئ، والتذكير بالله تعالى، والدعاء، وبذل غاية الوسع في مدافعة ذلك بكل ممكن ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾.

١٣ - إذا علم الله تعالى صدقك أخرجك من حالك الظلام ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ

مَثَوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ تأمل كيف أخرج الله تعالى يوسف من قعر
بئر، وأخرجه من شهوات النساء!

١٤ - كُلُّ يَقْضِي مِنْكَ وَطَرَهُ فَحَسْبُ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ
أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴿٢٥﴾ هذه أمنية العزيز من يوسف،
وأمنية زوجته ﴿٢٦﴾ وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ
هَيْتَ لَكَ ﴿٢٧﴾.

١٥ - الوفاء من طبع الكبار ﴿٢٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثَوَايَ ﴿٢٩﴾ كم من مواقف
كرم أفاض عليها النساء قبائح الأفعال!

١٦ - ﴿٣٠﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثَوَايَ ﴿٣١﴾ فن في إدارة المعركة! التي تصنع
هذا الترتيب، وتتوهج فيها الشهوة لهذه الدرجة، لا يردعها خوف الله؛ فحاول أن
يصفعها بحق الزوج، لعلها تفيق من غفلتها!

١٧ - إذا أراد الإنسان شيئاً بذل له كل الأسباب الممكنة ﴿٣٢﴾ وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي
بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴿٣٣﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ
مَثَوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ خَطَّطْتُ، وَرَبَّيْتُ، وَرَاوَدْتُ، وَغَلَقْتُ
الأبواب، ودعته لارتكاب الفاحشة.

١٨ - إذا تولت المرأة شأن هذه القضية فيوشك أن يهلك صاحبها ما لم يحرسه
الإيمان ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بُرْهَنَ رَبِّهَ ﴿٣٧﴾ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ
عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٨﴾.

١٩ - إذا أردت أن تختبر إيمانك فانظره في ساحات النساء ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَهَمَّ
بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بُرْهَنَ رَبِّهَ ﴿٤٠﴾ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٤١﴾.



٢٠ - التساهل في البدايات مفضّل لسوء الخواتيم ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّآهُنَّ رَبِّهٖۙ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٢٤﴾
لم تصنع امرأة العزيز كل هذا إلا بعد أن استغرقت زمناً في الطريق.

٢١ - كل دائرة أو وظيفة أو مساحة حصل فيها اختلاط بين الجنسين فهي مساحة شُفِكت فيها دماء الفضيلة، وأريق فيها دم الحياء ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّآهُنَّ رَبِّهٖۙ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٢٤﴾.

٢٢ - تعرّف على الله تعالى في الرخاء يعرفك في الشدة ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّآهُنَّ رَبِّهٖۙ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٢٤﴾.

٢٣ - إذا أقبلت إلى الله تعالى صادقاً هياً لك أسباب التوفيق، وحرسك من الخذلان ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّآهُنَّ رَبِّهٖۙ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٢٤﴾.

٢٤ - الصدق والإخلاص هو الطريق إلى النجاة ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّآهُنَّ رَبِّهٖۙ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٢٤﴾.

٢٥ - ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ دعوة لبناء هذا المعنى الكبير الذي يقف عارضاً دون النكبات.

٢٦ - ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ وقف سداً منيعاً أمام أكثر الشهوات إغراءً.

٢٧ - فرق كبير بين إنسان يؤدي صورة العبادة، وآخر يهب لها روحه وقلبه ومشاعره وكل شيء من وجدانه ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

٢٨ - تعرّف على هذا العمل الكبير ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ وابدأ رحلتك معه تلقى منك في الدارين.

٢٩ - لولا هذا المعنى ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ لما تصورت هذه النهاية ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ، مِنْ دُبُرٍ﴾.

٣٠ - الهروب من أماكن الفتن ترفع عن وحل الشهوات ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾.

٣١ - يشتكي أنه أضاع إيمانه بعد صلابة جذره قائلاً: ترخصت في الصور، وجعلت عيني مشرعة على النساء، وألقيت بقلبي في هموم الشهوات حتى خرب، بخلاف هذا الكبير الذي هرع إلى النجاة وولّى هارباً عن مواضع الفتن ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾.

٣٢ - كان أحدهم لا يسافر وحده، وإذا اضطر وضع لنفسه نظاماً لا يفتح شيئاً مغلقاً حتى يعود ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾.

٣٣ - الذين وقعوا في الحرام غالباً هم الذين تفسحوا في ساعات الفراغ ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ﴾.

٣٤ - حين اكتشف زوجها مطاربتها ألقت بالتهم على كاهل الغريب دون حياء ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ، مِنْ دُبُرٍ وَالْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٥).

٣٥ - لا تستغرب هذا الذكاء ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ، مِنْ دُبُرٍ وَالْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٥) فالمرأة تدبر أكبر من ذلك الشأن.



٣٦ - مشكلة بعض الرجال لا يحضرون مشاهد الفوضى من نسائهم إلا متأخرين ﴿وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَا أَلْبَابٍ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٣٧ - الإجابات المعلّبة تصلح لمثل هذا النوع من الرجال ﴿وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَا أَلْبَابٍ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أدركت أنه لن يخرج لحل ثالث فجعلته بين اختياريين.

٣٨ - العزة بالحق، والصدق في القول، ونفي التهم عن النفس: ضرورة مهما كان موقف الإنسان في ذلك الوقت ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ قال ذلك وهو مجرد أجبر عند ملك.

٣٩ - من جمال الحقيقة أن شهودها لا يحتاجون إلى عناء ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾.

٤٠ - الصدق يتكفل بمشاهد النهاية ﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ جاء بشاهد من أهلها ونطق بالحقائق.

٤١ - البيوت المفتوحة لا تضيرها عثرات الأعراض ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ عرف أن امرأته هي التي أدارت الحكاية، ولم يزد على أن قال لها: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.

٤٢ - يغيب أشهراً عن البيت والسائق هو الذي يدير كل شيء ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ ۖ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ وتريده أن يستاء لمثل هذه المشاهد.

٤٣ - الثقة العمياء لا تبقي للأعراض شيئاً مستوراً ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ ۖ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾.

٤٤ - إذا كثر الإمساس بطل الإحساس ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ ۖ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾.

٤٥ - المجتمعات المفتوحة لا تبالي بما يصيب بيوتها من الإهمال ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرْنَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٣٠).

٤٦ - إذا هتك العبد ستر الله هتك الله تعالى ستره في العالمين ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرْنَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٣٠) من مرادة بين جدران قصر إلى حدث تتناقله أوساط المدينة!

٤٧ - من لم يحم بحقوق الله تعالى هان في أعين المخلوقين ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرْنَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٣٠).

٤٨ - النساء إلى سماع هذه الأخبار بشوق ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرْنَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٣٠).



٤٩ - مكر النساء عجيب ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَهَاعَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا﴾ امرأة العزيز وليست أي امرأة، وزوجها عزيز مصر، ومن تراوده مملوك، وهو فتاها، وهي التي تدير شأن المراودة، وقد بلغ عشقها منتهاه، وفي الختام ﴿إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لم يبقوا لها موطئاً توطأ عليه، ولا نافذة تجد منها عذراً في العالمين!

٥٠ - تفقد نفسك وبيتك في كل حين، فكم من خبرٍ عنك لا تعرفه! وفي بيتك أسرار يعرفها الآخرون قبلك ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَهَاعَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠).

٥١ - إذا أردت خبراً فانتظره من امرأة ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَهَاعَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠) مؤلم أن يكون ذلك هو هاجس كثيرات!

٥٢ - إياك أن تحوم حول حوادث البيوت والأعراض فتلك صناعة النساء الفارغات ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَهَاعَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠).

٥٣ - في مثل زمانك لا فرق بين رجال ونسوة المدينة في شيء، تجدهم في مجالسهم يأكلون لحوم الخلائق، ويقذفون أعراض المسلمين في كل لقاء ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَهَاعَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠).

٥٤ - إذا رأيت رجلاً مشغولاً بحوادث النساء ومشكلات البيوت وهيشات الأحوال فهو ذكّر في مسلاخ امرأة ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَهَاعَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠).

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَهَاتَتْ كُلَّ
وَحِيدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ
وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ
كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ
نَفْسِيهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَفْجُرَنَّ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ
الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ
وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾
فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ
﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَرْبَا
أَعَصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَرْبَا أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا
تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَثْنَا بِنَاوِيلِهِ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ
﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْفَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ
أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾



التفسير

• ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ بإنكارهنَّ عليها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ يأتين إليها ﴿وَأَعَدَّتْ لهنَّ مَثَكًا﴾ جهّزت لهن مكاناً للجلوس ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ أعطت كل واحدة من الحاضرات سكيناً لقطع ما في أيديهن من طعام ﴿وَقَالَتْ﴾ ليوسف ﴿أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾ على النساء ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾ بجماله الذي خلقه الله تعالى عليه ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ أعظمته لجماله ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهاً لله تعالى ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ أي إن يوسف ليس ببشر من الناس ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٣١) ملك من الملائكة الكرام.

• ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ هذا هو الفتى الذي عيرتني بحبه ﴿وَلَقَدْ رَوْدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ حاولت إغراءه ﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾ امتنع ورفض ﴿وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ﴾ من فعل الفاحشة ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾ ليودعن في السجن ﴿وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ (٣٢) وليكونن ذليلاً حقيراً.

• ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ﴾ سجنني ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ من الفاحشة ﴿وَأِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ محاولتهن في ذلك ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أميل إليهن، وأوافقهن فيما يردن ﴿وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣) ممن يعمل عمل الجاهلين ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ فصرف عنه كيدهن ﴿بِتَوْفِيقِهِ﴾ وهدايته ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لكلام القائلين ودعاء الداعين ﴿أَلْعَلِمُ﴾ (٣٤) بأحوال الملتجئين.

• ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ﴾ للعزيز ومن معه ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ﴾ الدالة على براءته ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٣٥) إلى زمن معين رغبة في ذهاب أثر الخبر ونسيان القصة.

• ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ شابان ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ رأى رؤيا وقصها على يوسف ﴿إِنِّي أَرْنِي أَحْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتُنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ بتفسير الرؤيا وما تؤول إليه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٦) من أهل الإحسان مع الله تعالى ومع خلقه.

• ﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ لا يأتیکما طعام إلى السجن إلا أخبرتکم به قبل أن یجیء إلیکم، وقیل: لا یأتیکما طعام فی المنام ﴿ذَلِكُمَا﴾ هذا العلم ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ ليس من عندي، وإنما هو من فضل الله عليّ وتعليمه لي، وليس من أمر الكهانة في شيء، وسبب ذلك ﴿إِنِّي تَرَكْتُ﴾ هجرت ﴿مِلَّةَ قَوْمٍ﴾ ديانة قوم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣٧) لا یقرون بالبعث ولا یؤمنون بالله تعالى.

التدبیر

١ - إذا أردت أن تعرف صقالة عقول النساء فانظر لهذه الجموع اللاتي يمشين لبيت العزيز ليرين فتاها الذي ولهت به ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٣١).

٢ - جزء من الحضارة المنكوسة هذه المشاهد الجماعية الرذيلة ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٣١).



٣ - حين تخرج المرأة من بيتها، ولا تجد سائلاً، تفتح الرذيلة ذراعيها على مصراعيها ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

٤ - خروج جزء من النساء للأسواق والمطاعم ولساعات طويلة، ولقصور الأفراح وللبيوت ولساعات طويلة، يشبه إلى حد كبير خروج نسوة المدينة ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

٥ - غاية هذا الاجتماع النسائي إعدار امرأة العزيز والتصفيق لها على مشهد الشهوة ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ يا لحقارة الشهوات!

٦ - وإني لأخشى بعد زمن أن تكون جزء من اجتماعات النساء على البرامج الفضائية هي من باب اجتماعات نسوة يوسف ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

٧ - في مرات كثيرة لا ترى المرأة من الرجل إلا صورته، وتتفاجأ في النهاية بكل شيء ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ فكيف بصوره وأحواله اليومية في وسائل التواصل الاجتماعي، ويتم التواصل بأسرع الطرق وأبسطها.



٨ - حين يتحوّل المنكر إلى مشهد فرح ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

٩ - إذا نوزعت المرأة على رغبتها في رجل دفعت كل شيء من أجل الوصول ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

١٠ - في حادث الرذيلة الأولى إذا لم يؤخذ على أيدي العابثين وإلا بات عرفاً لا يستخفى به عن العالمين ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

١١ - حين تكون الرذيلة مصدر فخر وعز عند المرأة ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

١٢ - أول خطوة في الرذيلة كافية بمواقعة الفاحشة في النهاية ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ عُدْنَ كُلهن يصفقن على مشهد المحاولة ويعذرنها عن طلب الفاحشة!

١٣ - القلوب المحبة لا تقول عن محبوبها إلا ما يزين حتى وإن عصاها وخالفها في الهوى ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

١٤ - حين يغيب الرجال عن البيوت تدبير المرأة شأن بيتها بالفوضى ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.



١٥ - الأصل أن البيوت التي لا قوامه للرجل فيها يتهاذى إليها الانحلال من نوافذ كثيرة ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُصْجَنَ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ ﴿٣٢﴾.

١٦ - جرت العادة أن كل ممنوع متمتع عن صاحبه مرغوب متبوع ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُصْجَنَ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ ﴿٣٣﴾.

١٧ - النفوس الكبيرة تتفوق على الفواحش باستعلاء! ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٤﴾.

١٨ - حين تبلغ الطهارة مداها في قلب إنسان ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ فداحة السجون تتفوق في حسه على دنس الشهوات!

١٩ - إشاعة العجز بين يدي ربك وسيلة للارتقاء ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٦﴾.

٢٠ - الكبار يحسنون اللجوء إلى ربهم وقت المحن والأزمات ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٧﴾.

٢١ - من نحن لو لا الله؟! ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٨﴾.

٢٢ - إذا ترك الإنسان شيئاً لله عوضه الله تعالى خيراً منه ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٩﴾.

٢٣ - من وعي الإنسان بدينه أنه إذا خُير بين معصية وعقوبة دنيوية عاجلة اختار العقوبة على المعصية ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٤٠﴾.

٢٤ - الألم المترتب على مخالفة الشهوات أخفُّ وأسهل من الألم المترتب على موافقتها ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣٢).

٢٥ - الابتلاء سنة في حياة المصلحين ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُنُهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٣٥).

٢٦ - جرت العادة ألا يُمكن الصالح حتى يُبتلى ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُنُهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٣٥).

٢٧ - لا تعجل بحساب العوائد من أي المواقف ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُنُهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٣٥) قد يقول الناظر من أول وهلة: ما له وللسجن! لو أطاع، وتأتي العوائد في النهاية بما يريد.

٢٨ - فرق بين سجن صاحب الشهوات وسجن صاحب الرايات ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُنُهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٣٥).

٢٩ - المهم ألا تكون مسجوناً في شهوات عارضة، وما عدا ذلك فأمره يسير ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُنُهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٣٥).

٣٠ - كم في السجون من أشباه يوسف على مر الزمان! ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُنُهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٣٥).

٣١ - جرت العادة ألا يسجن إلا من استعلى على واقعه في شيء ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُنُهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٣٥).

٣٢ - إذا أراد الله تعالى أمراً قِيضَ له أسبابه ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ ﴾ لتجري أحداث الخروج بعد ذلك على إثر رؤيا هذين.

٣٣ - لا يقبل الناس في العادة إلا من يملك رصيذاً من العلم والمعرفة ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آعِصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۚ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾ ۝

٣٤ - الذين يملكون المعرفة يقودون العالم ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آعِصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۚ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾ ۝

٣٥ - مَنْ يوسف بعد الإيمان والتقوى لولا سراج العلم والمعرفة؟! ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آعِصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۚ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾ ۝

٣٦ - ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ سَيِّمُوا الصَّالِحِينَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَغِيبَ عَلَى النَّاسِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ .

٣٧ - من أقبل على ربه صادقاً أقبل الله عليه بقلوب الخلائق ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرْنِي آعِصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۚ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾ ۝

٣٨ - العلم يملأ ساحة السائلين، ويروي عطش المحتاجين ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ ۚ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ ۝

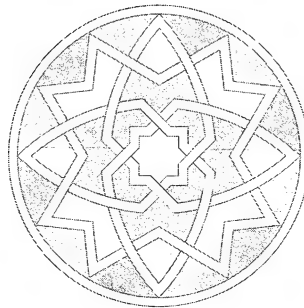
٣٩ - كل نعمة أصابها إنسان فإنما هي مئة الله تعالى عليه ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ ۚ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ ۝

٤٠ - إِذَا خَلَّتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْكِبَرِ عَرَفَتْ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي التَّوْفِيقُ ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ ۞

٤١ - مَخَالَفَةُ الْعَوَائِدِ مُؤَذِّنَةٌ بِبُلُوغِ نَهَايَاتِ الشَّرَفِ ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ ۞

٤٢ - مَنْ أَرَادَ مَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى صَادِقًا أَوْفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَرِيدُ ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ ۞

٤٣ - الْإِسْتِعْلَاءُ عَلَى وَاقِعِكَ سَبَبٌ لِلتَّوْفِيقِ فِي حَيَاتِكَ ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ ۞



وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا
 أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَجِي السَّجَنُ
 عَازِبًا مُتَفَرِّقًا خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا
 تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ
 وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ
 أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَجِي السَّجَنُ أَمَّا أَحَدُكُمَا
 فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ
 رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ
 أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ
 الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ
 ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
 سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ
 يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءُوسِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءُوسِ يَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾



التفسير

- ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ سرت على ما ساروا عليه من إيمان بالله تعالى ﴿مَا كُنَّا لَنَا﴾ ما ينبغي ولا يليق ﴿أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ﴾ هدايتنا للإسلام ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ من توفيقه وهدايته ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ وكذلك توفيقه للناس أن هداهم للحق وأرشدهم للإسلام ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ لا يشكرون الله تعالى على هذه النعم.
- ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَاءَ رَبَّابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ﴾ أيهما أفضل: الأرباب المتفرقة العاجزة الضعيفة أم الله تعالى ﴿الْوَحْدُ﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله ﴿الْقَهَّارُ﴾ لكل شيء؟!
- ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله تعالى ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ ليست حقيقة أنها آلهة، وإنما أنتم الذين افترضتم لها هذه الأسماء ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ لا دليل عليها ﴿إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ لا شريك لأحد في ذلك ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ لا يشرك به في عبادته أحد من الخلق ﴿ذَلِكَ أَلَدِينُ الْقِيَمِ﴾ المستقيم الثابت ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مراد الله تعالى من خلقه.
- ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَاءَ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ وهو الذي رأى أنه يعصر الخمر ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ يخرج من السجن، ثم يسقي سيده الذي يخدمه خمرًا ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾ وهو الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه ﴿فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ فعبّر عن الخبز الذي تأكله الطير بلحم رأسه، وأنه لا يقبر ويستر عن الطيور بل يصلب، ويكون في محل تتمكن الطيور من أكله ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ انتهى ما تستفتيان فيه.



• ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ أي الأول ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ اذكر له شأني وقصتي لعله يخرجني من السجن ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ خرج من السجن، ونسي أن يذكر للملك حال يوسف ﴿فَلَيْثَ﴾ يوسف ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (٤٢) من الثلاث إلى تسع.

• ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ رأى رؤيا وطلب من يقصها عليه: ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ العجاف تأكل السمان ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ ورأيت سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات يابسات ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ﴾ خاطب قومه ﴿أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ﴾ عبّروها لي ﴿إِن كُنتُم لِرُءْيَايَ تَعْبُرُونَ﴾ (٤٣) إن كنتم تحسنون التعبير.



١ - الهداية فضل من الله تعالى على من شاء من عباده ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا أَن تَشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨).

٢ - البيوت الصالحة تتوارث الهداية ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا أَن تَشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨).

٣ - من عرف الله تعالى حقه حال بينه وبين هيشات السفهاء والمشركين ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا أَن تَشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨).

٤ - من الشرك بالله تعالى التعلُّقُ بالمخلوقين وخوفهم ورجائهم من دون الله تعالى ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٨).

٥ - في مواطن السجون والمحن والفتن والأزمات تظهر عقائد المخلوقين ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٨).

٦ - كم من إنسان رأته متصلاً خارج سجنه، وإذا وقع في ظلام السجن تلاشت العقيدة من حياته ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٨).

٧ - المشكلة التي تواجه كثيرين بعد النعم أنهم لا يشكرون ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

٨ - قلة هم الذين فتح الله تعالى عليهم توفيقه وعادوا له شاكرين ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

٩ - استثمار الفرص وعي ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَ أَزْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠).

١٠ - الداعية الفطن يعرف أين يضع دعوته ومتى وكيف ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَ أَزْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠).



١١ - الدعوة فن ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَ﴾ الطريق الأوسع إلى رحاب القلوب!

١٢ - من فقه المسؤول أن يعين السائل على الخروج من مشكلته من أصلها، ولا يتوقف على إجابة إشكاله فحسب ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَ﴾ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٢٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾.

١٣ - إصلاح القلوب أولى وأحرى من إصلاح المشكلات العارضة ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَ﴾ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٢٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾.

١٤ - الدعوة فن، حين أوصل رسالة العقيدة إليهما أفاض عليهما ببشائر العلم ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَ﴾ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾.

١٥ - من توفيق الله تعالى الكبير لطالب العلم أن يهبه فقهاً وأسلوباً في إدارة مشروعه ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَ﴾ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾.

١٦ - من كمال العلم والفقه الأخذ بالأسباب ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

١٧ - من وعي الإنسان استثمار الفرص العارضة ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾.



١٨ - إذا أراد الله تعالى أمراً وقضى شيئاً أجراه على صاحبه ولو بذل كل شيء ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (٤٢) رغم الأسباب التي دفعها يوسف، واستثمار الفرص، أنسى الله تعالى ذلك الرسول ليجري قدره كما يشاء.

١٩ - الفأل واليقين وعدم العجز واليأس تُمكن صاحبها من العمل بوعي ﴿يَصْحَبِي السِّجْنَ ءَازِبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَاسِقُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾.

٢٠ - هذا الاستثمار الذي يصنعه يوسف في السجن دليل على أن الأمل لم يتخلف عنه لحظة ﴿يَصْحَبِي السِّجْنَ ءَازِبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَاسِقُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾.

٢١ - من فقه الإنسان وتوفيقه أن يستثمر المكان الذي دخله؛ لأنه قد لا يعود إليه مرة أخرى ﴿يَصْحَبِي السِّجْنَ ءَازِبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَاسِقُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾.

٢٢ - أسوأ ما يواجه أصحاب السجون اليأس الذي يأخذ حظه من القلوب فلا يمكنها من شيء ﴿يَصْحَبِي السِّجْنَ ءَازِبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٣٩) مَا



تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾

٢٣ - ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤١﴾﴾ فن وقدره على استثمار الفرص في أضييق الأمكنة والمساحات.

٢٤ - ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ رسالة لأرباب السجون ألا ينشغلوا عن حقوق المسجونين.

٢٥ - ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ تذكير بألا تضيع حقوق السجناء في أدراج مكاتب العاملين.

٢٦ - أكثر المسجونين خرجوا بعد زيادة مدة محكومياتهم لحاجة المسؤول لهذه الذكرى ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

٢٧ - من فضل الله تعالى عليك أن تجد أهلاً وخلصاً يسألون عنك، ويطالبون بخروجك من ضيق تلك المساحات ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أدرك أنه لا سائل وراءه، فجهد في إدراك ذلك بنفسه.

٢٨ - على المصلحين أن يتولوا شأن إخوانهم في السجون، ويبدلوا وسعهم في ذلك، ويرعوا حقوق إخوانهم من خلفهم في رعاية أسرهم والاهتمام بأبنائهم

حتى يأتي الله تعالى بالفرج ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَنَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ ﴿٤٢﴾.

٢٩ - إذا أراد الله تعالى شيئاً هياً له أسبابه ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَأْسُتُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ أجرى الله تعالى هذه الرؤيا التي تحققت بها مصالح كثيرة للبلاد، وعولجت بها أزمة الجفاف والأيام العجاف على يد ملك لا يؤمن بالله تعالى، ومن ذلك أن الله تعالى أجرى هذه الرؤيا ليعبرها يوسف، وليخرج من سجنه، وليتبوأ ملكاً جديداً وعزاً وشرفاً في دولة العزيز.

٣٠ - من الضرورة أن يكون لكل إنسان صاحب أو قريب أو محب، يدفع إليه ببعض همومه، ويسليه في حزنه وأيام المحن في حياته ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَأْسُتُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾.

٣١ - الرؤيا الصالحة ليست وقفاً على الصالحين فحسب، وإنما قد يراها غير الصالح، وينفع الله تعالى بها العباد ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَأْسُتُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾.

٣٢ - حاجة الحكام والولاة والكبار إلى حاشية صالحة تبسط له الحقائق، وتيسر له الطريق، وتعينه على بلوغ أمانيه، وتتولى تبصيره فيما ينفعه ويعينه ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَأْسُتُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾.

قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلِمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾
 وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
 فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
 سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ
 وَأُخْرَى يُاسِسَتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
 تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا
 قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا
 قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ
 فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِي بِهِ؟
 فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ
 الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ
 إِذْ رَوَدُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ
 مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنَ حَصَحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدُّهُ
 عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصِّدِّيقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ
 بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾

التفسير

• ﴿قَالُوا أَضَعَتْ أَحْلَامِي﴾ هذه أحلام لا تأويل لها ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ لسنا ممن يؤول الأحلام.

• ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ خرج من السجن ﴿وَأَذْكُرَ بَعْدَ أَمَةٍ﴾ تذكر بعد زمن: ﴿أَنَا أَنْتُمْ كُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ أخبركم بتفسير ذلك ﴿فَارْسِلُونِ﴾ ﴿٤٥﴾ ابعثوني لتأويل ذلك.

• ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ تأويل هذه الرؤيا.

• ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ متوالية متتابعة ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ﴾ من هذه السنين ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ اتركوه في سنبله؛ لأنه أبقى له، وأبعد عن الالتفات إليه ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ إلا ما تريدون منه للأكل، فاستعملوه وليكن قليلاً.

• ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ بعد تلك السنين المخصبات ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ مجدبات جداً ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ يأكلن جميع ما ادخرتم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ تحبسون من الحب.

• ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ من بعد السنين الشداد ﴿عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ﴾ تزداد النعمة وتفيض الخيرات ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ يعصرون الأشياء التي تعصر كالعنب والسَّمْسَمِ ونحوها.



• ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيَنِي بِهِ﴾ بيوسف بعد أن سمع تأويل الرؤيا ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ فلما قدم الرسول إلى يوسف ﴿قَالَ﴾ له يوسف: ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى سيدك ﴿فَسْأَلَهُ مَا بَأَلُ الْيَسْوَۥۥۥ الَّتِي قَطَّعْنَ يَدَيْهِنَّ﴾ اسأله ما شأنهن وما قصتهن ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي ﴿يَكِيدُهُنَّ عِلْمٌ﴾ يعلم مكرهن وكيدهن وما أردن من ذلك.

• ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ﴾ ما قصتكن وشأنكن ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ معاذ الله ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ مما يسوء ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْأَنْۢحَۥۥۥ حَصَّصَ الْخَبْرُ﴾ ظهر وبان ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ﴾ ولم يكن له من ذلك شيء ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّٰدِقِينَ﴾ ﴿٥١﴾ فيما قال: إنني أنا راودته.

• ﴿ذَٰلِكَ﴾ قلت هذا ﴿لِيَعْلَمَ﴾ يوسف ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ لم أخنه في حال سجنه وغيبه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَٰفِيْنَ﴾ ﴿٥٢﴾ لا ينفذه ولا يسدده.



١ - من دفع بأمانيه في غير موضعها لم ينل ما تمناه ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾.

٢ - قضايك الكبرى لا ترم بها على أسماع الجهلاء، احفظها حتى تلقى من يحتفي بها، ويعينك على بلوغ أمانيتها ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾.

٣ - الجهل يبسط واقعه في حياة صاحبه إلى أبعد مستوى ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ كان يكفيهم أن يعتذروا لجهلهم أو يسألوا أصحاب الشأن، فإذا بهم يتولون تصنيفها ويسمونها بأضغاث أحلام فحسب!



٤ - إذا رأيت من يقفز لكل مسألة، ويبادر للفتيا في أي شيء، ويشارك في غير فنه ومجاله؛ فذاك جاهل لا يفقه شيئاً ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالَمِينَ﴾ ٤٤.

٥ - لا أعلم! أدب وكمال عقل ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالَمِينَ﴾ ٤٤.

٦ - الجهل يلقي بسوء الأدب دون تورع ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالَمِينَ﴾ ٤٤ حاكم يسأل وجاهل لا يتورع أن يقول له: ﴿قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ﴾.

٧ - للصحبة زمن تؤتي ثمارها فيه، وإن طالت أيام ربيعها ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ ٤٥.

٨ - انشر علمك، ولا تتوان عن بذله، واترك للزمن أيام فرحه وعزه وأثره ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ ٤٥.

٩ - لا تستهن بأحد ممن حولك! فكم جاءت البشرية على يديه ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ ٤٥ لم ينفع الملك من تلك الحاشية سوى الساقى!

١٠ - لله تعالى حكم كثيرة في تأخير الفرج وأيام الربيع في حياة كثيرين ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ ٤٥.

١١ - كن شريكاً في مد مساحة الربيع في واقعك بما تستطيع ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ ٤٥.

١٢ - لا تحتقر ما لديك وإن كان مجرد دلالة على خير ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ ٤٥.



١٣ - كم من منسّق في مكتب دعوة أو جهة خير وبر جلب لواقعه الخيرات!
﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ ٤٥.

١٤ - امتلك فكرة، وتميّز في مشروع، وسيأتيك الناس أسراباً يتهادون لضوء العلم
﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ ٤٥ يُوْسُفُ أَيُّهَا
الصِّدِّيقُ افْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ
وَأُخْرَىٰ يَأْسِتُ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ٤٦.

١٥ - الكبار يتفوقون على حظوظ النفوس، ويستعلون على شهواتها العاجلة ﴿وَقَالَ
الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ ٤٥ يُوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ
افْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَىٰ
يَأْسِتُ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ٤٦ عبّر له رؤياه، ولم يسأله أو يذكره
ما صنع في وصيته التي عهد بها إليه قبل خروجه من السجن!

١٦ - فن صناعة المواقف: في ظلام السجون يبذل علمه ويفسّر الرؤيا، ولم يطلب
مقابلاً لتعبيره، ولا طلب فكاكه من السجن ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا
حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾ ٤٧ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ
يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ ٤٨ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ
وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ٤٩.

١٧ - العزة تأبى أن تأخذ مقابل العطاء شيئاً ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا
حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾ ٤٧ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ
يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ ٤٨ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ
وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ٤٩.

١٨ - الادخار كمال وعي ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ
إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾ ٤٧.



١٩ - الادخار، وتأجيل الرغبات أعظم وصيتين في ترتيب وضعك المالي ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾ (٤٧).

٢٠ - أيام القحط مخلوفة بمساحات الربيع ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ (٤٩).

٢١ - ما من عسر إلا وهو مخلوف بيسرين ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ (٤٩).

٢٢ - أيام العناء تعلم صاحبها رباطة الجأش والصبر والأناة ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (٥٠).

٢٣ - استثمار الفرص ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (٥٠). لما بعث إليه الملك يطلبه استثمار ذلك في دفع التهمة عنه.

٢٤ - دفع الإنسان التهم العالقة به ضرورة عقلية وشرعية ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (٥٠).

٢٥ - ﴿فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ فن في رعاية المشاعر، وإدارة المواقف، لم يذكر امرأة العزيز بشيء وعبر بالنسوة وأحال قضيته على موقفهن معه في الختام.

٢٦ - النفوس الكبيرة لا يمكن أن تسترق بسهولة ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (٥٠). يدعوه الملك للخروج فيرفض خروجاً بارداً مليئاً بالتهم والعثرات.



٢٧ - العناية بعوالق السمعة أولى من العناية بعوالق الجسد ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بِأَلِ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ۝ ﴾ .

٢٨ - التوكل على الله تعالى يفرض أرواحاً فوق العادة ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بِأَلِ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ۝ ﴾ .

٢٩ - أصحاب الأحلام والأهداف الكبرى ورؤى الحياة العظيمة لا يستغرقون في اللحظات الحاضرة والظروف المحيطة ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بِأَلِ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ۝ ﴾ .

٣٠ - لا تشغل بأمد الحقائق! تأتني ولو بعد حين ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدْتَنَّهُ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۚ قُلْتُ خَشِيَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۚ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ۝ ﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۝ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ۝ ﴾ .

٣١ - النفوس المستعلية لا تقنط لحوادث الفتن ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدْتَنَّهُ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۚ قُلْتُ خَشِيَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْقَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۚ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ۝ ﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۝ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ۝ ﴾ .

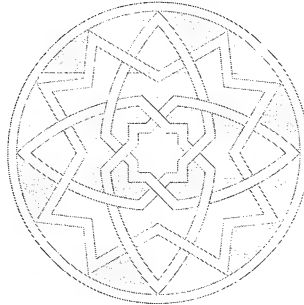
كان يمكن أن يقال: اقللوا القضية ودعوها، ولا تنبشوا أمراً يخص ملكاً وزوجه، لكن النفوس الكبيرة تأبى الأحداث التي مبناها على الظنون.

٣٢ - كن مع الله تعالى والزم طريق الصدق، وسيبعث الله تعالى لك شهوداً وأعواناً لم تخطر لك على بال ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدْتَنَّهُ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۚ قُلْتُ خَشِيَ لِلَّهِ

مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۖ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَإِنَّهُ
لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾
وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ .

٣٣ - امرأة العزيز تعترف بكل ما صنعت، ولا يصنع شيئاً، هكذا حين تدبر النساء
قصور الملوك ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۚ قُلْتُ خَشِيَ لِلَّهِ مَا
عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَإِنَّهُ
لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾
وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ .

٣٤ - لا تتفاجأ بشيء! غالب النساء إذا أدارت أمر زوجها وبيتها صنعت له
العجائب ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۚ قُلْتُ خَشِيَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا
عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَإِنَّهُ
لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾
وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ .





﴿٥٣﴾ وَمَا أُبْرِئِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ
 رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ
 لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٥﴾ قَالَ
 اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهُ ﴿٥٦﴾ وَكَذَلِكَ
 مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ نُصِيبُ
 بِرَحْمَتِنَا مَنْ شَاءَ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَلَا أَجْرُ
 الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٨﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ
 يُوسُفَ فَدَحَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَلَمَّا
 جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْآتَرُونَ أُنِي
 أَوْ فِي الْكَيْدِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٦٠﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْدَ
 لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦١﴾ قَالُوا سَنُرَوِّدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا
 لَفَاعِلُونَ ﴿٦٢﴾ وَقَالَ لِفَتْنَيْنِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ
 يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٣﴾ فَلَمَّا
 رَجَعُوا إِلَى أَهْلِهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْدُ فَأَرْسِلْ
 مَعَنَا آخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَحَافِظُونَ ﴿٦٤﴾



التفسير

• ﴿وَمَا أَتَّبِعُ نَفْسِي﴾ من مراودة يوسف ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ لكل قبيح ﴿إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي﴾ فعصمه من ذلك ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ﴾ لكل ذنب ﴿رَحِيمٌ ٥٣﴾ بكل إنسان.

• ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهَذِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ أجعله لخاصة نفسي، لا يشاركني فيه أحد ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ لما كلم يوسف الملك أعجب بكلامه ﴿قَالَ﴾ الملك ﴿إِنَّكَ أَلْيَوْمَ لَدَيْنَا﴾ عندنا ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ ٥٤﴾ متمكن أمين على الأسرار.

• ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ مسؤولاً على ما يخرج من الأرض ﴿إِنِّي حَفِيزٌ﴾ على ما أتولاه ﴿عَلِيمٌ ٥٥﴾ بتدبيره وتصريفه.

• ﴿وَكَذَلِكَ﴾ بهذه الأسباب ﴿مَكَّنَّا يُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ جعلنا له مكانة عالية حتى صار الملك يصدر عن رأيه ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ ينزل منها حيث أراد ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ من الخلق ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ٥٦﴾ بل نؤتي كل محسن في الدنيا أجره وافيًا.

• ﴿وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ أفضل وأحسن ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله تعالى ﴿وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ٥٧﴾ يجعلون بينهم وبين عذاب الله تعالى وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

• ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ أنهم إخوته ﴿وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ٥٨﴾ لم يعرفوه.

• ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ أكمل لهم ما يريدون ﴿قَالَ أَتُؤْتِنِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ﴾ يقصد بنيامين، وذلك بعد أن سألهم، وعرف حالهم، قال لهم

ذلك ﴿الآتَرُونَ أَنِّي أَفِي الْكَيْلِ﴾ وقد أحسنت معكم وأكرمتكم بوفاء المكيال ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُتَزِلِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ وأنا خير من عني بنزولكم وضيافتكم. ﴿فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ لن أعطيكم شيئاً من طلبكم ﴿وَلَا تَقْرَبُون﴾ ﴿٦٠﴾ لا تأتون مطلقاً.

﴿قَالُوا﴾ إخوة يوسف ﴿سَرَّوْذُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سنحاول إقناع أبيه في مرافقته لنا ﴿وَأِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ﴿٦١﴾ ما تأمرنا به.

﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿لِفَتْنَيْنِهِ﴾ العاملين معه ﴿أَجْعَلُوا بِضَعَهُمْ﴾ الأثمان التي دفعوها في مقابل الشراء ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ في أمتعتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ أي يعرفوا الأثمان التي دفعوها أنها عادت إليهم ولم نأخذها منهم ﴿إِذَا أَنْقَلَبُوا﴾ رجعوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ يعودون ويأتون بأخيهم. ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا مِّنْهُنَا الْكَيْلُ﴾ في المرة القادمة ﴿فَأَرْسَلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ من أن يصيبه شيء.

الطبر

١ - حين يقتاد العلم صاحبه من السجن إلى الملك ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾.

٢ - من أقام الله تعالى في قلبه أقامه الله تعالى في قلوب العالمين ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ؟ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾.

٣ - استثمار الفرص ومبادرتها فقه بالواقع ووعي بالنفس ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٥﴾.



٤ - ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۝ ﴾ رسالة لأصحاب الورع البارد في كل زمان ومكان.

٥ - ثغور كثيرة جداً مفتوحة في الأمة، وقد يتسلل منها العدو، ولا تزال تبحث عن مبادرين لملئها ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۝ ﴾.

٦ - أسوأ شيء في واقع إنسان حين لا يرى نفسه أهلاً لحمل راية أو سد ثغراً! ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۝ ﴾.

٧ - ما أحوج الأمة اليوم إلى حُماة الثغور ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۝ ﴾.

٨ - معرفة الإنسان لقدراته وإمكاناته ومهاراته فن يبلغ به آماله، ويكتب من خلالها حظوظه ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۝ ﴾.

٩ - حين تتحوّل الفرص العارضة إلى إمكانات ضخمة لصالح الأمة ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۝ ﴾.

١٠ - كم من مبادرة أدارت رحي الحياة ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۝ ﴾.

١١ - لا حرج في الإخبار عن النفس لمصلحة أو ضرورة، وليس ذلك من التزكية في شيء ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۝ ﴾.

١٢ - المؤهلون يصنعون فارقاً في واقعهم ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۚ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ۝ ﴾.

١٣ - التمكين نتيجة طبيعية للنجاح في الابتلاء ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوهُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُفَصِّلُ الْبَرَكَاتِ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾.



١٤ - من قعر الجب الضيق إلى ملك مصر ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ هكذا هي الحياة! ويقول الشاعر:

وبالجد تخوض البحر ————— ر إن شئت بلا فُلكِ
به سار ابن يعقوب ————— من الجب إلى الملكِ

١٥ - إذا أراد الله تعالى بعبده شأناً أجرى عليه السنن ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾.

١٦ - من كمال عقلك ووعيك أن تبحث جاهداً كيف تبلغ هذا الطريق ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾.

١٧ - ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ رسالة لأولئك الذين يهبون للناس من جميلهم وإحسانهم ولا يرجون منهم جزاء ولا شكوراً.

١٨ - كم بين هذا الدخول من إخوة يوسف على يوسف عزيز مصر ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ واللحظة التي دلّوه فيها في البئر! وكل آت فهو قريب. ما أحوجنا للصبر!

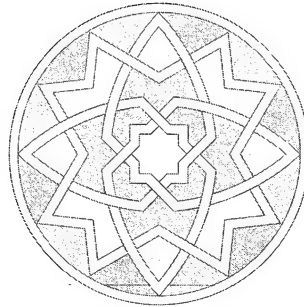
١٩ - ثمة قضايا لا يصلح فيها تفويض الأمور ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْجَ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْأَتْرُونَ أَيْ فِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ فَإِنَّ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ، فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٦٠﴾ مارس العزيز إدارة العمل إما لأنه في بدايته ويحتاج إلى عناية خاصة حتى يستوثق من الواقع، أو لأن مثل هذه المسؤوليات من الضرورة مباشرتها، ولا يصلح فيها التفويض.

٢٠ - من فقه الأمر والراعي ومن يدير شأناً في واقعه أن ينوّع أساليبه بين الترغيب

والترهيب ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْجٍ لَّكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْأَتْرُونَ أَنِّي أُوَفِّي
الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ، فَلَاكَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾.

٢١ - الأحداث وقف على أسبابها ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْجٍ لَّكُمْ مِّنْ
أَيْكُمُ الْأَتْرُونَ أَنِّي أُوَفِّي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ، فَلَاكَيْلَ لَّكُمْ
عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾.

٢٢ - إدارة العمل فن ﴿وَقَالَ لِفَتْنَيْنِهِ أَجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا
أُنْقَلِبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أرجع بضاعتهم في رحالهم ليعجل
بعودتهم إليه مرة أخرى.



قَالَ هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ
 فَأَلَّه خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا
 مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَأَبَّانَا مَا
 نَبْعِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا
 وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ
 مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ
 بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ
 يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا
 أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
 وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ
 أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
 حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى
 يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا
 تَبَتُّسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾



التفسير

- ﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ هل أستاذكم عليه ﴿إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا﴾ لا أحفظ منه لعباده ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ خير وأفضل من رحم.
- ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمُ﴾ الذي جاؤوا به من مصر ﴿وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ﴾ الأثمان ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي ﴿ماذا نطلب من الإكرام أفضل من هذا﴾ هَذِهِ بِضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴿فلم نخسر شيئاً﴾ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴿نجلب لهم الميرة وهي الطعام﴾ وَتَحْفَظُ أَخَانَا ﴿فلا يضيع منا﴾ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴿حمل بعير؛ وهو ما يأخذه بنيامين﴾ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ ﴿٦٥﴾ كيل بنيامين لن يكون شاقاً على الملك أن يعطينا.
- ﴿قَالَ﴾ يعقوب: ﴿لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُتَوَّنَ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ عهداً ألا يضيع منكم ﴿لَتَأْتُنِي بِهِ﴾ بابنه بنيامين ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ بأمر لا تستطيعون دفعه عنكم ﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ عاهدوه على ذلك ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٦﴾ حسيب وركيب.
- ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ خوفاً عليهم من العين ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أنني أرشدكم إلى الأسباب، والأمر بيد الله تعالى ﴿إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ﴾ فالملك ملكه والتصرف في الكون له وحده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتمدت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ فليعتمد المعتمدون.
- ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ من أبواب متفرقة ﴿مَا كَانَتْ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ لم يكن يدفع عنهم قدر الله تعالى ﴿إِلَّا لِحَاجَةٍ فِي

نَفْسٍ يَعْقُوبَ فَضَّلَهَا ﴿٦٤﴾ وَهِيَ شَفَقَتْهُ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَتْهُ بِهِمْ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴿٦٦﴾ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ ﴿٦٧﴾ وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ حَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَرَادُهُ فِي الْكُونِ.

• ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَخَاهُ﴾ ضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَرَّبَهُ مِنْهُ ﴿قَالَ﴾
يُوسُفُ لِبَنِيَامِينَ: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ يُوسُفُ ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ فَلَا تَحْزَنْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ.

السَّيْرُ

١ - من كمال عقلك أن تدلي بالحجج الكافية لبلوغ عذرِكَ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا مُنْعَ مِنَّا الْكِتْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ ﴿٦٢﴾.

٢ - الأصل ألا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ ﴿٦٤﴾.

٣ - من أراد شيئاً بلغه ولو بعد زمن من الإلحاح والمطالبة ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ﴾ ﴿٦٥﴾.

٤ - الإقناع فن ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ﴾ ﴿٦٥﴾.

٥ - إذا كنت صادقاً في الطلب ومقتنعاً به بلغت منك ولو بعد حين ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَأْسَآ مَا بَنَيْتُ هَٰذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ ﴿٦٥﴾.

٦ - صدق توكل الكبار وحسن رجائهم في الله تعالى ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٦﴾.

٧ - من كمال وعي الإنسان أن يرعى مصالحه من أن يتطرق إليها ما يشين ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾.

٨ - من كمال توكل الإنسان أن يفعل الأسباب الداعية إلى وقايته من أسباب العطب والهلاك ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾.

٩ - العين حق، ومن كمال فقهك ألا تعرض نعمك لعيون الحاسدين ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾.

١٠ - بذل الأسباب مطلب على أن يقوم في قلبك أن الله تعالى الأمر من قبل ومن بعد ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾.

١١ - من وعي الإنسان وكمال فقهه إعداد العدة وترتيب الخطة الكافية لبلوغ المقصد ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا



تَبَتَّيْسٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ أبلغ أخاه مباشرة عن خطئه حتى يتم نجاحها فيما بعد.

١٢ - لن ينجي حذر من قدر ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبَتَّيْسٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ رغم كل ما صنعه يعقوب أجرى الله تعالى قدره كما يشاء.

١٣ - قدر الله تعالى ألطف وأقر لعين الإنسان من تقديره لذاته ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبَتَّيْسٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ أراد يعقوب أن يعود إليه بنيامين، وأخذ كافة الأسباب الكفيلة لعودته؛ وأراد الله تعالى أن يعيد إليه كلا الأخوين.





فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَذَّنَ مُوَذِّنٌ أَتَتْهَا أَلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا
عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ
وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ
لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ
مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ
وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي
دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ
فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ
وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَتَّيِّبُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴿٧٨﴾ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾



التفسير

• ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾ أعطاهم طعامهم ﴿أَعْطَاهُمْ طَعَامَهُمْ﴾ ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ﴾ صواع الملك الذي يشرب فيه ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ متاع بنيامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى منادٍ ﴿أَيُّهَا الْعَيْرُ﴾ يا أصحاب العير ﴿إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ (٧٠) بأخذكم صواع الملك في رحالكم.

• ﴿قَالُوا وَاقْبَلُوا عَلَيْهِمْ﴾ إخوة يوسف ﴿مَّاذَا تَفْقِدُوتَ﴾ (٧١) ما الذي ضاع منكم؟!

• ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ﴾ وجده ﴿حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ (٧٢) ضمين وكافل على ذلك.

• ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالسرقة ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (٧٣) ليس من عادتنا السرقة.

• ﴿قَالُوا﴾ أصحاب الملك: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٧٤) ما جزاء من كان في رحله ﴿قَالُوا﴾ إخوة يوسف: ﴿جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أن يؤخذ صاحب الرحل ومتاعه ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٧٥) من سرق منا هذا جزاؤه.

• ﴿فَبَدَأَ﴾ من يبحث عن الصواع ﴿بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ حتى لا يلاحظ أن الأمر مدبر ومرتب ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ وجدها في متاع بنيامين ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ يسرنا له هذا الكيد ورتبناه له ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ في شريعته التي يسير عليها، فإن شريعة ملك مصر لا تجيز أن يسترَق السارق سنة فيبقيه عنده، وإنما



كانت شريعته تقضي بالضرب والتغريم، ولذلك أخذ يوسف بحكم السارق في شريعة يعقوب، وهذا كله من تدبير الله تعالى له ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أمراً فيدبر له من الأسباب ما يريد ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ بالعلم النافع والعمل الصالح ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦) وهذا كله ينتهي إلى علم الله تعالى.

• ﴿قَالُوا﴾ إخوة يوسف: ﴿إِنْ يَسْرِقُ﴾ بنيامين ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يقصدون يوسف ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ كتم ما سمعه من أذى ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ منزلاً وموضعاً بهذا القذف ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (٧٧) من الباطل.

• ﴿قَالُوا﴾ إخوة يوسف: ﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ في سنه ﴿فَخَذَ أَحَدُنَا مَكَانَهُ﴾ بدلاً عنه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٨) مع الناس عموماً ومعنا على سبيل الخصوص.

التدبير

١ - الحيل المفضية إلى مقصد صحيح مشروعة ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ (٧٠) ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ (٧١) ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ (٧٢) ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (٧٣) ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٧٤) ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٧٥) فبدأ بأوعيتهم



قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

٢ - كم من كلمة قالت لصاحبها: دعني! ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾

٣ - من كمال وعي الإنسان عنايته بكلمته وألا يصيب بها غافلاً في الطريق دون دليل ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾

٤ - اللحظات المفجعة مفضية لوقائع اللسان في غير طريق ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾

٥ - إذا رُزق الإنسان الحلم والصبر فقد رزق كل شيء ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَفَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾

٦ - التلطف بعرض ظروفك قبل سؤالك أدب وجمال ﴿قَالُوا يَتَأَيَّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ نادوه بالعزیز، وذكروا حال أبيه، وعرضوا بديلاً للموقف، ووصفوه بالإحسان.





قَالَ مَكَادَ اللَّهُ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ وَإِنَّا إِذَا
 نَظَلِمُوهُمْ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا أَسْتَيْشَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ
 كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا
 مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ
 حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾
 أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنْ أَبْنَاكَ سَرَقَ وَمَا
 شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾
 وَسَلِ الْقَرْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا
 لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ
 جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ
 الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَى يُونُسَ
 وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ
 تَقْتُلُوا تَذْكُرُ يُونُسَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ
 مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى
 اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

• ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ﴾ أي بنيامين ﴿إِنَّا إِذَا لَطَلِمُوكَ﴾ (٧٩) ﴿لَوْ أَخَذْنَا أَحَدًا مَكَانَهُ﴾.

• ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ﴾ يتسوا من أخذ أخيههم ﴿خَلَصُوا بِحَيَاتِهِ﴾ اجتمعوا وحدهم ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ أكبر إخوة يوسف: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ في حفظ بنيامين ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ فلم تحفظوا عهد أبيكم فيه ﴿فَلَنْ أُنَبِّحَ الْأَرْضَ﴾ لن أزل من هذه الأرض ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِىَ أَبِي﴾ بالعودة ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لى﴾ فأعود مع أخي ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨٠) أحسنهم وأفضلهم حكماً.

• ﴿أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا أَنْتَ أَبْنَاكَ﴾ بنيامين ﴿سَرَقَ﴾ صواع الملك ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ حين أخرجوا صواع الملك من متاعه ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (٨١) ما كنا نعلم أنه سىأخذ الصواع وإلا لما أعطيناك موائيقنا.

• ﴿وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ أهل القرية ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أصحاب القوافل الذين كانوا معنا ﴿وَأِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ (٨٢) فيما نقول لك.

• ﴿قَالَ﴾ يعقوب: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ زينت لكم أمراً في بنيامين ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ وهو كل صبر لا تسخط ولا جزع فيه ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يوسف وأخيه بنيامين ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالي في فقد أبنائي ﴿الْحَكِيمُ﴾ (٨٣) في تدبير شؤون الخلق.

- ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أَعْرَضَ عَنْهُمْ ﴿وَقَالَ يَتَأَسَّفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ ذَكَرَهُ حَدَثَ
بَنِيَامِينَ بِقِصَّةِ يَوْسُفَ فَتَأَسَّفَ عَلَى فَوَاتِهِ ﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾
مِنْ شِدَّةِ الْحُزَنِ ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤) مَمْتَلِئٌ مِنَ الْحُزَنِ الشَّدِيدِ.
- ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُا﴾ مَا تَزَالُ ﴿تَذَكَّرُ يُوسُفَ﴾ تَحِنُّ إِلَيْهِ وَتَشْتَاقُ
لِرُؤْيَيْهِ ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ مُشْرِفًا عَلَى الْهَلَاكِ ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ
الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥) بِالْكَلِيَّةِ.
- ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي﴾ أَيُّ هَمِّي ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ وَحْدَهُ فَهُوَ الَّذِي
يَعْلَمُ حَالَتِي ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) فِي لُطْفِهِ
وَإِحْسَانِهِ وَإِكْرَامِهِ.

التَّدْبِيرُ

- ١- ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ﴾ (٧٩)
أَدَبٌ وَتَلَطُّفٌ وَاعْتِدَارٌ بِفَنٍ.
- ٢- مِنْ كَمَالِ عَقْلِكَ إِذَا بَلَيْتَ بِأَمْرٍ أَلَّا تَبْحَثَ عَنْ حَلِّهِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ﴿فَلَمَّا
أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ
عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي
أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠).

- ٣- الْأُمُورُ الْكَبِيرَةُ، وَالْقَرَارَاتُ الْخَطِيرَةُ تَحْتَاجُ إِلَى شُورَى تَأْخُذُ بِهَا إِلَى الطَّرِيقِ
الصَّحِيحِ ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ



أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ يَخْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ۝

٤ - لا بد أن يكون في المتشاورين مبادرون يتحملون تبعات الأحداث، ويتولون شأنها الكبير ﴿ فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ يَخْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ ۝

٥ - ما جرى منك في سالف الدهر سيظل قريناً لك ما لم تمحه الأحداث ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ۝ رَغِمَ صَدَقَهُمْ واعتذارهم الصحيح إِلَّا أَنَّهُ أَوْكَلَهُمْ إِلَى مَا حَصَلَ مِنْهُمْ فِي سَابِقِ الْأَمْرِ.

٦ - ما لاذ إنسان وقت المحن والأزمات والظروف العارضة بمثل هذا الخلق الجميل إِلَّا نَالَ خَيْرًا ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَلَيْسَ صَبْرًا عَارِضًا، وَإِنَّمَا صَبْرٌ جَمِيلٌ! ۝

٧ - الكبار يحسنون اختيار الأبواب التي يلجونها في أوقات الأزمات ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ ۝

٨ - لم يبرح هذا الباب عند الفجعة ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ ففَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنْ خِلَالِهِ كُلِّ مَقْصُودٍ.

٩ - ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۖ نَوَافِذُ الْأَمَلِ تَظَلُّ بِهِ عَلَى مَسَاحَاتِ الرَّبِيعِ.



١٠ - ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ رسالة للمكروبين والمجاهدين والمتعبين، والذين ضاعت أحلامهم، أو وقعوا في جوانب من الأسى، ويحتاجون إلى فواتح الفرج.

١١ - الأمل في الله تعالى، وحسن الظن به، واللجوء إليه، والتضرع وقت الحاجة، وتعليق القلوب به كفيل بكل شيء ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

١٢ - ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ دليل علم وفقه وعقل ووعي، فإذا كان الله تعالى عليمًا حكيمًا لم يبق لسؤال غيره محل.

١٣ - الحزن شعور طبيعي يأخذ حقه من قلوب المكالمين ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤) المهم ألا يكون شعورًا ملازمًا لصاحبه في كل حين.

١٤ - مهما بلغ إيمان الإنسان ومكانته إلا أن مشاعره تنداح بالشكوى في ساعة ألم الفراق والنجوى ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤).

١٥ - الإنسان مشاعر فياضة إذا صادفتها المواقف المجعدة درّت بكل ما فيها ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤).

١٦ - الأحداث الجديدة تنكأ جراح الماضي الدفين ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤).

١٧ - كم من موقف أثار لواعج الشوق القديمة! ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤).



١٨ - يا أيها الأبناء! ارفقوا بأبائكم، فقد بلغ بهم الشوق إليكم مداه ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفَى عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤).

١٩ - يا أيها الأبناء! تلمسوا دفء مشاعر آبائكم، وهبوا لهم من أوقاتكم، وكونوا بالقرب منهم لا تفجعوهم بكثرة الغياب والترحال ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفَى عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤).

٢٠ - أحداث القلوب قد تفضي بأصحابها إلى إعاقات جسدية ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفَى عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤).

٢١ - ما تراه في أجساد بعضهم ما هو إلا نتيجة لأحداث قلوبهم ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفَى عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤).

٢٢ - القلوب التي لا تكلمها الأحداث لا تحسن التعبير في مواقفها ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥).

٢٣ - الذين لم يجربوا لواجع الشوق على الأبناء لا يدركون مواقف الحزن التي تغتال قلوب الآباء ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥).

٢٤ - إذا لم يأت لك ولد بعد فلا تحكم على مشاعر أب ووجدان أم ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥).

٢٥ - من لم يقف موقفك، ولم يجرب قصتك، فلا يمكن أن يتخيل مشاعرك ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥).

٢٦ - أسوأ لحظات عمرك ألا تجد صديقاً عند مصيبتك يعينك على حمل مشاعرك، وإنما تجد مثرباً ولائماً لك على بلواك ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥).

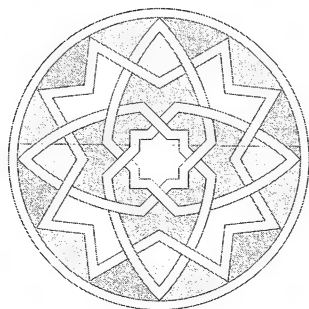
٢٧ - من حسنات الدنيا أن يهبك الله تعالى صديقاً تفضي إليه بمشاعرك وقت الألام ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥).

٢٨ - إذا دهمتك الحوادث فشدّ مشاعر قلبك إلى الله ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦).

٢٩ - ماذا لو فقهنا هذا المعنى ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) وأدركنا شأنه في مصائبنا بعمق!

٣٠ - مشكلة العالم كله أنه لا يفقه هذا المعنى وقت مصيبتيه ومشكلته وأزمته ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦).

٣١ - من توفّق لهذا المعنى ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) وقت ألمه أفضى به إلى كل شيء.



يَبْنِيْ اُذْهَبُوْا فَتَحَسَّسُوْا مِنْ يُوسُفَ وَآخِيْهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ
رَّوْحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُوْنَ ﴿٨٧﴾
فَلَمَّا دَخَلُوْا عَلَيْهِ قَالُوْا يَتَّيْنٰهَا الْعَزِيْزُ مَسْنَاً وَاَهْلَنَّا الضَّرَّ وَجِئْنَا
بِیْضَعَةٍ مُّرْجَانَةٍ فَاَوْفِ لَنَا الْكِیْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا اِنَّ اللّٰهَ
یَجْزِی الْمُتَصَدِّقِیْنَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِیُوسُفَ
وَآخِيْهِ اِذْ اَنْتُمْ جَاهِلُوْنَ ﴿٨٩﴾ قَالُوْا اِئِنَّكَ لَآَنْتَ
یُوسُفُ قَالَ اَنَا یُوسُفُ وَهٰذَا اَخِیْ قَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنَا
اِنَّهٗ مِنْ یَتٰی وَیَصْبِرْ فَاِنَّ اللّٰهَ لَا یُضِیْعُ اَجْرَ
الْمُحْسِنِیْنَ ﴿٩٠﴾ قَالُوْا تَأَلَّوْا لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللّٰهُ عَلٰی
وَاِن كُنَّا لَخٰطِئِیْنَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِیْبَ عَلَیْكُمْ
اَلْیَوْمَ یَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ اَرْحَمُ الرَّحِیْمِیْنَ ﴿٩٢﴾
اُذْهَبُوْا بِقَمِیصِیْ هٰذَا فَالْقُوْهُ عَلٰی وَجْهِ اَبِیْ یَاتِ بِصِیْرًا
وَأَتُوْنِیْ بِاَهْلِكُمْ اَجْمَعِیْنَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
الْعِیْرُ قَالِ ابُوْهُمُ اِنِّیْ لَآجِدُ رِیْحَ یُوسُفَ لَوْلَا اَنْ
تُقِنْدُوْنَ ﴿٩٤﴾ قَالُوْا تَأَلَّوْا اِنَّكَ لَفِی ضَلٰلٍكَ اَلْقَدِیْمِ ﴿٩٥﴾

التفسير

• ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ استقصوا خبرهما ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ لا تقطعوا رجاءكم فيه ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ﴾ لا يقنط وينقطع رجاءه ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ رحمة الله تعالى ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) الجاحدون لنعم الله تعالى.

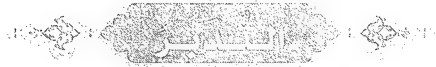
• ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ عادوا إلى يوسف ﴿قَالُوا يَتَأَيَّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ﴾ القحط والجذب ﴿وَجِئْنَا بِضِغَّةٍ مُزْجَلَةٍ﴾ ثمن رديء قليل ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾ أتمه ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ بفضلك وإحسانك ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (٨٨) يوفيهم أجر صدقتهم.

• ﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ﴾ من إلقاءه في الحب ﴿وَأَخِيهِ﴾ بنيامين وذلك بما أدخلوه عليه من الغم بسبب ما فعلوا بأخيه يوسف، وقيل: ما فعلوه ببنيامين هو لمزه بالسرقة ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (٨٩) وقت جهلكم بكبير ما فعلتم.

• ﴿قَالُوا أَيْتَاكَ لَأَنْتَ يُّوسُفَ﴾ عرفوه ﴿قَالَ أَنَا يُّوسُفَ وَهَذَا أَخِي﴾ بنيامين ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالإيمان والتقوى والتمكين في الأرض ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ يجعل بينه وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَيَصْرِ﴾ على ما يصيبه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٠) الذين أحسنوا مع الله تعالى ومع خلقه.



- ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ فضَّلِكَ علينا ورفع مقامك ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿فِيمَا فَعَلْنَا مَعَكَ﴾.
- ﴿قَالَ لَا تَرْيِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ لا أَلُومُكُمْ ولا أَعْيِرُكُمْ بما فعلتم ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ في فعلكم ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿١٢﴾.
- ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يعود إليه بصره الذي فقده ﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٣﴾ من الآباء والأبناء.
- ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ أي خرجت من أرض مصر إلى أرض فلسطين ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يعقوب ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونِ﴾ ﴿١٤﴾ أي تسفهوني ﴿قَالُوا﴾ أي الحاضرون عنده تلك اللحظة قبل مقدم أبنائه إليه: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ ﴿١٥﴾ أي ما زلت على خطئك القديم.



- ١ - بوارق الأمل في انتظار الفرج ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨٧﴾.
- ٢ - من مباهج قلبك ألا يصيبه اليأس من طوارق السوء ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨٧﴾.
- ٣ - مهما بلغ مرضك وجراحك وآلامك وأمض مشاعرك لا تيأس من فواتح الأمل وإن طال زمانها! ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨٧﴾.

٤ - أَيَا كَانَتْ فَوَاجِعُ حَالِكَ وَظُرُوفُ وَاقَعِكَ إِيسَاكَ أَنْ تَبْرَحَ بَابَ الْفَرَجِ ﴿يَبْنِي﴾ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾.

٥ - لَا شَيْءَ أَوْصَدُ لِأَبْوَابِ الْأَمَلِ وَالْفَرَجِ مِثْلَ الْيَأْسِ ﴿يَبْنِي﴾ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾.

٦ - الْيَأْسُ مِنْ أَخْلَاقِ الْكَافِرِينَ ﴿يَبْنِي﴾ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾.

٧ - الْمُتَعَلِّقُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالرَّاجُونَ لَهُ أَقْرَبُ مَا يَكُونُونَ إِلَى الْفَرَجِ ﴿يَبْنِي﴾ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾.

لَوْ لَا الرَّجَاءُ بَأْنُ يُعَجِّلُ بَيْنَنَا وَشُكُّ التَّلَاقِي لَا شَتِهَيْتُ مَمَاتِي

٨ - فِي لَحْظَةِ الضِّيقِ تَبْدَأُ مَسَارِبُ الْأَمَلِ بِالْإِشْرَاقِ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأَيَّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الْضُرَّ وَجِئْنَا بِضَعَةٍ مُزْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

٩ - حِينَمَا يَبْلُغُ بِنَا الْأَسَى مَدَاهُ تَبْدَأُ خَطَوَاتُ الْفَرَجِ فِي الطَّرِيقِ إِلَى وَاقَعِنَا ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأَيَّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الْضُرَّ وَجِئْنَا بِضَعَةٍ مُزْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾.



١٠ - الجهل سبب كل مشكلاتنا التي نعانينا وأحداثنا المؤسفة التي نعيشها ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُ يُونُسَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ (٨٩).

١١ - كم من إنسان استرق واقعه وجهده وحياته بسبب الجهل ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُ يُونُسَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ (٨٩).

١٢ - التقوى والصبر والإحسان ثلاثة أمور تصنع مجدك، وتطوف بك على رؤوس الخلائق مكرماً ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

١٣ - الأسرار الثلاثة التي بلغت يوسف مجده وأمله وأحلامه وأمانيه ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فلتبدأ بصناعة حلمك من خلال أحداثها في واقعك.

١٤ - الكبار يعرفون للنعمة قدرها ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾.

١٥ - كل ما يصيبك من أحداث النجاح والتوفيق فذلك بعض نعيم الله تعالى عليك ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾.

١٦ - إذا رأيته يلهج بهذا في كل موقف، وقد انعقد عليه قلبه في الأصل فاعلم أنه بالغ مناه ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾.

١٧ - مَنْ يوسف لولا الله؟! ومن أنت وأنا لولا الله؟! وَمَنْ هذا العالم كله لولا الله؟! ﴿ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾.

١٨ - لا تستطل يوماً وعد الله تعالى فيه بالنهايات ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴾ (٩١).

١٩ - إلى كل المخطئين في حق غيرهم: ستأتون على النهاية ذاتها ولو طال يومها! ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴾ (٩١).



٢٠ - لئن تأتي اليوم معتذراً من خطئك خير لك من أن يوفقك الله تعالى على نهاياته مجبراً ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾ (٩١).

٢١ - النفوس الكبيرة تستعلي على الثأر وقت القدرة ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٩٢).

٢٢ - هي الكلمة ذاتها التي قالها نبينا ﷺ يوم فتح مكة لأفواج قريش (١). ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٩٢).

٢٣ - المنتصرون في اللحظة لا يصلحون للقدوة ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٩٢).

٢٤ - إذا عُرف سبب الداء سهل علاجه ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَيْ يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣).

٢٥ - لواعج الشوق لا تطفئها إلا روائح المحبوب ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَيْ يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣).

٢٦ - إذا بلغك وَجْدٌ حبيبك فابعث له برسالة حب، أو حدثه بمشاعرك، أو أفض إليه بقلبك ووجدانك؛ فإن لم تجد سبيلاً إلى ذلك فابعث له بجزء من روائح طيبك وجسدك ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَيْ يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣).

٢٧ - في مرات كثيرة تكفي ثياب حبيبك لشفاء مرضك ودواء أحزانك ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَيْ يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣).



٢٨ - جزء كبير من أمراضنا الحسية سببه كدماتُ قلوبنا، واجتياح الأحداث لمشاعرنا ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩٣﴾.

٢٩ - والقلب على ما ينتظر من أمل ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفِندُونِ﴾ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾.

٣٠ - ليت الأبناء يدركون هذه الأشواق في قلوب آبائهم! ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفِندُونِ﴾ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾.



فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ
أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَتَّبِعَانَا
أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ
لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى
يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ
ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ
يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ
أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ
أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ
إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ
وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ
وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي
بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا
كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ
النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾



التفسير

• ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي ألقى قميص يوسف على وجه يعقوب ﴿فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ عاد بصيراً بعد أن كان أعمى ﴿قَالَ﴾ يعقوب: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَِّّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٩٦) من رحمته وكرمه وإحسانه.

• ﴿قَالُوا﴾ أبناء يعقوب: ﴿يَتَابَنَا أَسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ التي فعلناها معك ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (٩٧) في كل ذلك.

• ﴿قَالَ﴾ يعقوب: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ وعدهم الإجابة ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ للمذنبين ﴿الرَّحِيمُ﴾ (٩٨) بخلقه.

• ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ هم وأهلهم جميعاً ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ﴾ ضمهما إليه، وأكرمهما وبرهما ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (٩٩) من جميع المكاره والمخاوف.

• ﴿وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ على سرير الملك ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ سجد أهل يوسف جميعاً سجود تكريم وتشريف ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ هذا هو تأويل الرؤيا التي قصصتها عليك أيام الصغر ﴿قَدْ جَعَلَهَا رِئِي حَقًّا﴾ صارت حقيقة بعد أن كانت حلماء ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ بعد أن مكثت فيه زمناً ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ البادية ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ﴾ أفسد ﴿بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ فأورث الحسد وحصل العداء ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ يوصل بره وإحسانه بعبده من حيث لا يشعر ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بأحوال الخلق ﴿الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠) بتدبير شؤونهم.



• ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ وهو ولايته على خزائن المال في مصر
 ﴿وَعَلَّمَتْنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبيرها وتفسيرها ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
 خالقهما ومبدعهما ﴿أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ من يتولاني ويرعى
 شؤوني ﴿تَوْفَنِي مُسْلِمًا﴾ على الإسلام ﴿وَالْحَقِّقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٠١﴾ من
 الأنبياء ومن سار على منهجهم.

• ﴿ذَلِكَ﴾ ما قصصناه عليك يا محمد ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ نوصلها
 إليك عن طريق الوحي ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا
 أَمْرَهُمْ﴾ على وضع يوسف في الحب ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ بأخيهم.
 • ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ فمهما بلغ حرصك لن
 يؤمن أكثر الناس.



١ - الأدواء الكبيرة لا تشفيها إلا الصدمات المثيرة ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى
 وَجْهِهِ﴾ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١٦﴾.

٢ - إذا أردت أن تعرف قدر الحب فانظر كيف شفى جراح العمى ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ
 الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا
 تَعْلَمُونَ ﴿١١٦﴾.

٣ - ما خاب ظن صاحب الأمل يوماً ما ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾
 فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١٦﴾.



٤ - حسن الظن بالله تعالى موردٌ بصاحبه للنعيم ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٩٦).

٥ - الاعتراف بالذنب فضيلة ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (٩٧).

٦ - كثيرون لا يتوبون حتى يقفوا على الحقائق بأنفسهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (٩٧).

٧ - هذا تأويل الرؤيا أن أوانه، وقد بلغ زمناً طويلاً في الانتظار ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (٩٩) ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يَتَأَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رِيَّ حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠).

٨ - ضم إليه أبويه، وبشرهما بدخول مصر آمين، ورفعهما على العرش، وذكره بالرؤيا التي قصها عليه ببناء الأبوة ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (٩٩) ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يَتَأَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رِيَّ حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠) هكذا يصنع الأدب في حياة أصحابه.

٩ - كلما أصاب يوسف وارف من النعمة أعاده إلى ربه ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ وكم من إنسان في المقام ذاته نسبه لعلمه وشأنه ومكانته!

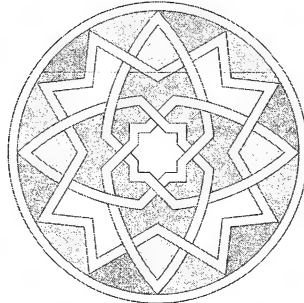
١٠ - الكبار يدركون أن المهارات والقدرات والإمكانات منح من الله تعالى ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١٠١).

١١- تذَكَّرْ وارِفِ النعمة في قلبه، فسأل الله تعالى أن ينعم عليه بالوفاة على الدين، وهي خواتم النعم وأجلها ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١٠١).

١٢- من عظيم منة الله تعالى على رسوله ﷺ وعلى أمته من بعد رواية هذه القصة وما فيها من معالم تستحق الاقتداء ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (١٠٢).

١٣- ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣) رسالة للنبي ﷺ وللدعاة من بعده: لا ترهقوا أنفسكم بسبب إدار المعرضين!

١٤- ليس من شأن الدعوة والدعاة رصد أعداد المهتدين، وأرقام المضافين في وسائل التواصل الاجتماعي، والحاضرين للمحاضرات، والمشاركين في الدورات والندوات؛ فالعبرة بالعمل وليس بالنتائج والثمار ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٣).



وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ
عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ
مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ تَأْتِيَهُمْ
السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو
إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي
إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ
وَضَلُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ
وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَتْ فِي
قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى
وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ
شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾



التفسير

- ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ على بلاغ القرآن إليهم ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾ يتذكرون به ما ينفعهم ويدلهم على الطريق.
- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ﴾ وكم من آية ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ كل وقت ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ لا يلتفتون إلى العبرة منها والعظة من أحداثها.
- ﴿وَمَا يُوْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾ فهم وإن آمنوا بربهم لا يزالون مشركين به.
- ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ هل اطمأنوا على أنه لا يأتيهم عذاب من الله تعالى يغشاهم ويأخذهم ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ وهم لم يستعدوا لها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾ ما الذي جاءهم من قدر الله تعالى.
- ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَذِهِ﴾ الدعوة ﴿سَبِيلِي﴾ أي طريقي الذي أسير عليه ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ على حجة واضحة بينة لا لبس فيها ﴿أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي﴾ ومن تبعني يدعو على الطريق نفسه ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهِ﴾ عن كل ما نسب إليه ولا يليق به ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ بالله تعالى في عبادته.
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ ذكوراً ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ بالوحي ﴿مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ المدن ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يمشوا فيها ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ يتأملوا ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كيف كانت نهايتهم وعاقبتهم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ أفضل وأحسن من الدنيا ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾ أمر الله تعالى.



• ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ﴾ يئسوا من أقوامهم ﴿وَوَظَنُوا﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ أخلفوا ما وعدوا به من النصر والتمكين ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ الذي وعدناهم به ﴿فَنَجَّىٰ مَن نَّشَاءُ﴾ أي الرسل ومن آمن معهم ﴿وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١١٠﴾ بل يصلهم ويحيق بهم.

• ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾ قصص الرسل إلى أقوامهم ﴿عِبْرَةٌ﴾ درس بليغ ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لأصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ أي القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ يُخْتَلَقُ ﴿وَلَكِن تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مصداقاً لما سبقه من الكتب المنزلة على الرسل ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الشرائع المجملة ﴿وَهُدًى﴾ هداية للخلق ﴿وَرَحْمَةً لِّلْقَوْمِ الْيُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١١﴾ لكل مؤمن.

الدرس

١ - الأصل ألا يأخذ الدعاة على بلاغهم لدين الله تعالى شيئاً ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾.

٢ - إذا وجدته يشترط مالاً موفوراً لأداء رسالته فدعك منه، فلا بركة في قول غير متبع لهدي الأنبياء ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾.

٣ - إذا لقيتم في الطريق سائلاً مالاً وأجرة على دين الله تعالى فبلغوه رسالة الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾.

٤ - كم من آية في الكون لا تحتاج سوى نظرة تأمل واعتبار ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾.

٥ - التأمل والنظر في كون الله تعالى عبادة مفضية بصاحبها للاعتبار ﴿وَكَايْنِ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١٠٥).

٦ - لم تتمحض عبادة كثير من الخلق من الشرك ونواقض التوحيد ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ (١٠٦).

٧ - غالباً ما تجد خللاً عند كثير من المؤمنين في توحيدهم لله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ (١٠٦).

٨ - ما أحوج القلوب للتعرف إلى الله تعالى والقيام بحقوقه ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٠٧).

٩ - كم من مصيبة أصابت قلب صاحبها وأذنت بموته وهو ينتظر مصيبة الأجساد ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٠٧).

١٠ - من عرف الله تعالى حقيقة قام له بحقه، وخشي عواقب التفریط ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٠٧).

١١ - الدعوة مسؤولية ضخمة تحتاج إلى استشعار ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨).

١٢ - كل دعوة لا تأخذ حظها من الكتاب والسنة والسيرة فلا حظ لها في البلاغ والتأثير ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨).

١٣ - الرجال هم المكلفون بسياسة الأمم، وليس للمرأة في ذلك شأن، ويكفيها صناعة الرجال في البيوت ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۚ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠٩).



١٤ - من توفيق الله تعالى لعبده أن يرزقه الاستبصار في آياته الماثلة في الكون ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۖ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

١٥ - مهما بلغ أثر الدنيا في عين صاحبها فهي بالنسبة للآخرة لا شيء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۖ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

١٦ - قد يتأخر النصر حتى لا يصبح في قلب المؤمن شيء سوى الله تعالى ﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

١٧ - لو أعطى الله تعالى النصر لعباده من أول وهلة لبطلت عبودية الصبر والجهاد والإيمان في كثير من مواقفها ﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

١٨ - إذا تأخر النصر فثمة حكم لله تعالى لم تبلغ نهايتها ﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

١٩ - لا تستبطئوا نصر الله تعالى وإن طال! ﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

٢٠ - مضت سنة الله تعالى أن بأسه لا يرد عن المجرمين في كل زمان ومكان ﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

٢١ - في القصص عبرة وذكرى لأولي العقول والألباب ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١١﴾.

٢٢ - القصة مورد عذب للتذكير؛ فينبغي أن يُحَسِّنَ استثمارها ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١١﴾.

٢٣ - ينبغي أن يكون التركيز على القصة القرآنية وما صح من سنة النبي ﷺ وهي الأصل في الدعوة والبلاغ والبيان ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١١﴾.

٢٤ - ليس أضر على الدعوة من القصص الواهية والموضوعة التي يختلقها الوعَّاظ ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١١﴾.

٢٥ - الذين يريدون أن يرتعوا في الهدى وينالوا رحمة الله تعالى فليحسنوا الإقبال على كتاب الله تعالى قراءةً وحفظاً وتدبراً ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١١﴾.



سُورَةُ الرَّعْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرْءُ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِشِّي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَعْنَا لِمَ يَخْلُقِ جَدِيدٌ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَعْغَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾



التفسير

• ﴿الْمَرَّ﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ آيات القرآن الكريم ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ القرآن الكريم كله حق ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ بهذا الحق الذي أنزل إليك.

• ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾ على عظمها واتساعها ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوْنَهَا﴾ ليس لها عمد يقلها ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ على سرير الملك وهو أعظم المخلوقات استوى استواءً يليق بجلاله ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ذلّلها لمصالح العباد ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لوقت محدد ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ يصرف أمر الكون على ما يريد ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ بينها ويوضحها ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ ﴿٢﴾ تعتقدون عظمته فتؤمنون به.

• ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ بسطها وسوّاها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً تثبتها ﴿وَأَنْهَارًا﴾ تجري لمصالح العباد ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ من كل جنس نوعين ﴿يُعْشَىٰ الْيَلَّ النَّهَارَ﴾ يغطي أحدهما الآخر وقت مجيئه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ لعب وعظات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ في ملك الله تعالى.

• ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَةٌ﴾ أراضي يجاور بعضها بعضاً تختلف كلياً عن بعضها البعض؛ فبعضها صالحة للنبات وأخرى سبخة، وبعضها قاسية وأخرى سهلة لينة ﴿وَجَعَلْتُ مِنْ أَعْنَبٍ﴾ بساتين من عنب ﴿وَزَرْعٍ﴾ حبوب مختلفة الأنواع ﴿وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ﴾ مثل بعض، والصنو بمعنى المثل ﴿وَعِثْرٍ صِنْوَانٍ﴾ ليست متشابهة، مع أنها تنبت في الأرض



نفسها ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ لا فرق ﴿وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ في اختلاف الطعم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ عبر وعظات كونها تزرع في أرض واحدة، وتسقى الماء ذاته، وتختلف عن بعضها البعض ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤﴾ لمن يعقل عن الله تعالى أمره.

• ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ﴾ من شيء ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ فأعجب منه قول المشركين ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا فَخْلٌ جَدِيدٍ﴾ إنكارهم للبعث ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ من كان منكراً للبعث غير مؤمن بالله تعالى ﴿أَوَلَيْكَ الْأَغْلُلُ﴾ القيود ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ أي في رقابهم يوم القيامة ﴿أَوَلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٥﴾ لا يحولون عنها.



١ - القرآن أعظم الدلائل والبيّنات على الحق ﴿الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ لو أن الناس منحته أوقاتها وألقت إليه بقلوبها لكان لهم ما يأملون.

٢ - ﴿الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ دعوة للإقبال على هذا القرآن والعناية به ومنحه كل شيء.

٣ - ألق بقلبك ومشاعرك وجوارحك في هذا الكون لترى مظاهر قدرة الله تعالى في أبهج معانيها ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ ﴿٢﴾ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ وفي الأرض

قَطَعَ مُتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْتَبٍ وَزَرَعَ وَنَخِلٌ صِّنَوَانٌ وَغَيْرُ صِّنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

٤ - التفكر والتأمل في الكون عبادة لها مقاصد كبرى لم تحظ بعد بشيء من أوقات المتدبرين والمتأملين ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْتَبٍ وَزَرَعَ وَنَخِلٌ صِّنَوَانٌ وَغَيْرُ صِّنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

٥ - المنصرفون عن الحقائق لا يمكن أن يهتدوا إليها بشيء ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَعْلَىٰ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾ لو لم يكن في دلائل البعث إلا هذا الخلق الدال على قدرة الكبير المتعال لكان كافياً!

٦ - كم من يوم سيأتي على المنكرين للحقائق! ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَعْلَىٰ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ
 الْأَمْثَلُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ
 لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ
 آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَّا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ
 يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
 الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ
 جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ
 مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ
 اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ
 سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي
 يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ
 الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ
 وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ
 فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

التفسير

- ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ بالعقوبة ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ قبل العافية والسلامة ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾ العقوبات المماثلة للمكذبين من قبلهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ فلا يعاجلهم بالعقوبة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٦) إذا أحل بقوم عقاباً فما أشد وطأته عليهم!
- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ هلاً أنزلت عليه آية من ربه تعالى تؤيد ما يقول غير ما جاء به، يقولون ذلك على سبيل التعتُّت ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ إنما أنت منذر لهم عما يحلُّ بهم، والآيات لله تعالى ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٧) يدلهم على الحق ويرشدهم إليه.
- ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ في بطنها سواء كان علقة أو مضغة، ذكراً أو أنثى، سعيداً أو شقيماً، حياً أو ميتاً ﴿وَمَا تَغْضُ الْأَرْحَامُ﴾ وما تنقص مما فيها إما بنقصان حجم الحمل أو بهلاكه ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ من كبر الأجنة ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِإِقْدَارٍ﴾ (٨) لا يتقدم عليه ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص.
- ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ لا يغيب عنه من علمها شيء ﴿الْكَبِيرُ﴾ في ذاته وصفاته ﴿الْمُعَالِ﴾ (٩) العظيم المستعلي على كل شيء.
- ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ﴾ يستوي عنده تعالى وفي علمه ﴿مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ﴾ أخفاه ﴿وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ أعلنه ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ﴾ مستتر في ظلمته ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (١٠) داخل في سره بالنهار، وهو كل ما يختفي فيه الإنسان.
- ﴿لَهُ﴾ للإنسان ﴿مُعَقَّبَتٌ﴾ من الملائكة يتعاقبون فيه بالليل والنهار



﴿مَنْ يَنْ يَدِيهِ وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ من جميع جوانب بدنه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ بأمر الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من النعمة ورغد العيش أو من المعصية وسوء الحال إلى غيره ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ إن كانوا في النعمة فغيروها إلى الفساد غير الله عليهم، وقلب حالهم إلى سوء، وإن كانوا في السوء والمعاصي فغيروها إلى الخير والهدى غير الله حالهم إلى أحسن حال ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ عذاباً وشدةً، أو أمراً يكرهه ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ فلا دافع له ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله ﴿مِنْ وَالٍ﴾ (١١) يتولى أمورهم، ويدفع عنهم ما أراد الله بهم.

• ﴿هُوَ﴾ أي الله ﴿الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾ النور في السماء ﴿خَوْفًا﴾ من العذاب ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ (١٢) السحاب المحمل بالمطر.

• ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ أي تسبيحاً مقروناً بحمد الله تعالى ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ وتسبح الملائكة من خوفه تعالى ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ المحرقة ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ من الخلق فتهلكه ﴿وَهُمْ﴾ أي الكفار ﴿يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ﴾ يخاصمون في وحدانية الله تعالى ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (١٣) شديد الحول والقوة لا يريد شيئاً إلا فعله ﴿وَبُخْلِ اللَّهِ﴾.



١ - إذا بلغ ظلام القلب مداه لا تستغرب أن تجد متهكماً في الطريق، مستعجلاً لعقاب الله تعالى ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١٦) من يجرؤ على الله تعالى ويستعجل عذابه!



٢ - ماذا لو استجاب الله تعالى لهؤلاء وغمرهم بعقابه! ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٦) ما أقبح الضلال! وما أجهل الإنسان بعواقب السوء! وما أضله إذا لم يهده الله!

٣ - الجرأة على الله تعالى فرع عن الجهل به ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٦) لو فقهوا من الخالق لأدركوا قبح ما يقولون!

٤ - الحلول التي يطرحها أهل الضلال ليس المراد منها معرفة الحق وإنما خلق مسافات من العناد ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٧) فلا تكثر لهذه الحلول أو تشغل؛ فالمسألة أكبر من ذلك بكثير.

٥ - لا تجهد نفسك في استرضاء المعرضين، بلّغهم دين الله تعالى، ويكفي ذلك نجاحاً في مهمتك وأداء رسالتك ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

٦ - كمال علم الله تعالى، وأنه يعلم ما يجري في الكون، لا يغيب عنه من ذلك شيء ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (٨) علم الغيب والشهادة الكبير المتعال (٩) سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (١٠) ولا يغيب عنه من علم حالك شيء.

٧ - لا تقلق على ولدك في بطن أمه؛ فالله يرضى كل أحداث ذلك المولود ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (٨).

٨ - ولد ابنه قبل أوان ولادته، ووضعوه في الحاضنة، وعاش مكدود الخاطر خوفاً



ألا يراه، وفاته أن الذي أجرى فيه الحياة هو الطف به منه في تلك الحال ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ﴿٨﴾.

٩ - حملت به بعد زمن طويل، وتخرج من كل ما يمكن أن يجهض ما في بطنها، وتجري همومها في كل لحظة ألم، وفاتها أن ما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لن يكون ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ﴿٨﴾.

١٠ - حتى الولد والبنت قدر الله تعالى وأمره ومشيتته؛ فإياكم وفوات الإيمان بأعظم ركائز الحياة! ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ﴿٨﴾.

١١ - افرح بكل ما يأتيك من مولود ذكراً كان أو أنثى؛ فكم من قادم وضع والديه في مباحج الحياة ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ﴿٨﴾.

١٢ - إذا لم يقدر الله تعالى لك ذكراً فافرح، فلعله تعالى أراد أن يزيح عنك هموم الدارين ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ﴿٨﴾ وإذا لم يكتب الله تعالى الحياة لذلك المولود فاحمد الله تعالى فربما أراد ألا يشقيك ما بقي الزمان.

١٣ - كل عملك، وما تديره في شأنك، وما تجتهد في بنائه في حياتك: يراه الله تعالى ويرقبه، ولا يغيب منه على الله تعالى شيء ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِآيِلٍ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ﴿١٠﴾ الصالح من نياتنا وأعمالنا أو القبيح منها، ما يأتي في ظلام الليل، أو في ضحى النهار، كله لا يتخلف من ذلك شيء.

١٤ - يستطيع الظلام أن يحجب أعين الناس عنك، ولكنه لا يستطيع أن يخرج بك



من علم الله تعالى لحظة ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ١٠.

١٥ - أحاديث الليل مرصودة مكتوبة، فلا يغرك ظلام الليل الساتر لها ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ١٠.

١٦ - مكالماتك في ساعات الليل المتأخرة، وتواقيعك التي تجريها في الظلام، وأوراقك المبعثرة: كلها تجري على عين الله تعالى، لا يغيب منها شيء ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ١٠.

١٧ - في اللحظة التي تبلغ فيها وسعك من ستر أعين الناس عنك هي ذاتها التي يبلغ فيها جهرك في عين الله تعالى مداه ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ١٠.

١٨ - كم من مستور في الأرض مفضوح في الملاء الأعلى! ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ١٠.

١٩ - يجتهدون في التواري عن أعين الناس، ويبلغون في ذلك وسعهم، وتجري مشاهد تلك المنكرات في صحفهم وسجلات أعمالهم ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ١٠.

٢٠ - ثمة ملائكة تدبر شأنك في كل لحظة؛ فتحرس أن يروك في مشاهد الفضيحة ﴿لَهُ، مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

٢١ - من توفيق الله تعالى أن يسر لك ملائكة السماء تحفظ عملك، وتقف حائلاً دون الشرور الواصلة إليك ﴿لَهُ، مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

٢٢ - حياة العالم كلها وقف على هذا المعنى الكبير ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ وأول ذلك حياتك أنت.



٢٣ - لا تنتظر حلماً غائباً ما لم تطرق هذا المعنى الكبير باجتهادك وعزيمتك! ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

٢٤ - الذين ينتظرون أملاً كبيراً عليهم أن يفتحوا نوافذ ربيعهم بأعمالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

٢٥ - كل حياتنا وآمالنا ومستقبل أيامنا وقف على الخطوة الأولى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

٢٦ - انتظار مستقبلك، ونوافذ الربيع في حياتك، وأيام الأمل لا تأتي إلا من خلال استقبال هذا المعنى الكبير ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

٢٧ - الذين يحملون بالإصلاح الكبير عليهم أن يبدؤوا بأنفسهم أولاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

٢٨ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ رسالة لكل الذين يعانون ديوناً، وقلقاً، وأحزاناً، وظروفاً بائسة: أنتم مسؤولون عن صناعة أحلامكم القادمة بكل اقتدار.

٢٩ - إلى كل الذين يبحثون عن سعادة بيوتهم، ويرجون أولاداً صالحين، ويجهدون في بلوغ أحلامهم التي تختال في قلوبهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

٣٠ - قدر الله تعالى نافذ، ومشيتته ستجري في العالمين كيف شاء ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

٣١ - لا تستطلّ طريق الهالكين ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

٣٢ - إذا وقع قدر الله تعالى على فرد أو جماعة أو أمة؛ فلا تتأسف على فوات

نصيبك من دفعه فهو واقع لا محالة ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

٣٣ - لا تحزن على ما أصابك أو تتأسف أنك لم تتخذ التدابير الواقية لدفعه؛ سيحل بك ولو بلغت كل جهدك ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

٣٤ - كم في سحب السماء وبرقها من آمال وأفراح! وكم فيها من عذاب وأتراح! ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ (١٢).

٣٥ - حَلَّتْ أحداث السماء بقوم فحوّلت صحراءهم إلى ربيع، وألقت بهم إلى ساحات الأفراح مستبشرين، وحلّت بآخرين فألقت بهم إلى الهلاك والنكال والعذاب ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ (١٢).

٣٦ - حتى الجمادات تعترف بفضل الله تعالى، وتقيم له حقًا، وتؤدي له واجبًا ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (١٣) وبعض الخلق عاق لا يقيم لله تعالى واجبًا، ولا يقوم له بحق.

٣٧ - الصواعق جند من جنود الله تعالى ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (١٣).

٣٨ - كم مرة ألقت هذه الصواعق بأحداثها على أناس وحيوانات وجمادات فلم تُبق فيها شيئًا من الحياة! ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (١٣).

٣٩ - سبحانه إذا أراد بعباده سوءًا فلا رادّ لقضائه ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾.

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا
كَبْسِطٍ كَتَبَتْهُ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَظِلِّلُهم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي
الْظُّلُمَةُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ
عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ يَقْدَرُهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا
يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ
أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ
أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾

التفسير

• ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أي الله تعالى دعوة الحق، وهي عبادته وحده لا شريك له ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الأوثان والأنداد ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ﴾ لمن يدعونهم ويعبدونهم ﴿إِلَّا كَبَسَ طَئِيفَهُ إِلَى الْمَاءِ﴾ إِلَّا كَمَنْ يَمِدُّ يَدَهُ إِلَى الْمَاءِ ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ ليصل إلى فمه ليرتوي من العطش ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ والماء لن يبلغه؛ فكَذَلِكَ الْآلِهَةُ لَا تَنْفَعُ صَاحِبَهَا مَهْمَا دَعَاها وَاسْتَغَاثَهَا ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ﴿١٤﴾ فلا ينفعهم بشيء.

• ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كل الكون يسجد لله تعالى ﴿طَوْعًا﴾ طائعين من قبل أنفسهم ﴿وَكَرْهًا﴾ أو كارهين مجبرين عليه ﴿وَوُظِّلَتْ لَهُمْ﴾ وظل المخلوقات تسجد كذلك لله تعالى ﴿بِالْعُدُوِّ﴾ أول النهار ﴿وَالْأَصَالِ﴾ ﴿١٥﴾ آخره.

• ﴿قُلْ﴾ يا أيها الرسول للكفار الذين يعبدون مع الله تعالى غيره ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾ مَنْ خَالَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَدَبَّرَ أَمْرَهُمَا ﴿قُلْ أَفَاتُخَذْتُمْ﴾ لَأَنْفُسِكُمْ ﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى نَفْعِ أَنْفُسِهِمْ وَلَا ضَرْهَا، فَكَيْفَ يَنْفَعُونَ غَيْرَهُمْ أَوْ يَضُرُّونَهُمْ؟! ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ الْكَافِرُ بِاللَّهِ تَعَالَى ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ الْمُؤْمِنُ ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ﴾ ظُلُمَاتُ الْكُفْرِ ﴿وَالنُّورُ﴾ وَنُورُ الْإِيمَانِ ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ أَمْ أَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ جَعَلُوا لِلَّهِ تَعَالَى شُرَكَاءَ فِي الْمُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ خَلَقُوا خَلْقًا كَخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ فَيَكُونُ شُرَكَاهُمْ لِهَذَا التَّشَابُهِ فِيمَا بَيْنَ الْخَلْقَيْنِ. وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ،



وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِهِ فَلَا خَلْقَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَهُ يَرْجِعُ الْأَمْثَالَ ﴿١٦﴾ وَلَهُ يَرْجِعُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

• ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ بالماء الجاري فيها ﴿بِقَدَرِهَا﴾ بقدر ما فيها من ماء ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ﴾ الماء ﴿زَبَدًا﴾ غشاء ﴿رَابِيًا﴾ عاليًا مرتفعًا على الماء، وهذا مثل شبه الله تعالى فيه الحق وأمله في الثبات والنفع بالماء الصافي الذي ينزل من السماء فتمتلئ به الأودية ويتنفع به الناس، وشبهه الباطل في ذهابه وعدم نفعه بالزبد الذي يحمله الماء فوقه مهما بلغ علوه؛ فإنه إلى زوال ولا نفع فيه ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ ومما يوقد الناس على النار من الذهب والفضة ﴿أَبْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ يريدون بذلك حلية يلبسونها ﴿أَوْ مَتَاجِرَ﴾ أو يريدون متاعاً يتمتعون به من الأواني والأدوات ونحوها ﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾ يخرج منها كذلك زبد لا نفع فيه، ويبقى بعد ذلك المعدن الصافي النقي، وكذلك الحق والباطل كما أن الزبد لا يثبت مع الذهب والفضة؛ فكذلك الباطل لا يثبت في مقابل الحق ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ في ثباته وبقائه ﴿وَالْبَاطِلَ﴾ في زهوقه وعدم ثباته ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾ الباطل ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ غشاء لا يثبت ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من الحق ﴿فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾ يثبت ويقوى ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ ﴿١٧﴾ لتستقر في عقول الناس.

• ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ لم يقوموا بما أمرهم به ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يملكونه ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ ويملكون مثل الأرض زيادة على ذلك ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ من عذاب يوم القيامة ﴿أُولَئِكَ هُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ أسوأه ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِمْ﴾ مقرهم النار ﴿وَيَسْأَلُ الْمَاهِدُ﴾ المستقر الذي يستقرون فيه. ﴿١٨﴾

التدبير

١ - يدعون أولياء من دون الله تعالى ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ﴿١٤﴾ ما أقبح الجهل!

٢ - كل العالم يسجد تعظيماً لله راضياً وراغماً ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ﴿١٥﴾ حتى ظلال الأشياء في الغدو والآصال تذهب عابدة ساجدة منيبة لربها. ما أغفل الإنسان!

٣ - لم يبق في الكون غير معظّم لربه إلا منكر وجاحد ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ﴿١٥﴾.

٤ - ليس من الحكمة أن تدفع على عقول الكافرين بأدلة شرعية لإقناعهم، واجههم بالعقل، واحكم على فساد باطلهم بالحجج والبراهين العقلية ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿١٦﴾.

٥ - من الشؤم ألا يكون للمعرفة واقع في حياتك ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿١٦﴾.

٦ - الحق كأودية السيل التي تجري على الأرض اليابسة فتذهبها النعيم وتعود خضراء بعد أن كانت بلقاً جدياً، وكالذهب الباقي بعد كير النار ﴿أَنْزَلَ مِنَ



السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُٓ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيٍّ أَوْ مَتَعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٧﴾ والباطل كغثاء السيل لا نفع فيه، والذاهب من شوائب الذهب الذي أخرجه كير النار.

٧ - الحق وحده الذي سيبقى في قلوب العالمين، وما عداه فزاهق باطل ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ﴾ فكونوا على الطريق، وصابروا على لأوائه، وامضوا مستبشرين بالآمال!

٨ - لا تحتقر شيئاً من الحق! فستجد أرضاً صالحة للإنبات وإن طال زمانه ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ﴾.

٩ - رسالة الحق أثمن بكثير من رسالة باطل مزخرفة مزينة ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ﴾.

١٠ - مؤلفك الذي تكتبه في دعم فضيلة الحق أبقي وأثمر وأصلح من حبر مسكوب في تزيين باطل رخيص ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ﴾.

١١ - حتى لو رأيتهم كأسراب القطا حول الروايات الرخيصة في معارض الكتب أو في أجنحة المكتبات ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ﴾.

١٢ - إذا لم تجد لفكرة الحق رواجاً في وقتك فلعل ربيعها لم يحن بعد ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ﴾.

١٣ - جهد واحد من الحق كافٍ لمدافعة ألف مشهد للباطل ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ﴾.



١٤ - ما زلنا نعيش على كلمة صاحب الحق وفكرته ومشروعه وقد مات صاحبه من مئات السنين ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾ ولم يبق للباطل إلا حسرات الخذلان.

١٥ - كم مرة صار لمشروع باطل أو فكرة وهمية صوت وجلبة، ثم ماتت في مستقبل الأيام كأنها لا شيء ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾.

١٦ - إذا رأيت فكرة الباطل تمتد فليس لقوتها وإنما زيادة في إضلال صاحبها ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾.

١٧ - بشّروا الذين يجتهدون في باطلهم بأنهم إلى بوار ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾.

١٨ - هذا المعنى ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ﴾ يلقم أفواه القاعدين عن العمل برمادٍ حار!

١٩ - استجابتك لله تعالى هي خطواتك العجلى نحو الجنان ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾.

٢٠ - كم مرة عُرِضَتْ هذه الصور ولم تلق رواجاً في قلوب المعرضين! ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَلِّمُونَ إِلَيْهَا﴾.



﴿١٩﴾ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ
 أَتُؤَلِّقُوا الْآلَتِيبَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ
 وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
 وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرُسُونَ
 بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
 وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فِعْنَمَ عُقْبَى الدَّارِ
 ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
 أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ
 وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا
 بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا يَضِلُّ
 مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ
 قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾



التفسير

- ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ لا يستوي من يعلم الحق ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ عنه لا يعرفه ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُ أَكْثَرُ أَكْثَرِ الْأَلْبَابِ﴾ (١٩) أصحاب العقول.
- ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ وهو كل حق لله تعالى طلبه من العباد ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ أَلْمِثْقَ﴾ (٢٠) فلا يخلفون العهد الذي عاهدوا الله تعالى عليه.
- ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ وهو كل ما أمر الله بوصله من الحقوق التي بينه وبين عباده أو بينه وبين خلقه ﴿وَيَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يخافونه ويعظمونه ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢١) وسوؤه أن يحاسبهم الله تعالى على أخطائهم وآثامهم كلها.
- ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على طاعة الله تعالى وعن محارمه وعلى أقداره ﴿أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ من أجله ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ فعلوها في أوقاتها كما أمرهم الله تعالى ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ بذلوه في سبيله تعالى ﴿سِرًّا﴾ لا يراه أحد ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ على مرأى من الخلق ليتأسى بهم الناس ويقتدوا بهم في ذلك ﴿وَيَذَرُوكَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ يدفعون سيئة من أساء إليهم بالحسنة من العفو والصفح ﴿أُولَئِكَ﴾ من يفعل هذه الأفعال ﴿لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٢) العاقبة الحسنة في الجنة.
- ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بساتين خالدة وإقامة دائمة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ يوم القيامة ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ يلحقونهم في الجنة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) من أبواب المساكن التي يسكنون فيها.
- ﴿سَلَّمَ عَلَيْهِمْ﴾ يقولون لهم أثناء الدخول: سلام عليكم؛ أي سالمين من الآفات والعوارض التي تحول بينكم وبين النعيم ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ جزاء صبركم ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) ما أجمل تلك العاقبة التي يصلون إليها!

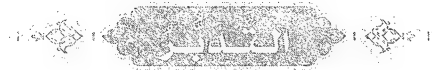


• ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ الذي أمرهم بالوفاء به، وذلك جملة طاعته والقيام بأمره ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ من بعد ما أكد عليهم التزامه والوفاء به ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ فيما بينهم وبين الله، أو فيما بينهم وبين خلقه ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر وارتكاب المعاصي ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ مطرودين من رحمة الله تعالى ﴿وَهُمْ سَوَاءُ الدَّارِ﴾ ﴿٢٥﴾ سوء العاقبة والمستقر.

• ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ يوسعهُ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بمتاعها الزائل ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ ﴿٢٦﴾ شيء حقير زائل.

• ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ هلاً أنزلت آية من الله تعالى تؤيد أنك رسوله ﴿قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ بعدله ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ ﴿٢٧﴾ من رجع إلى الحق.

• ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله تعالى ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ تهدأ وتستريح لذلك ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ تسكن وتستقر وترتاح.



١ - لا يستوي مؤمن على الصراط، وضالٌّ في تيه الظلام ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ لا يتخيّل هذا الفرق الكبير إلا من جربه واقعاً أو رآه.

٢ - حين تفقد عقلك لا يبقى شيء صالح للتمييز ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ كم هو الفارق بين الحق والضلال؟! وكما هي المسافة بين الحقيقة والعمى؟ ولكن الخذلان لا حد له في النهاية.

٣ - هذه صفات المتقين الأبرار ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ٢٠ ﴾
وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ٢١ ﴾ وَالَّذِينَ
صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ٢٢ ﴾ .

٤ - إذا رأيته مُجَلًّا للعهد التي يبرمها مع ربه أو مع خلقه؛ فاعلم أنه كبير ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ٢٠ ﴾ رغم ظروفه العارضة ولكنه أصرَّ على إتمام ما بينه وبين الله تعالى.

٥ - فرق كبير بين إنسان يتوقف عند عهده لا يستطيع أن يجاوزه في شيء وآخر يعاهد وينكث مراراً لا يبالي بشيء ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ٢٠ ﴾ .

٦ - يصل رحمه، ويخشى ربه، ويخاف سوء الحساب، هذه صناعة المتقين ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ٢١ ﴾ .

٧ - فرق كبير بين واصلٍ لرحمه وقاطع له، الأول في رياض الجنان، والآخر في شتات الضلال ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ٢١ ﴾ .

٨ - له جدول أسبوعي لزيارة رحمه. هذه أول عتبات طريق الفالحين ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ٢١ ﴾ .

٩ - هؤلاء يزورهم، وأولئك يهبهم من ماله، وآخرون يأخذهم بسيارته لقضاء حوائجهم. إنَّها نوافذ على صلاح الطريق ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ٢١ ﴾ .

١٠ - ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ مفقودٌ كبيرٌ في زمن وسائل التواصل الاجتماعي.



١١ - ما أحوج الذين يديرون مشاريع المصالح العامة إلى قراءة هذا المعنى كل حين ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾.

١٢ - إلى كل الذين يديرون شأنًا في الظلام: ارعوا حقوق هذا المعنى الكبير! ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾.

١٣ - ليتنا حين ندير شيئاً من شأن الدنيا نقرأ واعظ القرآن ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾.

١٤ - هذه معالم القدوات ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٢).

١٥ - الصبر لله من أعظم ما يبلِّغك شأنك في الدارين ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا يصبرون لجاه أو سلطان أو سمعة أو مال أو رغبة في عارض الدنيا، وإنما لغايات الآخرة الكبرى.

١٦ - ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ يصبرون على طاعة الله تعالى، ويجاهدون في الحفاظ على أوامر الطاعة، ويتعبدون لله تعالى مراراً، وإذا حلت بهم فجائع الزمان تجلّدوا لها ابتغاء ما عند الله تعالى، وإذا غرّضت عليهم الشهوات وقفوا مستعصمين من أجل ثواب الله.

١٧ - ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ ليست المسألة أداءً، وإنما معنى وإقامة!

١٨ - الصلاة أعظم شعيرة في الأرض تستحق هذا الإجلال ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ ما حاجة الناس اليوم إلى شيء كحاجتهم إلى إجلال هذه الفريضة، واستشعار أهميتها وأثرها وغاياتها الكبرى.

١٩ - ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ لا يبالون بالمال إذا كان في جنب الله تعالى!

٢٠ - ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ هذا المال الذي في يدك وجيبك ليس لك منه شيء، وإنما هو من الله والله!

٢١ - في مرات يهبون منه سرّاً، ويجلون به خبايا صالحة، وفي مرات يهبون منه على مرأى من العالمين، ليفتحوا أبواباً للخيرات، ويصنعون من أنفسهم قدوات ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾.

٢٢ - كلما قام في طريقهم سفهاء الأحلام تَجَمَّلُوا بهذا الخلق الكريم ﴿وَيَذَرُوكَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾.

٢٣ - ﴿وَيَذَرُوكَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ يستعلون عن الردود الآنية والعاجلة!

٢٤ - لا يكثرثون بعاجل الفوضى وقطاع الطريق. ينتظرون شأن الآخرة ولو طال ﴿وَيَذَرُوكَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾.

٢٥ - من حق هؤلاء هذا النعيم العاجل ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤).

٢٦ - إذا أردت أن تعرف مقام تلك الصفات الكبرى فانظر إلى نعيمها في الختام ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤).

٢٧ - هكذا هم قطاع الطريق ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٢٥).

٢٨ - ناقضون لعهود الله تعالى، وقطّاع لأرحامهم وأقاربهم، ومفسدون في الأرض، وتطاردهم لعنة الله تعالى في كل مكان ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٢٥).

٢٩ - نافذة على بناء العقائد في النفوس ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا

بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴿٦١﴾ ما بلغك من مال الله تعالى هو قدره تعالى واختياره ومشيتته؛ فإياك والاعتراض!

٣٠ - لا تنظر إلى ما في يد الآخرين من أموال؛ فالآخرة أبقي وأمتع ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ ﴿٦١﴾.

٣١ - كم من كثيرٍ هنا يجري عليه سؤال القيامة! وكم من قليل يسلم به صاحبه من سؤال مواقف الحساب! ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ ﴿٦١﴾.

٣٢ - ليس من شأن الرسل إنزال الآيات، وإنما شأنهم البلاغ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّكَ اللَّهُ يَضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أُنَابَ﴾ ﴿٦٧﴾ وما وجد من الآيات والبيّنات والدلائل كافٍ في هداية الراغبين وحجة على المعرضين الضالّين.

٣٣ - لا حدود للسفسه! حتى شريعة الله تعالى وأحكامه يريدونها كما يشاؤون ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّكَ اللَّهُ يَضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أُنَابَ﴾ ﴿٦٧﴾.

٣٤ - مسألة الهداية ليست وقفاً على مشاهد الآيات ونزولها ومعابنتها، يكفي المؤمن وحي الله تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّكَ اللَّهُ يَضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أُنَابَ﴾ ﴿٦٧﴾ يا لقبحهم وجهلهم!

٣٥ - الأسئلة الشاقة من أجل الإيمان من دلائل الإعراض عن دين الله تعالى ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّكَ اللَّهُ يَضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أُنَابَ﴾ ﴿٦٧﴾.

٣٦ - لا حدود للضلال! عبيد ويتعتنون في الإيمان ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّكَ اللَّهُ يَضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن أُنَابَ﴾ ﴿٦٧﴾.

٣٧ - من أراد أفراح القلوب وعاجل مباحجها؛ فليقبل على ذكر الله تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾.

٣٨ - السعادة ليست في سياحة خارجية، ولا في مال كثير، ولا في سلطان ومنزلة، هتافها الكبير في القلب ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾.

٣٩ - ذكر الله تعالى هنا هو القيام بأوامره وترديد آلائه ونعمه في القلب وعلى اللسان ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾.

٤٠ - أقم شأن الصلاة، واقتطع من وقتك لبيوت الله تعالى، وأقبل على كتاب ربك تالياً متدبراً، وسترى الحياة كما تشاء ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾.

٤١ - يترددون على مصحاتٍ نفسية، ويشعرون بالقلق، ويجدون مفضض الأيام، وفاتئهم أن ساحات السعادة في دين الله تعالى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾.

٤٢ - حتى الشقاق في الأسرة، والنزاع في العمل، وعدم الراحة في الوظيفة، والآلام التي تطارده في كل لحظة سببها ضياع هذا المعنى من واقعه ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ
 مَآبٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ
 لَّتَتَّبَلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ
 هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ
 أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّ مِمَّا
 فِي السَّمَوَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ أَغْمُضُ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن
 لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 تُصِيبُهُمُ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ
 اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا بِرُسُلِنَا مِن قَبْلِكَ
 فَآمَنَ بِهِ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْنَاهُم فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾
 أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ
 سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ
 بَل زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ
 فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٣﴾ هُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
 أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿٣٤﴾

التفسير

• ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ فرح وقرّة عين ﴿وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾ ﴿٢١﴾ مستقر جميل وآمن.

• ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا رسول الله ﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ فليست أمتك هي أول أمة تأتيها كرسول ﴿لِتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من القرآن وما فيه من العبر والعظات ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ بالله تعالى، فلا يأترون بأمره، ولا ينتهون عن نهيه ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا شريك له ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتمدت ﴿وَالِيَهُ مَتَابٍ﴾ ﴿٣٠﴾ توبتي وإنابتي.

• ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ تحركت من أماكنها من أثره ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ شققت وصارت أنهاراً وعيوناً ﴿أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ الْمَوْتَى﴾ صاروا أحياء بقراءته عليهم لكان هذا القرآن الذي أنزل عليك يا رسول الله، وهذا كله بيان لعظمة القرآن الكريم ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ فيأتي بالآيات التي تقتضيها حكمته ومشيبته ﴿أَفَلَمْ يَأْفِكِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أفلم يعلموا ويتحققوا ﴿أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ بدون أن يشاهدوا الآيات ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على كفرهم ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ كارثة ومصيبة ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ تنزل ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ فيفزعون منها ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ وهو موتهم أو قيام الساعة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ﴿٣١﴾ فما وعدهم به آتٍ.



﴿ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ رَسُولَ مَنْ قَبْلِكَ ﴾ فلست أول رسول استهزئ به ﴿ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أمهلتهم ﴿ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ ﴾ بالعذاب ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (٣٢) أي فكان عقاباً شديداً.

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ ﴾ رقيب ومهيمن عليها ﴿ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ بما عملت ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ في ملكه ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ اذكروهم بأسمائهم إن كانوا موجودين ﴿ أَمْ تَتَّبِعُونَهُمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ﴾ أم تخبرون الله تعالى بشركاء لا وجود لهم في الأرض ﴿ أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ أو تُسَمُّونهم شركاء بظاهر القول من غير وجود حقيقي لهم ﴿ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ ﴾ كفرهم وصددهم عن سبيل الله تعالى ﴿ وَضُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ﴾ ضلوا عن الطريق الموصل إلى الله ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (٣٣) من كتب الله عليه الضلالة، فما له من أحد يهديه، ويدله على الطريق.

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ كالأسر والقتل ﴿ وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ﴾ أشد وأنكى ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ (٣٤) يقيهم عذاب الله تعالى.



١ - الإيمان والعمل الصالح يصنع لصاحبه كل شيء ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي ﴾ (٣٥).

٢ - كم من مثير لهذه الأحداث في واقعه ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي ﴾ (٣٦) وكم من مغبون بفواتها من حياته!

٣ - ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ (٢٩) هذه ليست حكاية تُقال، ولا مواظ ترداد، هذه أحاديث العمل الجادة في تاريخ صاحبها.

٤ - يتكلم عن السعادة، ويبحث عنها، وما زالت صلاة الجماعة تعيش شتاتاً، ولا ورد له يشعر بأثره، وضعيف الصلة بربه في مواطن الخيرات، هيهات. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ (٢٩).

٥ - لم يتخلف عن صلاة الجماعة منذ زمن، وما فاتته تكبيرة الإحرام، ويجهد في إثراء واقعه التعبدي من خلال ورد ثابت في صلاته وصيامه وحجه وعمرته وقراءته للقرآن. لَيَجِدَنَّ ما لم يكن له في الحسابان ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ (٢٩).

٦ - الإيمان حركة وفاعلية وجهاد، وليس ادعاءً مفصلاً عن العمل والجهاد والتحديات ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

٧ - فرق كبير بين مؤمن محافظ على صلاة الجماعة، وآخر متخلف فيها، وثالث مرابط على الورد الشرعي، ورابع لا يعرف معناه، وخامس يتخرج من كل منهى عنه، وسادس لا يدرك فيما يقع كل يوم، وعلى قدر هذه المشاهد تطيب الذكرى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ (٢٩).

٨ - نافذة على الحقائق الغائبة ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَآبٍ﴾ (٣٠) نكران الإنسان وجحوده للجهود التي تصله أصل ضارب في عمق التاريخ.

٩ - الإعراض عن الله تعالى سنة لم تكن عذراً للخلود إلى الأرض أو ترك الطريق ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَآبٍ﴾ (٣٠).



١٠ - إسماع الناس القرآن أكثر المواعظ أثراً وأجلها معنى في القلوب ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الذِّكْرَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾.

١١ - أعظم وسائل الدعوة تأثيراً على الإطلاق صوت الوحي ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ بَل لَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِ الْذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (٣١).

١٢ - الذين لم يعرفوا قدر هذا القرآن ليقرؤوا هذا المعنى الذي يصفه الله تعالى به ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ بَل لَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِ الْذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (٣١).

١٣ - مهما بلغت الحوادث في واقع صاحبها إذا لم تلق قلباً يستقبلها وإلا صارت لا قيمة لها في واقعه ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

١٤ - كم من الأحداث التي نزلت بديار الكفر دون عظة وعبرة! ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

١٥ - لن يتوقف الأعداء عن ضلالهم حتى يحين موعد اللقاء ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.



١٦ - المستهزئون بالمصلحين إنما ينتظرون العواقب ذاتها ﴿وَلَقَدْ أَهْزَىٰ بُرْسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (٣٢) ﴿كم من قارئ لهذه الحقيقة، وما زال يجري في فلك الخذلان!

١٧ - العداء بين الحق والباطل سنة جارية ما بقيت الدنيا ﴿وَلَقَدْ أَهْزَىٰ بُرْسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (٣٢) ﴿.

١٨ - لا يستوي القائم الرقيب على أنفس العباد بما كسبت، والشركاء الذين لا يغنون من شيء ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ (٣٣) ﴿الضلال يصنع مقارباتٍ مستحيلةً، يوهم بها كثيرين.

١٩ - لا تستغرب هذا الإغراق في الضلال، تلك الزينة تأخذ حظها من النفوس ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾.

٢٠ - الزينة الوهمية والصدود عن دين الله تعالى نتائج لأثر النيات والأحوال ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾.

٢١ - المعرضون أشقياء في الدارين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ (٣٤) ﴿.



﴿٣٥﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا
 دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ
 وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَتابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ
 يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا
 وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ
 أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ
 ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا
 كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَآئَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
 يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ مَا
 نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا
 الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ
 لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ
 عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى
 بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

التفسير

• ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ في صفتها وجمالها ﴿الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ وهم من جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ﴾ مادتها دائمة لا تنقطع ﴿وَوُظِّلُهَا﴾ دائم كذلك ﴿تِلْكَ عِقَبُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ نهايتهم وعاقبتهم ﴿وَعِقَبُ الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ ﴿٣٥﴾ ونهاية أمر الكافرين إلى نار جهنم.

• ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلْكَتَبَ﴾ التوراة والإنجيل ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن لكونه مصدقاً لما معهم ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ من طوائف الكفر ﴿مَنْ يُنْكِرْ بَعْضَهُ﴾ بعض ما في القرآن ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ كما أمرني بذلك ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ إِلَهًا أَدْعُوا﴾ إلى الله تعالى ﴿وَالِلَّهِ مَثَابُ﴾ ﴿٣٦﴾ المرجع والمصير.

• ﴿وَكَذَلِكَ أُنْزِلَتْهُ﴾ أي القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ ﴿وَلِيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ آراء الكافرين وشهواتهم ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ من الحق عن الله تعالى ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلي أمرك وينصرك ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ ﴿٣٧﴾ يقيك من العذاب.

• ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ فليست بأول رسول ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ فهم من جنس البشر يتزوجون ويلدون ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ﴾ علامة على صدقه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ما لم يأذن الله تعالى بذلك ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ﴿٣٨﴾ لا يتقدم ولا يتأخر عنه.

• ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من الأقدار ﴿وَيُثْبِتُ﴾ ما يشاء منها ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ﴿٣٩﴾ اللوح المحفوظ، وهذا المحو لا ينافي ما كتب في

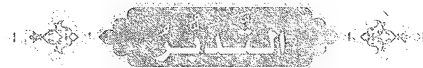


اللوح المحفوظ، وجرى به القلم أولاً؛ لأن هذا المحو والإثبات من جملة ما جرى به القلم ﴿وَإِنْ مَا نُزِّنَاكَ بِعَضُّ الذِّبْنِ نَعُدُّهُمْ﴾ من العذاب ﴿أَوْ نَتَوَقَّيْتِكَ﴾ قبل ما يجري عليهم من العذاب ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ فلست مسؤولاً إلا عن بلاغ الدعوة إليهم ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ﴿٤٠﴾ يوم القيامة.

• ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أي الكفار ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بفتح البلدان وإهلاك الظالمين ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ لا يتعقب أحد حكمه تعالى في شيء لتمام ملكه وعظيم سلطانه ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٤١﴾ إذا أَرَادَهُ بِقَوْمٍ لَمْ يَتَأَخَّرْ عَنْهُمْ.

• ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ برسلى الله تعالى، وبالحق الذي معهم، ومكرهم هو معاندتهم للحق ومعارضتهم له ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ فلا يفوته من مكرهم شيء يردده ويبطله، ويأتيهم من حيث لا يحتسبون ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من خير أو شر ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبَ الدَّارِ﴾ ﴿٤٢﴾ لمن النجاة والفوز.

• ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ من عند الله تعالى ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يكفيني دليلاً إرسال الله تعالى لي ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ﴿٤٣﴾ وشهادة من عنده علم التوراة والإنجيل كعبد الله بن سلام ونحوه.



١ - ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ ﴿٣٥﴾ رسالة للمجتهدين في الخيرات، والسادرين في الظلام!



٢ - لمثل هذا فليعمل العاملون ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾.

٣ - ما تصنع لهم حضارة الدنيا وهم ينتظرون هذا الشقاء ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

٤ - ما أشقى الحضارة التي تبني مجدها على حساب الآخرة! ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

٥ - أهل الإيمان يشعرون ببعضهم ويسعدون بترائهم ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾.

٦ - كل حقيقة تفضح صاحبها فالخلاص منها أسهل الطرق وأقربها ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾.

٧ - رأيت بعضهم يبقّي أخطأه التي اعترض عليها للأيام، ورأيت بعضهم لا يبقّي لها أثراً ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾.

٨ - لا يهملك من يستقبل الحقائق أو ينكرها، سِرٌّ على طريقك ولا تلتفت ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابُ الْحَقَائِقِ سَتَقِفُ عَلَى قَدَمِهَا وَلَوْ طَالَ زَمَانُ النِّكَرَانِ لَهَا﴾.

٩ - الذين يملكون رؤية واضحة لا يبالون بنفاق السفهاء ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابُ﴾.

١٠ - البينة بين يديك، وتركها بعد قيام حجتها ضلالٌ يستحق العقاب ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (٣٧).



١١ - الدعوة لا تقوم مصالحها من أفواه معارضيهها، خذوها من كتاب الله تعالى فقط ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (٣٧) والهووى لا يقيم منهجاً جاداً للحق الذي تحمله.

١٢ - أنصاف الحلول لا تقيم منهجاً للحياة ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (٣٧).

١٣ - الرسالة أمانة، ومن تتبع رخص المفلسين استحق وعيد الله تعالى وعقابه في الدارين ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (٣٧).

١٤ - لم يعد لمعرض حجة حتى الرسل منهم بالصفات ذاتها ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨).

١٥ - صاحب التجربة وحامل المشروع أصلح لواقعه من كثير من المنظرين ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨).

١٦ - إذا أردت أن تنجح في إبلاغ رسالتك فكن صاحب تجربة وحامل راية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨).

١٧ - لا يصلح لحمل راية العلم إلا طالب علم، ولا للتحدث عن المال إلا صاحب خزانة، ولا للجهاد إلا فارس الرايات ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨).

١٨ - يجري علم الله تعالى وحكمته في كل شيء ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ^ط وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾.

١٩ - قدر الله تعالى سيبلغك، وما كتب نائك، وما لم يكن لك منه شيء فليس بواصل إليك؛ فاطمئن ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ^ط وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٠ - لا تحزن على فوات شيء، فإن ما يجري في أقدار الله تعالى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ^ط وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾.

٢١ - ابدل وسعك من الأسباب، وتوكل على ربك، ولن يأتيك سوى قدرك ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ^ط وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾.

٢٢ - ليس من شأن الدعاة والمصلحين انتظار ما يحل بعدوهم، عليهم إبلاغ رسالة الله تعالى للعالمين ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوْفَيْنَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٣ - تصفية المواقف مع العدو ليست من شأن الدعاة في شيء ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوْفَيْنَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٤ - الارتفاع عن خصومة الأشخاص استعلاء يمليه القرآن على حملة الوحي ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوْفَيْنَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾.

٢٥ - لو تفكر متدبر في أحداث الكون لكانت بالغته به للعبير ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾.

٢٦ - كل يوم يدخل في دين الله تعالى ألوف من المعرضين، أليست كافية في العودة إلى دين الله تعالى! ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾.



٢٧ - رغم كل عوارض الطريق من شبهات وشهوات إلا أن المقبلين على دين الله تعالى في ازدياد، شواهد تحتاج إلى فقه ووعي ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٤١﴾.

٢٨ - لا تقلق على عدوان، أو تياس لحادث في الزمان، إنما يُجْري الله تعالى الكون لحكمة ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾.

٢٩ - ضرورة الأمة إلى فقه حكمة الله تعالى في كل ما نراه في الواقع ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾.

٣٠ - من الحقائق التي تحتاج إلى قراءة ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ﴾ ﴿٤٢﴾ رغم كثرة المعارضين لدين الله تعالى الماكرين بمنهجه، فإنه لم يتوقف لحظة في ساحة مكان.

٣١ - ليس بالضرورة أن يعترف بك الخلق، امض في منهجك، ولا تلتفت لقطّاع الطريق ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ﴿٤٣﴾.

٣٢ - الدعوة لا تحتاج إلى رخصة، أو شهادة، أو إذن من مسؤول، يكفي أنك تعرف شريعة الله تعالى، وتقوم بدعوة الناس إليها في ضحى النهار ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ﴿٤٣﴾.

سُورَةُ اِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ
لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا
﴿٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ



التفسير

- ﴿الر﴾ من الحروف المقطعة التي تدلُّ على إعجاز القرآن ﴿كَتَبُ﴾ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴿أَيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ﴾ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ ﴿مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ﴾ إِلَى النُّورِ ﴿إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالْحَقِّ﴾ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴿أَيِ إِنْ ذَلِكَ الْإِخْرَاجَ وَالتَّوْفِيقَ لِلْحَقِّ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى﴾ إِلَى صِرَاطٍ ﴿إِلَى صِرَاطِ﴾ طَرِيقِ ﴿الْعَزِيزِ﴾ مَنْ لَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ ﴿الْحَمِيدِ﴾ ﴿١﴾ الْمَحْمُودِ فِي أَمْرِهِ.
- ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خَلَقًا وَمَلَكًا وَتَدْبِيرًا ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٢﴾ عَذَابٍ عَظِيمٍ.
- ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ يُوَثِّرُونَ الدُّنْيَا وَيَقْدُمُونَهَا عَلَى مَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْجَزَاءِ ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ النَّاسَ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أَيِ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿عِوَجًا﴾ غَيْرِ مُسْتَقِيمَةٍ ﴿أُولَئِكَ﴾ الَّذِينَ هَذَا وَصَفُهُمْ ﴿فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣﴾ ضَلَالٍ وَاضِحٍ بَيِّنٍ.
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ بَلَّغْتَهُمْ وَبَلَّسَانَهُمُ الَّذِي يَفْهَمُونَهُ ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الدِّينِ ﴿فِيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بَعْدَهُ ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بِفَضْلِهِ؛ لِأَنَّ الْهَدَايَةَ وَالضَّلَالَاتِ وَإِنْ كَانَتْ بِيَدِ اللَّهِ إِلَّا أَنَّهَا مُتَرَتِّبَةٌ عَلَى أَسْبَابِهَا الَّتِي هِيَ مِنْ فِعْلِ أَهْلِهَا ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ لَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ ﴿٤﴾ فِي حُكْمِهِ وَقَدْرِهِ.
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ حُجَجْنَا الْوَاضِحَةَ الْبَيِّنَةَ؛ وَهِيَ التَّسْعُ الْآيَاتِ ﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ مِنَ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ

والجهل ﴿إِلَى النُّورِ﴾ نور الحق ﴿وَذَكَّرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ سنن الله تعالى في المؤمنين والكافرين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ عبر وعظات ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ كثير الصبر والتحمل ﴿شَكُورٍ﴾ لله تعالى على ما يصيبه من خير أو شر.

التَّادِبُ

- ١ - ما أعظم أثر القرآن على الإنسان لَوْ فِقَهُ معانيه! ﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ١.
- ٢ - الدعوة بالقرآن كفيلة بإزاحة الظلام العارض في النفوس (لو أتقنوه) ﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ١.
- ٣ - ماذا لو أخذنا من أوقاتنا للقرآن قراءة وتدبراً! ﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ١.
- ٤ - قال لي ذات مرة: قبل أن يؤذن المؤذن بربع ساعة إلى وقت الإقامة من كل صلاة جعلته لكتاب الله تعالى، ورأيت آثاره في جوانب كثيرة من حياتي ﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ١ وقال آخر: ألزمت نفسي بعد كل صلاة بخمسة عشر دقيقة لكتاب الله تعالى ووجدت الحياة.

- ٥ - من فواتح الله تعالى على بعض المجالس أن جعلوا لهم في كل لقاء بدايةً تدبريةً مع آية أو بضع آيات من كتاب الله تعالى ﴿الرَّ كِتَبٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ١.



٦ - من يدير شأن الكون حقيقٌ بالإجلال! ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٢).

٧ - لو فقهت القلوب هذا المعنى ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٢) لأقبلت إلى ربها بشوق!

٨ - يا أيها المحزونون، يا أيها المرضى! ويا أيها المكلومون! استدبروا هذه الدنيا، وأقبلوا إلى الله، فهو يملك لكم كل شيء ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٢).

٩ - ما أكثر نسخ هذه الصورة في واقعنا! ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٣).

١٠ - هل تتصور أن إنساناً يعيش بهذه الدنيوية والعدوانية! ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٣).

١١ - طابت لهم الحياة فصاروا عقباء في طريق الحق، وهيهات ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٣).

١٢ - من شؤم الإنسان في الحياة أن يعيش لرسالة الباطل، يطارد الحق ويتعبد للشهوات ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٣).

١٣ - حين تُزَيِّن شهوةً بقلمك، أو كلمتك، أو رسالتك، أو لقائك، أو تفتح طريقاً لشبهة، تكون من حملة هذا المعنى في مساحتك ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.



١٤ - بعضهم تَسَمَّ وظيفَةً ومسؤوليةً ومكاناً عالياً، فتحول خصماً لدين الله تعالى مع الأيام ﴿وَيَصْدُوتُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

١٥ - لم يُبقِ الله تعالى حجةً لمخلوق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤).

١٦ - من شفقة الله تعالى بخلقه أن بعث إليهم رسلاً بلسانهم، يفقهون عنهم ما يقولون، ويدركون ما يريدون ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤).

١٧ - «حَدِّثُوا النَّاسَ بما يعرفون، أتريد أن يكذب الله ورسوله»^(١)؛ رسالة في المعنى ذاته ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤).

١٨ - لا تُلقِ على الناس حديثاً لا يفقهون مرادك منه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤).

١٩ - الدعوة فنٌّ! والبيان من أعظم مقاصدها ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤).

٢٠ - حَسْبُ الداعية العناية بموعظته، أما بلوغ هدفها ورسالتها في القلوب؛ فذلك شأن الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤).

(١) أخرجه البخاري رقم (١٢٧) من كلام علي عليه السلام.



٢١ - من رحمة الله تعالى بالإنسان أن اختار له رسولاً وبلسانه، حتى لا تبقى له حجة في الاعتذار ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٤﴾.

٢٢ - من شؤم الإنسان أن لا تلقى هذه الرسالة طريقاً إلى قلبه مع الأيام ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٤﴾.

٢٣ - من كمال رحمة الله تعالى أن بعث رسوله مؤيدين بالآيات والحجج والبراهين، حتى يحصل بهم المقصود في هداية الخلق ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿٥﴾.

٢٤ - الذين لم يجربوا الاستقامة، لم يعيشوا ظلالها الوارفة بعد ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿٥﴾ لن يتخيل هذا الظلام إلا من عاشه، ولن يتخيل هذه الطمأنينة إلا من جرب أحداثها، وذاق لذائذها مع الأيام.

٢٥ - ما أكثر أثقال الدعاة! كم من محرومين من هذه الهداية، لم يجدوا من يدلهم عليها بعد! ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿٥﴾.

٢٦ - التذكير بنعم الله تعالى طريق لتقريب القلوب إلى مراد الله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿٥﴾.

٢٧ - التذكير بأيام الله تعالى في المعرضين، وسننه في الأولين: طريق لهداية الناس ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿٥﴾.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ
 أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَالٍ فَرَعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
 وَيَدْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي
 ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ
 رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ
 عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ
 جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ
 بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
 فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ
 وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ
 رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ
 لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ
 مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
 عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتُوتَنَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾



التفسير

• ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالسننكم وبقلوبكم ﴿إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه وجنده وحاشيته ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يذُلُّونكم ويحتقرونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أشدَّه وأذله ﴿وَيَذِخُّونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ الذكور، حتى لا يولد منكم من ينازع فرعون في ملكه ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يتركونهن أحياءً لإهانتهن وإذلالهن ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ﴾ ما يفعلون بكم ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٦) ابتلاء لكم كبير.

• ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أعلم ووعد ﴿لِّإِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمه وآثاره عليكم ﴿لَّا زَيْدٌ لَّكُمْ﴾ من النعم ﴿وَلِّإِنْ كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم فضله عليكم ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧).

• ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لقومه ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن عبادتكم ﴿حَمِيدٌ﴾ (٨) مستوجب للحمد لكثرة إنعامه تعالى.

• ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ خَبَرُهُمْ وَقَصَّتُهُمْ ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ من كثرتهم وتطاول أزمانهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحة ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ وضعوا أيديهم في أفواههم استنكاراً لما جاءت به الرسل، ورَدًّا له ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ فلن نؤمن به ﴿وَإِنَّا لَنَرِي شَكًّا مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ (٩) ما تدعوننا إليه لم نتحقق منه؛ فهو عندنا غير بين ولا واضح.

• ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ﴾ فلا أظهر منه بهذه الدلائل التي أراكم من خلقه ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ إلى الإيمان ﴿لِيُغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ التي اقترفتوها بكفركم ﴿وَيُخْرِجَكُم مِّنَ الْوَحْلِ إِلَى الْأَجَلِ الْمُسَمَّى﴾ أجل موتكم، فلا يعاجلكم بالعقوبة في الدنيا ﴿قَالُوا﴾ أي الكفار: ﴿إِن أَنْتُمْ إِلَّا رُسُلٌ﴾ أيها الرسل ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ لا فرق بيننا وبينكم ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصَدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ تصرفونا عن آلهة آبائنا ﴿فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٠﴾ حجة بيّنة ظاهرة على صدقكم.

التدبر

١ - من فقه الداعية أن يتسلل إلى قلوب المدعويين بأخبار النعم والأحداث السارة في حياتهم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَذُبُّونَ آبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ وفي ذللكم بلاءٌ من ربكم عظيم ﴿٦﴾.

٢ - التركيز على الشُّنن الإلهية وبعثها في نفوس الناس بابٌ يلج منه الداعية إلى مقاصد كثيرة في دعوته للآخرين ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾.

٣ - الشكر هو الطريق الأوسع إلى بقاء النعم واستمرارها في حياتنا ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾.

٤ - اعتراف القلب بالنعمة، والالهج بها باللسان، واستثمارها في الطاعة والبرِّ والمعروف، هو الشكر الحقيقي لنعم الله تعالى على صاحبها ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾.



٥ - كلُّ نعمةٍ لم يحفل بها صاحبها لا تدوم في رحابه طويلاً ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾.

٦ - الدعوة فنٌّ، بعد أن فتح لهم نبيُّ الله تعالى آفاقَ نِعَمِ الله تعالى عليهم ذكَّرهُم بغنى الله تعالى عنهم ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ ﴿٨﴾.

٧ - التوازن في الدعوة ضرورةٌ، وهو أصلٌ في كلِّ شيء ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ترى ذلك من خلال الجمع بين الترغيب والترهيب.

٨ = الدعوة التي تركز على الخطاب الوجداني البحت تخرج بشخصياتٍ لا تحمل مشروعيها باقتدار ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ والدعوة التي تركز على خطاب الترهيب فقط تخلف شخصيات مهزوزة الثقة ضعيفة التأثير، والتوازن يصنع ذلك الجمال، ويأتي على الرسالة التي يجب أن تكون.

٩ - الكبر والإعراض عن الحق لا يخلف في حياة أصحابه إلا الحسرات ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ﴿٩﴾.

١٠ - قراءة التاريخ بابٌ لاستلھام قصص الماضين، وأحداث الغابرين ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا

كَفَرْنَا بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١﴾ المَهْمُ أَنْ يُقْرَأَ
لِلْعِبْرَةِ! وَيَكُونُ بَوَابَةً لِّاسْتِلْهَامِ دَرَسِ الذِّكْرِ مِنْهُ بُوْعِي.

١١ - مُشْكَلَةُ الْكِبَرِ ظَلَّتْ وَمَا تَزَالُ عَائِقًا فِي طَرِيقِ كَثِيرِينَ عَنْ مَبَاهِجِ الْهَدَايَةِ
﴿قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ تَرَاهُ لَا يَرْضَى أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَا تَطِيبُ
نَفْسُهُ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ.

١٢ - تَأْجِيرُ الْعُقُولِ مُشْكَلَةٌ مَزْمَنَةٌ ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾.

١٣ - كَمْ مَرَّةً وَقَفْتَ الْعَادَاتِ السَّلْبِيَّةَ عَائِقًا أَمَامَ طُمُوحَاتِ وَأَحْلَامِ صَاحِبِهَا
﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾.

١٤ - لَيْسَتْ الْمَشْكَلَةُ فِي نَقْصِ الْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ، وَإِنَّمَا فِي التَّكَبُّرِ عَلَى الْحَقَائِقِ
﴿فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ فِي الْحَقِّ يَطْلُبُونَ سُلْطَانَهُ وَحُجَّتَهُ، وَفِي الْأَوْهَامِ
يَأْخُذُونَ بِدُونِ وَعِي!

١٥ - كَمْ مَرَّةً وَقَفْتَ مُطَالِبًا بِالْحُجَجِ وَالْأَدْلَةِ عَلَى جُمْلَةٍ مِنْ حَقَائِقِ الْوَحْيِ، وَيَأْخُذُ
أَقْلٌ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ مِنْ مَجَاهِيلٍ ﴿فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.



قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ
 بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
 ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا
 وَلَنْصِيرَكَ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ
 ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ
 أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَهَا لِكُنَّ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُصَبِّحَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ
 ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا
 وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
 مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ
 وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ
 وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
 أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ
 مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

التفسير

• ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بالرسالة ﴿وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ﴾ حجة بينة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ليس لنا في ذلك شيء ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١١) يعتمدون عليه ويفوضون أمورهم إليه.

• ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ لا عذر لنا في ألا نتوكل عليه ﴿وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا﴾ بصرنا ودلنا على الحق والهدى ﴿وَلَقَصِيرَتِكَ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ لنستمرن على دعوتكم مهما كان إيذاؤكم لنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١٢) يعتمدون عليه ويفوضون أمورهم إليه.

• ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ نخيركم بين أن تعودوا في ملتنا، أو نخرجكم في حال عدم إجابتكم إلى ذلك ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٣) نعذبهم ونهلكهم بالعقوبات.

• ﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ننصركم عليهم، ونجعل لكم ميراث الأرض بعدهم ﴿ذَلِكَ﴾ ما تقدم من إهلاك الظالمين واستخلافكم في الأرض ﴿لَمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ موقفي يوم الحساب ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (١٤) وعيدي بالعذاب.

• ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ طلب الكفار فتح الله تعالى بينهم وبين أوليائه فجاءهم ما استفتحوا به، وحلَّ بهم ما توعدهم الله تعالى به ﴿وَحَابَ﴾ خسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متجبرٍ على الله تعالى وعلى الحق ﴿عَنِيدٍ﴾ (١٥) معانِدٍ للرسل.

• ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ من أمامه، وهي جزاؤه ﴿وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ (١٦) ما يسيل من أجساد أهل النار.



• ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يتكلف شربه ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ﴾ يتلعه ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ يأتيه العذاب من كل جهة من الجهات، ومن شدته يبلغ به إلى الموت ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ حتى يستريح، وإنما يبقى حياً زيادة في عذابه ﴿وَمِنْ وَرَآيِهِ﴾ من أمامه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ شديد.

• ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمُ﴾ التي عملوها في الدنيا ﴿كَرَمَادٍ﴾ كالرماد الذي يُدَّرُ في يوم شديد الريح لا يبقى منه شيء ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ لا ينالون من أثره شيئاً ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ غاية الضلال.



١ - الرسالة اصطفاء واختيار ومئة من الله تعالى على عبده ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

٢ - حتى الاستقامة التي من الله تعالى بها عليك هي مئة منه وفضل، وكم من محروم في الطريق! ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ولذلك الحاجة ملحة جداً لإدراك هذا المعنى والفرح به، والمحافظة عليه، والقيام بحقوقه.

٣ - التوكل على الله تعالى أصل متين يجب أن يأخذ حظه من قلوب المؤمنين ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.



٤ - الفرح بالهداية داع للقيام بحقوقها ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَنُوكِلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصِيرِكَ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١٢) حين شعروا بها صارت موجبة للتوكل على الله تعالى، والقيام بحقوقه كما يشاء.

٥ - من توفيق الله تعالى لعبده أن يردَّ نعمه وفضائله إلى مسديها في الأصل ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَنُوكِلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصِيرِكَ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١٢).

٦ - ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ رسالة في أَنَّ كُلَّ نعمةٍ تجد أثرها في حياتك هي من ربك ومولاك.

٧ - التجرد من حظوظ النفوس موجب للفرح بمواهب الله تعالى ونعمه ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾.

٨ - بعض مظاهر العدو إذا استحوذ على مساحة من الأرض ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾.

٩ - الأرض أوسع من هذا الخيار، لكن الشهوات تأبى إلا هذا الضيق ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾.

١٠ - جعلوا من أنفسهم مًلاكاً للأرض، وأعلنوا فيها الخيار الذي يريدون ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾.

١١ - منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا، لم يكن هناك وفاق بين الرسل وأصحاب الضلال ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾.

١٢ - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ رسالة في وأد الحُرِّيَّات، وإجهاض حقوق الآخرين دون عذر!

١٣ - ﴿مَنْ أَرْضَنَا﴾ ليست أرض الله تعالى، وإنما أرضهم وهم ملائكتها؛ فإما أن تكون عبداً في أغلال المتكبرين، وإما أن تخرج من أرضهم.

١٤ - ينصر الله تعالى رسله؛ ويرد كيد الكائدين عن أوليائه ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٣) وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) ﴿.

١٥ - ليست العبرة بما يقال، وإنما العبرة بقصة النهاية في كل شيء ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٣) وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) ﴿.

١٦ - جزء من عاقبة الظلم والظالمين ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (١٣) وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (١٤) ﴿.

١٧ - إذا سمعتم كافراً يتبرع بأمواله، أو يهب منها صدقات، أو يوقف بعض حساباته، فهذه نهايات مشاريعه ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الصَّلَٰلُ الْبَعِيدُ﴾ (١٨) ﴿ إذا ضاع التوحيد لم يبق له شيئاً! وهو الأصل وما عداه فرع لا قيمة له إلا به.

١٨ - رعاية الشريعة للأولويات، وإدارتها لشأن حاجة الإنسان بفقهِه ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الصَّلَٰلُ الْبَعِيدُ﴾ (١٨) ﴿ لم تقبل من الإنسان شيئاً إلا بعد التوحيد.

١٩ - كل موهبة وعمل ورسالة ومشروع ما لم تكن في ميزان الشريعة فهي مجرّد سراب ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الصَّلَٰلُ الْبَعِيدُ﴾ (١٨) ﴿.

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ
 يَشَاءُ يَذْهَبَكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
 بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ
 اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ
 عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ
 سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾
 وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ
 وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ
 سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي
 وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ
 بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ
 إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾



التفسير

- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لحكمة عظيمة ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ من الأرض ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ تَعَالَى مِنْكُمْ﴾.
- ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ﴿٢٠﴾ بممتنع، بل هو سهل قريب.
- ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ أي الخلائق ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ للقادة المستكبرين ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ في الدنيا ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ هل تملكون أن تدفعوا عنا عذاب الله ﴿قَالُوا﴾ القادة ﴿لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ﴾ إلى الإيمان ﴿لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ إليه ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا﴾ من العذاب ﴿أَمْ صَبَرْنَا﴾ عليه ﴿مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ ﴿٢١﴾ من ملجأ منه.
- ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ حين دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ بما جاء على السنة رسله من البعث والجزاء ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ بأنه لا بعث ولا جزاء ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ فلم أوف لكم بما وعدت ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ تسلط على إكراهكم ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ بإرادتكم ﴿فَلَا تُلْهُمُونِي﴾ على دعوتي لكم ﴿وَلَوْ مَوَّأَ أَنْفُسَكُمْ﴾ فهي سبب ما أنتم فيه ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم مما أنتم فيه ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾ بمغيثي من العذاب ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ تبرأت من جعلكم لي شريكاً مع الله تعالى ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بطاعة الشيطان ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٢﴾ مؤلماً شديداً.

• ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ﴿١٣﴾ بِسَاتِينَ ﴿١٢﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿١٤﴾ لَا يَحُولُونَ عَنْهَا ﴿١٥﴾ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿١٦﴾﴾ يحيي بعضهم بعضاً فيها بالسلام.

التدبر

١- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١١﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٢﴾﴾ رسالة في تعظيم الله تعالى، والقيام بحقه وقدره وإجلال شعائره.

٢- السماء والأرض من أعظم مخلوقات الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١١﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٢﴾﴾ وما حاجتنا إلى شيء فيها كحاجتنا لتدبر خلقها، والاستدلال بمشاهدتها على الكبير المتعال.

٣- ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سُوءًا عَلَىٰ نَفْسِنَا بِمَا كَذَّبْنَا وَكُنَّا مِنْ مَحْجُورِينَ ﴿١١﴾﴾ هذا يوم سيجري على التابع والمتبوع، لا فرق!

٤- يستحق الذين أجروا عقولهم لغيرهم هذا العناء يوم القيامة ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سُوءًا عَلَىٰ نَفْسِنَا بِمَا كَذَّبْنَا وَكُنَّا مِنْ مَحْجُورِينَ ﴿١١﴾﴾.



٥ - نافذة على خصام ونزاع المتكبرين المستعلين على الخلق، والمؤجرين عقولهم لهم في يوم الحسرات ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْتُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿١١﴾﴾.

٦ - كم من قارئ لهذا النزاع والخلاف، وهو مؤجّر عقله لصحيفة أو قناة فضائية أو عمود كاتب صحفي أو محلّل، وسيجري عليه ما جرى على السابقين! ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْتُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿١١﴾﴾.

٧ - إذا قامت ساعة الجد تلاشت الأوهام، ولم يبقَ منها شيء ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

٨ - كثيرون سيحاضرهم رئيسهم غداً في ساحات النار، وسيقول لهم: أيها الهمج الرعاع ليس لكم سوى النار! ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

٩ - لعل عظة وذكرى تبلغ هذه اللحظة تابعا لهواه، يجري خلف عدوه دون إمعان ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ

وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تُلْهُمُونِي وَلَوْ مَوًّا
أَنفُسَكُمْ ۖ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا
أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۚ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

١٠ - سيأتي في هذه الساحة مغترّ بهواه، ومنصبه، ومسؤوليته، وماله، ورعاع
همج، سلّموا عقولهم لكبرائهم كعبيد، لا فرق بين كل هؤلاء! ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ
لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي
عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تُلْهُمُونِي وَلَوْ مَوًّا أَنفُسَكُمْ ۖ مَا
أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ
إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

١١ - من حقّ الأتقياء عناق هذه النهايات ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا
سَلَامٌ ﴿٢٣﴾﴾

١٢ - الجزاء من جنس العمل ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾﴾

١٣ - إذا رأيت مرهقاً في الطريق فانث على قلبه بهذه الذكرى ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ
تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾﴾

١٤ - لا تشتكي مضض الأيام؛ فقد قاربت الحقائق على الوصول ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ
تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾﴾

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ
 أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْقَى أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ
 بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
 يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ
 اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
 وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ * أَلَمْ تَرَ
 إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾
 جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنْسَوْنَ الْفَرَارِ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا
 لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾
 قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
 سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ
 لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ
 لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾



التفسير

• ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أيها الرسول ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ وهي كلُّ كلمة خير أعلى ذلك وأسناه لا إله إلا الله، وما دون ذلك ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ في الأرض ﴿وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿٢٤﴾ من بركتها وأثرها.

• ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا﴾ ثمرتها ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ كل وقت ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بفضلِهِ ومنته، وكذلك كلمة الإيمان قارئة ثابتة متأصلة في قلوب الناس، وفروعها من الكلم الطيب والعمل الصالح تؤتي آثارها بأوسع ما يكون ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ بالأمثال ما ينفعهم.

• ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ ككلمة الشرك، وما دونها من كلمات السوء ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ قُطِعَتْ واستؤصلت ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ ﴿٢٦﴾ هشة لا قرار لها في الأرض، وكذلك كلمة الكفر والباطل، نهايتها إلى الفناء، لا ثبات لها في الواقع، ولا أثر لها في قلوب الناس.

• ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ وهو كلمة لا إله إلا الله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالثبات على الدين ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ في القبر وقت السؤال، ويوم القيامة وقت الجزاء ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ عن كلمة الحق في الدنيا والآخرة ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿٢٧﴾ من تثبيت من شاء وإضلال من شاء.

• ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ بإرسال الرسل، وبيان الحق لهم ﴿كُفْرًا﴾ جحوداً وإنكاراً ومعارضة ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ﴿٢٨﴾ دار الهلاك.



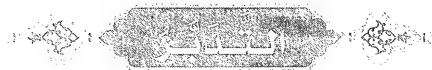
• ﴿جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا﴾ يقاسون حرَّها ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿بئس المقر نار جهنم.

• ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا﴾ شركاء ونظراء ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ عن طريق الحق ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ بما أنتم عليه من الشهوات ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾ مردِّكم ومرجعكم ﴿إِلَى النَّارِ﴾ ﴿٣٠﴾ يوم القيامة.

• ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يؤدُّونها كما أمرهم الله تعالى ﴿وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يبذلون أموالهم في سبيل الله ﴿سِرًّا﴾ فيما بينهم وبين أنفسهم ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ على مرأى من الناس ليقتردي بهم غيرهم ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾ لا يستطيع المقصِّر أن يدفع العذاب عن نفسه بعوض ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾ ﴿٣١﴾ ولا تدفعه عنه صداقة ولا خلَّة صديق.

• ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ على هذه الصورة العظيمة ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهو الغيث النازل من السماء ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ تعيشون به ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلُكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ وسَخَّرَ لَكُمْ الْآنْهَرَ ﴿٣٢﴾ ذلَّلها لكم لتشربوا منها، وتسقي أنعامكم وحرثكم.

• ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ لا يفتران من السير ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ﴿٣٣﴾ يتعاقبان دائماً.



١ - الكلمة الطيبة تبلغ مداها، وتكتب حظها من الحياة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿٢٤﴾.



٢ - عَوِّذُ لِسَانِكَ عَلَى كَلِمَةِ الْحَقِّ، وَالْفَالِ، وَالْأَمَلِ، وَإِيَاكَ وَلَعُو الْبَطَّالِينَ ﴿۲۴﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿۲۴﴾.

٣ - لَا تَسْتَهَيِّنَنَّ بِكَلِمَةٍ صَادِقَةٍ فَقَدْ تَبْلُغُ الْآفَاقَ ﴿۲۴﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿۲۴﴾.

٤ - لَا شَيْءَ أَثْمَنُ مِنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ جَذْراً وَأَصْلاً وَسَاقاً وَثَمَراً ﴿۲۴﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿۲۴﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿۲۵﴾.

٥ - إِذَا أُعْطِيَتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ حَقُّهَا مِنَ الْعَنَايَةِ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهَا أَلْقَتْ بِضَلَالِ الشُّرْكِ وَالشُّبْهِ وَالشَّهَوَاتِ صَرْعِي عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ﴿۲۴﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿۲۴﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿۲۵﴾.

٦ - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَنْفَخُ فِي قُلُوبِ الْخَائِفِينَ وَالْقَلْقِيَنَ وَالْمَحْزُونِينَ الْفَالِ وَالْأَمَلِ وَمَسَاحَاتِ الرِّبْعِ ﴿۲۴﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿۲۴﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿۲۵﴾.

٧ - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تَبْقَى فِي قَلْبِكَ خَوْفاً مِنْ مَخْلُوقٍ، وَلَا يَأْساً فِي مَشْرُوعٍ، وَلَا تَرَدُّداً فِي طَرِيقٍ ﴿۲۴﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿۲۴﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿۲۵﴾.

٨ - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ضَمَادُ جِرَاحٍ لِكُلِّ صَاحِبِ مَحَنَةٍ، وَلِوَاءُ نَصْرِ لِكُلِّ صَاحِبِ رَايَةٍ، وَمَسَاحَاتُ أَمَلٍ وَرَبِيعٍ لِكُلِّ صَاحِبِ مَشْرُوعٍ ﴿۲۴﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً



طِيبَةً كَشَجَرَةٍ طِيبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾.

٩ - لا تحتقر كلمة سجلتها في مناسبة، أو كتبها في صحيفة، أو شاركت بها في موقف، فقد تعانق بك الجنان ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طِيبَةً كَشَجَرَةٍ طِيبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾.

١٠ - حتى في الطريق العام، إذا لقيت صاحب صنعة أو مهارة أو صانع معروف، فادفعه بكلمة أمل تأتيك أحداثها في يوم أحوج ما تكون إليها ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طِيبَةً كَشَجَرَةٍ طِيبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾.

١١ - وكلمة الشرك تلقي بصاحبها في السحيق ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾.

١٢ - لا تحتفل بكلمات الضلال التي يرددها الأعداء، هي كهذا المثال تماماً ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾.

١٣ - رأيتهم يحللون كلمة رئيس دولة كافرة، ويترجمونها، ويقبلونها على كل وجه، وهي لا تعدو هذه الحقيقة ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾.

١٤ - لا تحتقر كلمتك السيئة في أي موقف، أو مساحة، أو مكان، فقد تدلف عليك بفجائع المواقف في يوم الجزاء والحساب ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾.



١٥ - كتب كتاباً، وسجل رسالة صوتية، وشارك في محفل، فَتَرَكَ بِهَا إِرْثاً سَيِّئاً، ومات وهي تدرُّ عليه بالشقاء في كل صباح ومساء ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (٣٦).

١٦ - حتى الكلمة التي تقولها في مجلس ما، قد تُغَيِّرُ عَلَيْكَ، وتلقي بك في مهاوي الردى يوماً ما ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (٣٦).

١٧ - بشارة لكل مؤمن في الحياة بحسن الختام ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٣٧) وبشارة في الوقت ذاته لكل ظالم جاحد.

١٨ - تستحقُّون يا أهل الإيمان هذه الخواتيم المبهجة في النهايات ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ وتستحقون يا أهل الضلال هذه النهايات البئيسة في الحياة ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

١٩ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (٢٨) ليست حكاية لتاريخ قريش فحسب، بل لكل من خلف آثار الفوضى في حياة مجتمعه وقومه وأمته.

٢٠ - ثمة أناس هم سبب الضياع فيما يحلُّ بمجتمعاتهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (٢٨) هم الذين بدلوا نعمة الله تعالى، ومن حولهم كان دورهم الفرجة أو المشاركة العملية أو حتى المشاركة الوجدانية؛ فصاروا في النهاية كلهم إلى لا شيء.



٢١ - المنافقون رأس هؤلاء، وقاعدتهم، وذروة سنامهم، ما أكثر ما صنعوا فواجع في مجتمعاتهم، لا كثرهم الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ٢٨ ﴿﴾.

٢٢ - كانت الأمة في حالة رخاء حتى دُقُوا باب المنكرات، وفتحوا أبواب النزاع والخلاف ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ٢٨ ﴿﴾.

٢٣ - مِنْ هؤلاء من يشترطون في زواج ابنتهم أن تغنيهم مطربةٌ أجرتها آلاف الريالات ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ٢٨ ﴿﴾ ومنهم من ينفقون أموالاً طائلة على كراسي الحضور، وعلى أكواب الورد، وعلى رؤوس العرائس والحضور، ويدوسون على النعم دون تورع أو خوف، ومنهم من يلقون نعم الله تعالى إلى الشوارع العامة، وهي تكفي أمماً من الجياع في الطرقات ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ٢٨ ﴿﴾.

٢٤ - كل الذين بدلوا نعمة الله تعالى كفراً متوعدون بأسوأ النهايات ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيُسَكَّرُ الْقَرْأَرُ﴾ ٢٩ ﴿﴾.

٢٥ - الذين ألَّهوا المخلوقين هم صنعوا بدايات الضلال ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ٣٠ ﴿﴾ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴿﴾.

٢٦ - تسمع حفلاً فَتَتَخَيَّلُ أن المسؤول الحاضر في تلك الأمسية يؤله ليكون معبوداً للعالمين ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ٣٠ ﴿﴾ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ ﴿﴾.

٢٧ - اعتن بصلاتك، وأقم لجلالها معنى، وتَفَوَّقْ في خشوعها، وَثَمَّرْ مالك في سبل الخيرات، وستكون على موعد مع الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ﴿قُلْ

لِعِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ ﴿٣١﴾

٢٨ - لا فرق بين صدقة المُسِرِّ المتورِّع المتطلَّب بها الخبايا الصالحة، والمعلن بها راجياً حثَّ الناس على السباق إلى المعالي ﴿قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾﴾ وإذا خلصت نية المعلن فقد كسب مرتين، مرة بماله، وثانية بسنَّه لِسُنَّةٍ حسنة في العالمين.

٢٩ - في مرَّات كثيرة نحتاج إلى بطل يعلن صدقته ليقتردي به المسلمون ﴿قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾﴾ ﴿٣١﴾

٣٠ - في بعض المواقف تتمنى أن تضرب صاحب الورع البارد بسوطٍ على ظهره ﴿قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾﴾ ﴿٣١﴾ ربه يدعو للصدقة على رؤوس الخلائق، وهو يريد لحاف الضعفاء!

٣١ - الصلاة والصدقة أعظم ما يعين على النجاة يوم القيامة ﴿قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾﴾ ﴿٣١﴾

٣٢ - هذا هو الله فما لكم عنه معرضون! ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾﴾ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن



تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٣﴾ ماذا بقي من النعيم لم يصنعه الله تعالى للمخلوقين؟!

٣٣ - من حقِّ صاحبِ النِّعْمَةِ أَنْ يُطَاعَ ﴿٢٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴿٢٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٢١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿١٩﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٣﴾ يا لقبح ما يصنع المعرضون! يهبهم الله كلَّ شيءٍ، ولا يقومون له بشيءٍ.





وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا
تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ
نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ
تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي
أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ
رَبَّنَا لِيقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ
وَارْزُقْهُمْ مِنَ الشَّجَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا
نُخْفِي وَمَا نُعَلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ
إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي
مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾
رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾



التفسير

• ﴿وَأَتَيْنَكُم مِّن كُلِّ مَآسَأَلْتُمُوهُ﴾ أعطاكم كل ما تحبون وتطلبون ﴿وَإِن نَّعُدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُم﴾ عليكم ﴿لَا تَحْصُوهَا﴾ لا تستطيعوا عدّها ﴿إِنَّا كَفَّارٌ لِّمَا كُنَّا نَعْمَدُ﴾ لنفسه بارتكاب المعاصي ﴿كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ جحد
لنعم الله تعالى.

• ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ مكة ﴿ءَامِنًا﴾ ممّا يُخَاف منه
﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ﴿٣٥﴾ اجعلني وإياهم مجانباً عبادة الأصنام.
• ﴿رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ ضلّوا بسببها ﴿فَمَنْ يَبْعِنِي﴾ فصار مسلماً
موحداً ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ لم يؤمن بالله تعالى
﴿فَإِنَّكَ عَفْوَورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٣٦﴾ فتغفر وترحم من تشاء، وهذا من كمال
شفقته ﷻ.

• ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ إسماعيل وولده ﴿بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾
مجدب لا زرع فيه ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ لأجل إقامة
الصلاة فيه ﴿فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً﴾ قلوباً ونفوساً ﴿مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾
تحنّ إليهم، وتحبّ مكانهم، وتأوي إليهم ﴿وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ مما
يمكنهم من العيش والاستقرار ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ نعمتك ويقومون
بواجبك.

• ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ بيننا وبين أنفسنا ﴿وَمَا نُعْلِنُ﴾ من الأعمال
الظاهرة ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿٣٨﴾ فكل
شيء يعلمه، لا يغيب عنه منه شيء.



• ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي﴾ أعطاني ﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾ وأنا كبير لا يولد لمثلي ﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ أبناء ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ﴿٣٩﴾ يسمع دعاء عبده ويجيبه.

• ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ محافظاً عليها ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ ممن يحافظ على الصلاة ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ ﴿٤٠﴾ اقبله وأتمه لنا.

• ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي﴾ ذنوبي ﴿وَلَوْلَادَيَّ﴾ وذنوب والدي ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذنوب المؤمنين ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ ﴿٤١﴾ يوم القيامة.

التدبير

١ - ما أنت قادرٌ على عَدِّ نعم ربك، ومثلك لا يطيق حصرها ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾.

٢ - مهارتك، وقدراتك، وإمكاناتك، وتفوقك، ونجاحك، وتميزك، ووظيفتك، ومسؤوليتك، ومكانتك، وجاهك، وسلطانك، كلُّ ذلك بعض نعم الله تعالى عليك ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾.

٣ - حتى جسدك الذي تجري فيه روحك، وعافيتك، وبيتك، وأسرتك من فضل الله تعالى عليك ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾.

٤ - لو بقيت عمرك كله تعدُّ نعم الله تعالى عليك لجفَّ حبرك، وكلَّت يدك، وملَّت نفسك، ولم تأتِ على جزء من تلك النعم ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾.



٥ - مشكلتنا أننا نقول الحمد لله تعالى بألسنتنا، ونخفق فيها عملاً وتطبيقاً ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤).

٦ - في مرّاتٍ كثيرة تری من یفرز خرز مسبحته ذاکراً وشاکراً بزعمه، وهو في زحام منکر لا یبالي بمن یعصیه ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤).

٧ - النعم تحتاج مغتبطاً، لا یملّ من ذکر الله تعالى وشكره وحسن عبادته ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤) لا تحتاج صوراً وأشکالاً لا علاقة لها بشکر الله تعالى في شيء.

٨ - وجد رواء قلبه في المسجد، وعاش زمناً طويلاً یشارك المؤذن في الحضور، ثم ما لبث أن أخذ یتباطأ حتى فاتته الجماعة مرّات، ثم عاد یشکو مضض الآلام ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤).

٩ - من الله تعالى علیه بحفظ القرآن، وظلّ مرابطاً علی ورده والتّرنّم به وتدبره، ثم ما لبث أن أطلق بصره في الحرام، وضاع منه في النهاية كل شيء ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤).

١٠ - عاش مغتبطاً بماله، مسروراً بعدم ديونه، ثم ما لبث أن أغراه الزملاء في تجارة كبيرة فأخذ یتعامل ربا، ثم غرق في الديون إلى شحمة أذنيه ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤).



- ١١ - سيظل هذا البلد آمناً ما بقيت الحياة، هذه دعوة أبي الأنبياء ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ حين تدعو بأمن هذا البلد تدعو ببقاء هذا الدين.
- ١٢ - ردّد في دعائك أن يحرس الله تعالى هذه البلاد من كلّ فاجرٍ وظالمٍ تَلْحَقُ بركب الأنبياء ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾.
- ١٣ - ﴿ وَاجْتَنِبْني وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ أبو الأنبياء يتضرّع في دعائه ألا يكون عابداً للأصنام، ماذا أبقيت لمن بعدك يا إبراهيم؟!
- ١٤ - أبو الأنبياء يخاف على نفسه الشرك، وبعضنا يراهن على أنه من الأتقياء ﴿ وَاجْتَنِبْني وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾.
- ١٥ - لو أن تقياً وضع عمله بجانب عمل هذا النبي، ثم قارن ما في قلبه بقلب هذا النبي ﷺ ﴿ وَاجْتَنِبْني وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾.
- ١٦ - هذا النبي الكريم الذي زكّاه الله تعالى بأنه أمّةٌ وحده، يتضرع ألا يكون من المشركين؛ فماذا بقي من مفردات الدعاء لبعضنا تصلح للترديد؟! ﴿ وَاجْتَنِبْني وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾.
- ١٧ - كثيرون يغمرهم الخوف على واقعهم، وهذا الكبير مشغولٌ بتلك الذرية التي ربما تغفل عن الدعاء ﴿ وَاجْتَنِبْني وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾.
- ١٨ - لا تنسَ ولدك من دعائك ﴿ وَاجْتَنِبْني وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ وما يدريك أن تغمره بالفرح ما بقي من عمره!
- ١٩ - نافذة على أخلاق الكبار ﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلَن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُم مِّنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣٦) حتى الذين عصوه وخالفوه واجتالتهم الأصنام، يتضرع إلى الله تعالى أن يغفر لهم ويرحمهم، ما أوسع أخلاق الأنبياء!



٢٠ - حينما تتحوّل الدعوة إلى ذواتنا، تبدأ الانتصارات الشخصية ﴿رَبِّ إِنِّهِنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣١) نحتاج أن نحزّر هذه المفاهيم في قلوبنا قبل أن نخوض رحلة الأنبياء.

٢١ - ما لك وله! إن أقبل فذاك المُنَى، وإن أدبر فادع الله تعالى له أن يعيده إلى التوفيق ﴿رَبِّ إِنِّهِنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣١).

٢٢ - يُذكّرني هذا الموقف بخلق نبينا ﷺ وملك الجبال يعرض عليه أن يجتث أهل الطائف من الأرض، فيرفض الفكرة، ويشتاق إلى أجيال الغد من ذلك التاريخ ﴿رَبِّ إِنِّهِنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣١).

٢٣ - الحذب على الفكرة، والعناية بالمشروع، وأخذ كافة السبل الكفيلة بالنجاح هو الطريق الأقصر نحو تحقيق آمالك في الحياة ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧).

٢٤ - نجاح المشروع وقفّ على هذه الهموم الكبيرة التي تجتاح قلب صاحبها ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧).

٢٥ - الغاية الكبرى التي تهتفُ بها أشواقُ هذا الكبير لذريّته (إقامة الصلاة) فكم بذلنا لأجيالنا من هذا المعنى البهيج؟! ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧).

٢٦ - يُلْقِي بِذَرِّيَّتِهِ فِي فِنَاءِ بَيْتٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ، وَيَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِمْ فِي أَعْظَمِ شَعَائِرِ الدِّينِ، كَذَلِكَ يَصْنَعُ الْوَعِي ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧) .

٢٧ - هذه النعم التي تحفُّ الحرم جزءٌ من بركات دعاء ذلك النبي الكريم ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧) يا لَشَأْنِ الدُّعَاءِ لو تدبرناه!

٢٨ - حتى سؤال الله تعالى لهم الرزق لا ليشبعوا فحسب، وإنما لتتم عبادة الشكر ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧) .

٢٩ - يسأل الله تعالى بلواعج الشوق التي تنتاب قلبه ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٣٨) .

٣٠ - إذا صلحت السرائر، وصدق الإنسان في مطلوبه أقبلت عليه نعم الله تعالى تتهاذى بين يديه ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٣٨) .

٣١ - استشعار النعم مفضٍ بصاحبها إلى استلذاذ نعيمها، وتذكُّر آثارها، والحرص على بقائها وعدم ضياعها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣٩) .



٣٢ - مشكلتنا أننا لا نعرف كثيراً من النعم التي أظننا الله تعالى بها وحرّم منها كثيرين ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

٣٣ - هذه أمانى الكبار والصالحين في الأرض في كل حين ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (٤٠).

٣٤ - الذين يدركون عظمة الصلاة ويعرفون آثارها، يهبون لها من أوقاتهم ودعائهم وأمانيتهم كل شيء ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (٤٠).

٣٥ - الشعور بالأولاد وفلذات الأكباد قضية أخرى، تحتاج إلى قراءة درس وإمعان ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (٤٠).

٣٦ - يا أيها الآباء! المسألة أكبر من طعام وكساء ومعرفة، الصلاة أول الأشياء ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (٤٠).

٣٧ - القلوب الكبيرة لا تنسى من حولها ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٤١).

٣٨ - ذاك تسأله وتلح عليه أن يدعو لك، وهذا تثور في وجدانه محبة المؤمنين، ويلهج لهم بالدعاء في كل حين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٤١).



وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتَهُمْ هَوَاءً ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّحِبِّ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ نَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ تَعْتَشُ وَيُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾



التفسير

- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ فلا يقع في ظنك أن الله تعالى لا يعلم ما يفعل الظالمون ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ تترفع ولا تطرف من هول الموقف.
- ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين إلى إجابة الداعي والمنادي يوم القيامة ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ رافعي رؤوسهم إلى السماء، ينظرون إليها نظر فزع وذل ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ لا تغمض أعينهم، بل هي شاخصة ﴿وَأَفْنَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ (٤٣) وقلوبهم فارغة من شدة الخوف.
- ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾ عظهم وبلغهم ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ ردنا إلى الدنيا مرة أخرى، وزدنا مهلة من العمر ﴿ثُمَّ يَدْعُونَكَ﴾ إلى الحق ﴿وَتَنْجِئِ الرُّسُلَ﴾ فيما يأمر به وينهون عنه ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ﴾ بالله تعالى ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ في أيام الدنيا ﴿مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ (٤٤) من خروج من الدنيا.
- ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ حللتم في أرض الظالمين بما يكفي للبرة والعظة ﴿وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ ورأيتم ما حلَّ بهم من العذاب حين كفروا به، ولم يستجيبوا لرسله ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ (٤٥) الكافية للبرة والعظة.
- ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾ أي المكذبون للرسل ﴿مَكْرَهُمْ﴾ وهو كل ما عارضوا به الرسل، وردُّوا به أمر الله ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ لا يفوته منه شيء علماً وقدره ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لَتَرْوُلَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ (٤٦) من قوته وعظمته.

- ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعَدِهِ رُسُلُهُ﴾ بالنصر والغلبة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا غالب لأمره ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ ﴿٤٧﴾ ممن أراد أن ينتقم منه.
- ﴿يَوْمَ يُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ بأرضٍ بيضاء نقيّة ﴿وَالسَّمَوَاتِ﴾ تبدل كذلك ﴿وَبَرَزُوا﴾ الخلائق ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿٤٨﴾ لكل سلطان.
- ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ﴿٤٩﴾ مشدودين في القيود.
- ﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾ ثيابهم وقمصهم ﴿مِّنْ قَطْرَانٍ﴾ وهو مادة تطلى بها الإبل ﴿وَقَعَشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ ﴿٥٠﴾ تعلق وجوههم وتصليهم النار.
- ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ ما اقترفت من عمل في الدنيا ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٥١﴾ يعاجل كل إنسان بما يستحق.
- ﴿هَذَا﴾ ما مرّ من الوعيد ﴿بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ﴾ موعظة وذكرى لهم ﴿وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾ لعله يعظهم، ويردّهم إلى الحق ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ﴾ أي الله ﴿إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له ﴿وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ﴾ ﴿٥٢﴾ وليتعض أصحاب العقول.

التدبِير

- ١ - لا تستبطئ هلاك الظالمين؛ فثمّة موعدٌ يديره الله تعالى للنهيات ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾.
- ٣ - كل ما يجري في الكون من أحداث الظالمين، تجري في قدر الله تعالى بميزان ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٣﴾.



٣ - الله تعالى حكم كثيرة في كل حدث، وإننا لصبح الفرج لمنتظرون ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٤٢).

٤ - الدنيا ليست بدار جزاء ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (٤٣) فلا تجزع لتأخر النصر فيها، ولا تعجل على هلاك الظالمين.

٥ - لا يأتي على لسانك: متى يعاقب الله الظالمين! ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (٤٣).

٦ - حسب الدعاة والمصلحين القيام بواجب الدعوة، وما عدا ذلك فليس لهم منه شيء ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (٤٣).

٧ - ما زالت الدعوة تهتف بقلوبنا أن تتمحّض من حقوقها الشخصية ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (٤٣) علينا أن نؤدّي واجب الدعوة، ويجري الله تعالى قدره في حساب الظالمين.

٨ - الذين ينتظرون جزاء عاجلاً لدعوتهم، يخشى عليهم أنهم لم يصيبوا طريق الأنبياء ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ (٤٣).

٩ - ثَمَّةٌ يَوْمٌ يَتَمَنَّى فِيهِ الظَّالِمُونَ أَنْ لَوْ جَرَى التَّأخِيرُ قَلِيلاً، هِيَهَاتَ!! ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أُولَئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.

١٠ - كم من فرصةٍ فاتت على صاحبها، وأبقت له الحشرات! ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أُولَئِكَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ الغفلة حين تلقي بظلالها على صاحبها لا تُبقي له موطناً للإدراك.

١١ - العدو يخوض معركته مع الحق، ويبذل كلَّ الأسباب الممكنة لإعاقة ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.

١٢ - لعلَّ القاعدين يفيقون من قعودهم، وهم يسمعون وصف الله تعالى لمكر عدوهم ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.

١٣ - مكر العدو مُقَابِلٌ بمكر الله تعالى، ولكن على مدد الأسباب التي يبذلها أصحاب الحق في الواقع ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾.



١٤ - الغلبة في النهاية لدين الله تعالى، رغم أنوف المعارضين ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخِيفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ﴿٤٦﴾.

١٥ - هذه سنة الله تعالى، لا تقبل التبديل ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخِيفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ﴿٤٧﴾.

١٦ - إلى كل المجاهدين، وأصحاب المشاريع، وحملة الرايات! واصلوا الطريق وأنتم مطمئنون للنهايات ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخِيفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ﴿٤٧﴾.

١٧ - إلى كل الذين أصابهم اليأس والقلق والخوف على دينهم، هذا هو وعد الله تعالى في عرض الطريق ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخِيفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ﴿٤٧﴾.

١٨ - إلى الذين يسألون عن مشهد النهايات! ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾.

١٩ - إلى كل المعارضين عن الحق، المعارضين لدين الله تعالى! هذه خواتيم أيامكم ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾.

٢٠ - مَنْ لم يستقبل هذا القرآن بوعي فقد فاته من الحياة كل شيء ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٥٢﴾.



سُورَةُ الْحَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ① رَبِّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ② ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا
وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ③ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا
كِتَابٌ مَعْلُومٌ ④ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ⑤
وَقَالُوا يَأْتِيهَا الْاِلٰهِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ⑥ لَوْ مَا
تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ⑦ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ
إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ⑧ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ⑨ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ⑩ وَمَا
يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ⑪ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ
فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ⑫ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ⑬
وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ⑭ لَقَالُوا
إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ⑮



التفسير

- ﴿الر﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ أي الآيات الواردة في هذه السورة ﴿وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾ (١) واضح بين لكل من قرأه.
- ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٢) يتمنى كل كافر يوم القيامة أنه لو أسلم لله وامثل لشعره.
- ﴿ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بلذات الدنيا ﴿وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ﴾ عن العمل للدار الآخرة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) عاقبة تفریطهم.
- ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ قد كانت مستحقة للعذاب ﴿إِلَّا وَهَذَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ (٤) مقدّر لهلاكهم.
- ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ لا يأتي هلاكها قبل حلول أجلها ﴿وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ (٥) وما يتأخرون إذا حلّ أجلهم.
- ﴿وَقَالُوا﴾ أي الكافرون ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ القرآن ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (٦) تتكلّم ولا تدري ما تقول.
- ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ (٧) إن كنت صادقاً فلتأتِ بالملائكة تشهد معك.
- ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ لا ننزل الملائكة إلا وفق ما تقتضيه حكمة الله تعالى، وذلك حين موعد إهلاكهم بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ (٨) ولو أنزلنا عليهم الملائكة لما كانوا ممهلين عند حدوث المخالفة منهم.

- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿٩﴾ فلا يناله أحد بتحريفٍ ولا تبديلٍ ولا تغيير.
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٠﴾ في أممهم وأقوامهم.
- ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿١١﴾ لا يصدقون، وإنما يستهزئون به ويسخرون منه.
- ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ أي الكفر والضلال والتكذيب ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١٢﴾ فلا يبصرون الحق ولا يهتدون إليه.
- ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿وَقَدْ خَلَّتْ﴾ مضت ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٣﴾ عادة الله تعالى فيهم بإهلاكهم.
- ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾ على المكذبين ﴿بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ﴾ في ذلك الباب ﴿يَعْرَجُونَ﴾ ﴿١٤﴾ يصعدون ويشاهدون ما في السماء.
- ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَرُنَا﴾ أصابها سُكْرٌ وغشاوة ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ ﴿١٥﴾ أصابنا سحرٌ حتى رأينا ما لم نر.

التدبير

- ١ - كم من أمني قطع قلب أصحابها حسرات بعد الفوات! ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٢﴾ حين تنكشف الحقائق، لا تبقى سوى الحسرات.
- ٢ - في السَّيْرِ أن رجلاً من السلف كان في غزوة وجهاد، وكان حافظاً للقرآن، فرأى امرأة من الروم، فأعجب بها وأرادها، فقالت له: بشرط أن تنتصر فتنتصر،



فلقيه من لقيه بعد زمن فقال: ما بقي من صلاتك وصيامك وقرآنك؟ فقال: لم يبق منها إلا قول الله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ٢.

٣ - ما زالت الفرص تعرض نفسها ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ٢. أيًا كانت الانحرافات التي تواجه صاحبها، ما زالت الفرصة مواتية، والأبواب مفتوحة، والنوافذ مشرعة قبل ألا يجدي أسف أو يفيد دمع.

٤ - كثيرون في رحاب هذه الغفلة ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٣. كم هم الذين يأكلون من نعم الله تعالى، وتغشاهم ستر آلائه، وما زالوا في غياهب الضياع!

٥ - إذا ضاعت الرؤية ضاع من الإنسان كل شيء ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٣.

٦ - إذا لم يكن لدى الإنسان رؤية توجّهه ولا هدف يبعث فيه الأشواق كل يوم، فسيظل على الهامش لا يرجى منه شيء ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٣.

٧ - جرى في قدر الله تعالى أن لكل شيء نهاية ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ ٤. مَا تَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلُهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ٥.

٨ - لا تتأسف على حلول قدر الله تعالى؛ فذلك موعده في اللوح المحفوظ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ ٤. مَا تَسِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلُهَا وَمَا يَسْتَعْرِضُونَ ٥.

٩ - كثرة الأسئلة والطلبات لا تدلُّ على الجهل، وإنما تدل على الكبر والعناد ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ ٦. لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ٧.

١٠ - ليست مشكلة المعاندين في ضعف الدليل كما يزعمون، وإنما في الاستكبار عليه ﴿وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (٦) ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ﴾ إن كنت من الصّديقين ﴿٧﴾.

١١ - الآيات التي ينزلها الله تعالى ليست خاضعة لأهواء السائلين والمعارضين ﴿وَقَالُوا يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (٦) ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِ﴾ إن كنت من الصّديقين ﴿٧﴾.

١٢ - كل الجهود المعارضة لهذا القرآن ستموت في مهدها، لن تبلغ من كتاب الله تعالى شيء ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٠).

١٣ - من دلائل هذا الحفظ: إقبال صغار المسلمين على ضبط حرفه، ومعرفة آيه، وكشف أي تحريف عارض فيه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٠).

١٤ - كثيرون لم يؤمنوا بالرسالة، ولم ينتفعوا بها في شيء؛ فعادوا خاسرين ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٠) ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١١).

١٥ - الإعراض عن الحق سنة جارية منذ فجر التاريخ إلى يومك هذا، لم يتغير شيء ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٠) ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١١).

١٦ - الجزاء من جنس العمل ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٢) ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وقد خلت سنة الأولين ﴿١٣﴾. أعرضوا عن الحق؛ فعوقبوا بعدم الإيمان والهداية.

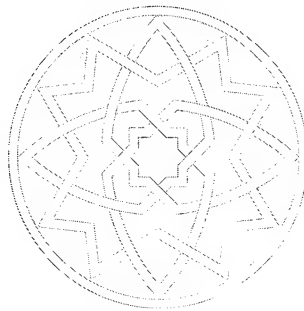
١٧ - القلوب المنكوبة لا تكاد تبصر الحقائق، ولو رأتها رأي العين ﴿وَلَوْ فَشَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ (١٤) ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ (١٥).



١٨ - يخرجون من عنق الزجاجة، وَيَسْلَمُونَ من حوادث نتائجها فواجع، ثم لا تفيدهم في شيء ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ۞ .

١٩ - لا تحزن على فوات حظوظ الدعوة من قلوب المعرضين، لو دفعت لهم كل شيء لم يؤمنوا ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ۞ .

٢٠ - حسب الدعاة إلى الله تعالى بلاغ الرسالة، والنهايات بيد علام الغيوب ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ۞ .



وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مِنْ أَسْفَرَقَ السَّمْعُ
فَاتَّبَعَهُ، شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْسَنَّا فِيهَا
رُوسًى وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا
مَعِيشٌ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُمْ بَرَزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا
خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ
لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ
بِخَزِينِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخِيرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِنْ صَلَاسِلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَنَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ
السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ
صَلَاسِلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾



التفسير

- ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ نجوماً كالأبراج العالية ﴿وَزَيَّيْنَاهَا لِلنَّظِيرِ﴾ ﴿١٦﴾ جعلناها جميلة في أعين الناظرين إليها.
- ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ أي السماء ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ﴾ متمرّد من الجن ﴿رَجِيمٍ﴾ ﴿١٧﴾ مطرودٍ عن رحمة الله تعالى.
- ﴿إِلَّا مَنْ أَسْرَفَ أَسْرَفَ﴾ من الجن ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٨﴾ إلا من استمع للملأ الأعلى جلسةً فلحقه شهابٌ مبينٌ فيحرقه.
- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها وفرشناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثابتة ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ في الأرض ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ ﴿١٩﴾ مقدّرٍ مقنّنٍ وفق حكمة الله تعالى.
- ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿مَعْيِشَ﴾ أسباباً للرزق تعيشون بها ﴿وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُمْ بَرَزِقِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ جعلنا الأرزاق في الأرض لكم ولغيركم من الناس، ممّن لا سبيل لكم إلى رزقه.
- ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾ من الأشياء والأرزاق وكل ما يحتاج الناس ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ بيد الله تعالى تقديراً وصرفاً ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ﴾ هذا الرزق ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ﴿٢١﴾ مقدّرٍ مقنّنٍ حسب الحاجة.
- ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾ تُلْقِح السحاب ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ غيثاً ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ جعلناه سقياً لكم أنتم وأنعامكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ بحافظين.



- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ فَخَلَقُ الْخَلْقِ وَإِمَاتَتُهُمْ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَنَحْنُ أَلْوَرِثُونَ﴾ (٢٣) ﴿لِلْأَرْضِ، وَمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْخَلْقِ.
- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ﴾ (٢٤) ﴿فِي الْوِلَادَةِ وَالْمَوْتِ.
- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يَجْمَعُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيجَازِي كَلًّا بِعَمَلِهِ ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا ﴿عَلِيمٌ﴾ (٢٥) ﴿بِمَا يَصْلَحُ أَحْوَالُ الْخَلْقِ.
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ آدَمَ ﷺ ﴿مِنْ صَلَافٍ﴾ مِنْ طِينٍ يَابِسٍ لَهُ صَوْتٌ صَلَافَةٌ ﴿مِنْ حَمَلٍ﴾ وَهُوَ الطِّينُ الْأَسْوَدُ الْمَتَغَيَّرُ ﴿مَسْنُونٍ﴾ (٢٦) ﴿مَتَغَيَّرَ.
- ﴿وَالْجَنَّةَ﴾ إِبْلِيسَ ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (٢٧) ﴿مِنْ نَارٍ شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ.
- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ صَلَافٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ (٢٨) ﴿آدَمَ.
- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ فَصَارَ جَسَدًا ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أَجْرِيَتْ فِيهِ الْحَيَاةُ ﴿فَقَعُوا لَهُ سَجْدِينَ﴾ (٢٩) ﴿أَمَرَ لِلْمَلَائِكَةِ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ سَجْدَةً تَحِيَّةً وَتَكْرِيمًا.
- ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٣٠) ﴿امْتَثِلُوا أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴿رَفُضَ أَنْ يَمْتَثِلَ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى.

التدبر

- ١ - من بدائع خلق الله تعالى في الكون هذه النجوم المرصعة في السماء ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ﴾ (١٦) ﴿.



٢ - عنايتك بالجمال، وحرصك عليه، ومحافظةك على مظهره محبوبٌ لله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ﴾ ﴿١٦﴾ من أجل ذلك ذكّر الله تعالى بجمال السماء!

٣ - جُبلت النفوس على الشعور بالجمال، والرضا به، والفرح بمشاهده ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ﴾ ﴿١٦﴾ ومن وُظّفه في طاعة الله تعالى، ودفع به في مشاهد هذا المعنى أُجِرَ على كلّ شيء.

٤ - اختر أشياءك بعناية، ورَتّب بيتك وسيارتك ومقر عملك، وكن مثيراً بمشاهد الجمال في حياتك، وأحسن نيّتك في ذلك، تناسب هذا الكون الجميل ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ﴾ ﴿١٦﴾.

٥ - العشوائية فوضى لا ترضاها النفوس ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ﴾ ﴿١٦﴾.

٦ - لا ينبغي بثّ العلم الذي يترتّب على إخراجه ضياع المقاصد العامة في حياة الناس ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ، شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ علم القدر وما جرى على الخلق، لو تمكّنت منه الشياطين لما بقي من المصالح شيء.

٧ - الأسرار التي يترتّب عليها حفظ مقدّرات كبرى، يجب أن تُحفظ من بطش العابثين، وكيد الماكرين ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ، شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾.

٨ - الشهب جندٌ من جنود الله تعالى، يزود بها عن الغيب، ويحمي أسرار الوحي ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ، شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾.

٩ - سُرّاق الأسرار يستحقّون شهب الإحراق والتعزير ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ، شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾.



١٠ - الأرض وما ألقى الله تعالى فيها آيةً من آيات الله تستحق التأمل والتفكر ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ۝١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ ۝٢٠﴾ ومن أعطى هذا المعنى حقه لقي ما يريد.

١١ - من عجائب هذه الأرض أَنَّ لِلْإِنْسَانَ فِيهَا كُلُّ مَا يَشَاءُ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ۝١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ ۝٢٠﴾.

١٢ - كل ما تراه في الأرض من نعم فبعض خزائن الله تعالى ﴿وَلِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝٢١﴾ وما لا تعرفه فوق ما تتصوره!

١٣ - تقلقون على رزقكم، وتخافون على حياتكم، والله تعالى يدبر شأن الخزائن كلها ﴿وَلِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝٢١﴾.

١٤ - لو فقهوا هذا المعنى لما تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكانوا عباد الله إخواناً ﴿وَلِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝٢١﴾.

١٥ - الثقة وبث روح الفأل والأمل أثير من آثار هذا القرآن ﴿وَلِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۝٢١﴾.

١٦ - كل هذا الخلق الذي تراه عينك مخلوق لغاية ويدير شأناً ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ۝٢٢﴾.

١٧ - الكون في غاية التنظيم والترتيب والإبداع، وما مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَجْرِي فِي فَلَكِهِ بِانْتِظَامٍ ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ۝٢٢﴾.



١٨ - يُجْرِي اللَّهُ تَعَالَى فِي الْكَوْنِ كُلِّ شَيْءٍ ﴿٢٣﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٤﴾.

١٩ - سَيَأْتِي يَوْمٌ يَرِثُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴿٢٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٦﴾.

٢٠ - الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ، وَالْغَادُونَ وَالرَّائِحُونَ، لَا يَغِيبُ مِنْهُمْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى شَيْءٌ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَثَمَّةٌ يَوْمَ يُجْمَعُونَ وَيُسْأَلُونَ وَيُحَاسَبُونَ.

٢١ - الْعَالَمُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا يَتَخَلَّفُونَ عَنْ أَوْامِرِهِ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٣﴾.

٢٢ - إِذَا بَلَغَكَ أَمْرٌ عَنْ رَبِّكَ فَاثْمَثْهُ، وَادْفَعْ لَهُ وَمَنْ أَجَلُهُ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِيَّاكَ وَالنَّكُوصَ عَنْهُ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٥﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٧﴾.

٢٣ - مَاذَا لَوْ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ اسْتَقْبَلَ أَوْامِرَ رَبِّهِ بِهَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْقَبُولِ ﴿٣٨﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٩﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٤٠﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٤١﴾.

٢٤ - الْكِبَرُ أخطرُ الْأَمْرَاضِ، وَأكثرُ الْأَدْوَاءِ فِي حَيَاةِ صَاحِبِهَا ﴿٤٢﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَيْ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ يَتَّبِعُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٤٤﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتُهُ مِن صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٤٥﴾.

قَالَ يَتِإِيلَيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ
 لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ
 فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
 مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا
 أَغْوَيْتَنِي لَأَزِيدَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾
 إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى
 مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ
 اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
 لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
 الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿٤٦﴾
 وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ
 ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾
 ﴿٤٩﴾ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
 هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾



التفسير

- ﴿قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ اَلَّا تَكُوْنَ مَعَ السَّٰجِدِيْنَ ۝٣٢﴾ ما لك لم تمتثل أمري فيما أمرتك به؟!
- ﴿قَالَ لَمْ اَكُنْ لِّاَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَٰصِلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ۝٣٣﴾ يقصد آدم.
- ﴿قَالَ ۝٣٤﴾ الله تعالى: ﴿فَاَخْرِجْ مِنْهَا ۝٣٤﴾ من الجنة ﴿فَاِنَّكَ رَٰجِعٌ ۝٣٤﴾ مطرودٌ مُّبْعَدٌ مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى.
- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ ۝٣٥﴾ حلَّ بك الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۝٣٥﴾ إلى يوم القيامة.
- ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي ۝٣٦﴾ أخرني وأمهلني ولا تُمَتِّنِي ﴿إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ۝٣٦﴾ إلى يوم القيامة.
- ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِيْنَ ۝٣٧﴾ الباقيين.
- ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝٣٨﴾ يوم القيامة.
- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ۝٣٩﴾ أجعل الدنيا جميلةً حسنةً في حياتهم، فيؤثرونها على الآخرة ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩﴾ ولأضلّٰنهم عن طريق الحق والهدى.
- ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ الذين أخلصتهم واصطفيتهم فلا سبيل لي عليهم.



- ﴿قَالَ هَذَا﴾ حفظ عبادي من إغوائك ﴿صِرْطُ عَلَيَّ﴾ ﴿حَقُّ عَلَيَّ﴾ ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿لا اعوجاج فيه.
- ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ لا طريق لك عليهم ﴿إِلَّا مَنْ أَتَبَعَكَ﴾ رضي بولايتك ﴿مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿مَنْ تَرَكَ الْحَقَّ وَاتَّبَعَ الضَّلَالَةَ.
- ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ إبليس وجنوده.
- ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ﴾ من الغاوين ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿قَدْرٌ مَّعْلُومٌ مَّعِيْنٌ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ.
- ﴿إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ﴾ وهم من جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقايةً بفعل أو امره واجتناب نواهيهِ ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ ﴿٤٥﴾ متفجرة بالماء.
- ﴿أَدْخُلُوهَا﴾ أي الجنة ﴿بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ سالمين من الآفات، آمنين من المخاوف.
- ﴿وَنَزَعْنَا﴾ يوم القيامة ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ﴾ أي ما في صدور المؤمنين ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ حقدٍ أو حسدٍ ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ متقابلين على أسرّتهم على وجه اللذة والنعمة.
- ﴿لَا يَسْتَهْجِمُ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿نَضَبٌ﴾ تعب ﴿وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ مقيمين في الجنة إقامةً دائمةً أبديةً، لا يخرجون منها.
- ﴿يَتَّبِعْ عِبَادِي﴾ أخبرهم ﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ أي إن ربهم يغفر زلّاتهم وذنوبهم، ويرحم ضعفهم وعجزهم ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ ﴿٥٠﴾ الشديد.

التدبر

- ١ - المقارنات أفسدت الحياة على كثيرين ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٣١) قَالَ يَتَابِلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ، مِنْ صَلَصلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) وهي التي تطارد الناس في كلِّ شأنٍ من شؤونهم.
- ٢ - أمراض القلوب أكثر الطرق إلى سوء الخواتيم ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٣١) قَالَ يَتَابِلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ، مِنْ صَلَصلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ (٣٣).
- ٣ - من رُزق توفيقاً وفقهاً ووعياً بادر إلى معرفة أدواء قلبه، واجتهد في تخليص نفسه من عواقب السوء ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٣١) قَالَ يَتَابِلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ، مِنْ صَلَصلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ (٣٣).
- ٤ - هذا هو جزاء الكبر والإعراض ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجيْمٌ﴾ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) تفقّد قلبك قبل أن تجري عليك ذات النهايات.
- ٥ - كم من والغ في خطيئة أوجبت له هذه النهايات! ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجيْمٌ﴾ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥).
- ٦ - بعض مشاهد المعاصي التي تجري في حياة أصحابها دون وعي ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجيْمٌ﴾ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥).
- ٧ - عدم السجود صورة من صور الرفض لطاعة الله تعالى، فتأمل في نفسك كم هي صور الرفض في واقعك ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجيْمٌ﴾ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) كم مرة قرأنا أمراً أو نهياً، ورفضنا الاستجابة له، واستعلينا عليه، ورمينا به على قارعة الطريق!

٨ - الإصرار على الخطيئة من أعظم الأخطاء التي يبوء بها أصحابها في النهاية ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦).

٩ - من شؤمه على نفسه أنه أراد ألا يأتي بخطاياه فحسب، وإنما أراد أن يأتي مثقلاً بأوزار الضالين ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦).

١٠ - طلب دوراً جديداً في الإضلال، ورفض الاستسلام لواقعه ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦).

١١ - بعضهم يرفض أن يأتي مسؤولاً عن نفسه يوم القيامة، يريد أن يأتي بأوزار العالمين ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦).

١٢ - مثل إبليس أو قريباً منه من يتولى التهيئة للباطل، ويعين عليه، ويتواصل مع صحبه لإقناعهم بالفكرة، وما يزال يرتب ويدفع من ماله، ويخطط لواقعه حتى يقف بصاحبه على مشاهد السوء ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦).

١٣ - حتى لا تنقطع الآمال بمجرّد إعلان النتائج ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦).

١٤ - ما أحوج الأمة لهذا النفس في مشاريع الخير والبر! ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦).

١٥ - الأمة اليوم لا تحتاج منك عمراً جديداً، تحتاج عمرك الآني، ووقتك الحالي، وبقايا من روحك قبل الموت وكفى ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦).

١٦ - يعرف خاتمته السيئة ولا يؤوب، وأهل الخير يدركون نهايات مشاريع البر والإصلاح، ويتوقّفون مراراً أو يتركون ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦).

١٧ - كثيرون يوقفهم الله تعالى على مشاهد الموت، ثم يعودون بعد الشفاء في الطريق نفسه ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦).



١٨ - ما دام مصرّاً على تَنَكُّبِ الطريق؛ فالله تعالى يُملي له ويعطيه ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾.

١٩ - ليس بالضرورة أن تسأل ربك الإمهال لإتمام خطيئتك، يكفي إصرارك عليها ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾.

٢٠ - نَفْسُ الموت على الفكرة والمشروع ذاتهما ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩) ما أخرجنا إلى ذات النَفْسِ في مساحات الخير والإصلاح.

٢١ - ثَمَّةُ شبهةٍ كبيرٍ بين إبليس وبين من يقول ما دامت هي هكذا؛ فلنبتق على الطريق نفسه ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩).

٢٢ - ليت من يعي المنافسة بحق، ويرفع راية مقابلة، ويقول: ما دمت مصرّاً على الغواية؛ فأنا في المقابل مصرٌّ على هداية العالمين ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩).

٢٣ - إبليس يحمل راية الفساد، فمن يحمل في الأمة راية الإصلاح؟! ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩).

٢٤ - هو بالغ بنفسه إلى نهايات السوء، أليس من رجل بالغ بنفسه إلى نهايات الكرامة والفلاح؟! ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩).

٢٥ - القناعة بالفكرة، والمنهج، والمشروع، تصنع مناضلين عنها في الحياة ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩).

٢٦ - الزينة أخطر الطرق التي يتوعد بها إبليس الناس، ويركس بها أقواماً في الضلالة ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩).

٢٧ - زَيْنٌ له صفقة ربا ليبنى بيته، ويركب سيارته، ويسافر نزهة لنفسه وأهله وأصدقائه ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩).



٢٨ - زَيْنَ لَهُ خِدْمَةُ تِلْكَ الْمَرْأَةِ، وَقَرَّبَ لَهُ مَسَافَاتِ الطَّرِيقِ إِلَيْهَا، وَطَالِبُهُ بِأَنْ يَحْسَنَ النِّيَّةَ مَعَهَا حَتَّى أَوْقَعَهُ فِي مَشَاهِدِ الزِّنَى ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٣٩.

٢٩ - رَغَّبَ إِلَيْهِ السَّفَرَ، وَحَبَّبَهُ إِلَيْهِ، وَذَكَّرَهُ بِآثَارِهِ الْجَمِيلَةِ فِي حَيَاتِهِ، وَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى قَضَى عَلَى مَشَاهِدِ الْإِيمَانِ فِي حَيَاتِهِ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٣٩.

٣٠ - أَقْنَعَهُ بِضُرُورَةِ الزَّوْاجِ، وَبَيَّنَّ لَهُ مَبَاهِجَ الزَّوْاجِ الْعَرَفِيِّ، وَيُسْرَهُ عَلَيْهِ، وَتَحْقِيقَهُ لَأَمَالِهِ دُونَ عَنَاءِ، فَتَزَوَّجَ مُتَعَةً فِي عِدَدٍ مِنَ الصُّورِ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٣٩.

٣١ - زَيْنَ لَهُ الْفَتْوَى، وَمَهَّدَ لَهُ فِيهَا طَرِيقَ الشُّهْرَةِ، وَأَقْنَعَهُ بِأَنَّهُ رَجُلٌ كَمَا أَنَّ غَيْرَهُ رِجَالٌ، ثُمَّ دَفَعَ بِهِ، فَأَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَحَمَلَ أَوْزَارَ الضَّالِّينَ، وَمَضَى فِي طَرِيقِ الْغَوَايَةِ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٣٩.

٣٢ - الْإِخْلَاصُ بَابٌ مُوصِّدٌ أَمَامَ مَشْرُوعِ إِبْلِيسَ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ ٤٠.

٣٣ - أَثْقَلَ الْخَطَوَاتِ، وَأَعَسَرَ الطَّرِيقَ، وَأَكْثَرَ الْأَبْوَابِ حِصَانَهُ أَبْوَابُ الْمُخْلِصِينَ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ ٤٠.

٣٤ - الْإِخْلَاصُ لَيْسَ كَلِمَةً تُرَدَّدُ، وَإِنَّمَا طَرِيقٌ يَتَعَامَلُ فِيهِ الْإِنْسَانُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى مُبَاشَرَةً، لَا يَبَالِي بِمَخْلُوقٍ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ ٤٠.

٣٥ - الْإِخْلَاصُ كَالَّذِي يَبْلُغُ شَأْنًا فِي الْعِلْمِ، وَتَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ (لَا أَدْرِي) كَالْمَاءِ الْبَارِدِ، يَتَعَامَلُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَتَعَامَلُ مَعَ الْمَخْلُوقِينَ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ ٤٠.

٣٦ - الْإِخْلَاصُ كَالَّذِي يَصْلِي فِي وَسْطِ الْعَالَمِينَ وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ، لَا فَرْقَ بَيْنَ مَشَاهِدِ الْعِبَادَتَيْنِ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ ٤٠.



٣٧ - الإخلاص حين تتضاءل المساحة بين الجلوة والخلوة، حتى لا تكاد تجد فارقاً بين المسافتين ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٤٠).

٣٨ - الأصل ألا طريق لإبليس على المخلصين ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢).

٣٩ - المتَّبَعُونَ لإبليس الراضون بطريقه، السائرون على منهجه موعودون بالجحيم ﴿وَأِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤).

٤٠ - إذا لم تكفهم مشاهد القرآن وحقائقه وصوره؛ فليكونوا غداً ضحايا الوهم العريض ﴿وَأِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤).

٤١ - لم يُتَقِ القرآن لعاقلي حجة يوم القيامة ﴿وَأِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤).

٤٢ - هذه نهايات المتقين ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٤٥) أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨).

٤٣ - لا حد لمباهج الحياة التي ينتظرها المتقون ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٤٥) أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨).

٤٤ - الغل من أسقام الحياة التي لا مكان لها في الجنان ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٤٥) أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى

سُرْرِ مُنْقَبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمْسُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ وَكَمْ مِنْ
مَعْلُولٍ بِهِ فِي الدُّنْيَا مَسْقُومٍ مِنْ آثَارِهِ فِي الْحَيَاةِ!

٤٥ - وانتهت أيام التعب كلها لم يَبْقَ منها شيء ﴿إِنَّ الْمُنْقَبِلِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ﴾ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا
عَلَى سُرْرِ مُنْقَبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمْسُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾
ولو عادوا بالذاكرة لأدركوا عواقب الاستثمار.

٤٦ - المَتَّقُونَ يتزاورون، ويجتمعون، ويلتقون، وتثور مشاعر الشوق والألق بينهم
في رحاب الجنان ﴿إِنَّ الْمُنْقَبِلِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرْرِ مُنْقَبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمْسُهُمْ فِيهَا
نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾.

٤٧ - لَا تَبْتَئِسْ لَخَطِيئَتِكَ؛ فهذا نَبَأُ رَبِّكَ للعالمين ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ وَلَا تَحْتَقِرْهَا فِي الْمَقَابِلِ فِي جَنَابِهِ وَتَسْتَهِنَ بِهَا؛ فهذا نَبَأُ رَبِّكَ
للعالمين ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ ﴿٥٠﴾.

٤٨ - هذا النَبَأُ لَا يَحْمِلُكَ عَلَى الاسْتِهَانَةِ بِالذَّنْبِ، وَإِنَّمَا يَحْيِي لَدَيْكَ مَشَاعِرَ الْحُبِّ
وَالشُّوقِ لِرَبِّكَ ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾.

٤٩ - إِذَا بَلَغَكَ هَذَا الْخَبَرُ ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ ﴿٥٠﴾ فَشَمِّرْ لِلتَّخْلِیِ
عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ.

٥٠ - هَذَا النَبَأُ ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ ﴿٥٠﴾ لَا يَحْمِلُكَ عَلَى الْقَنُوطِ
وَالْخَوْفِ الْمُقْعِدِ عَنِ الْعَمَلِ، وَإِنَّمَا يَحْمِلُكَ عَلَى الْعَمَلِ وَالْبِنَاءِ، وَالتَّوَقُّيِ مِنْ
مَخْلَفَاتِ الطَّرِيقِ.



وَنَبِّئَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ
إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾
قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونِ ﴿٥٤﴾
قَالُوا بِشَرَّنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ
يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ
أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا
ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَاتَهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا
لِمَنِ الْغَدِيرِ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْقَئُ مِنْكُمْ أَحَدٌ
وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنْ دَابرَ
هُؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا
تُخْرُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾

التفسير

- ﴿وَنَبِّئَهُمْ﴾ أخبرهم ﴿عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٥١﴾ وهم الملائكة.
- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ على إبراهيم ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ محييين له بتحية الإسلام ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ خائفون.
- ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ أي لا تخف ﴿إِنَّا بُشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ إسحاق ﴿عَلِيمٍ﴾ ﴿٥٣﴾ كثير العلم.
- ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ تبشروني بغلام وأنا في هذه الحالة من العمر ﴿فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ من كان هذا حاله من العمر لا فرح له ببشارتكم؛ لانقطاع الأسباب الجالبة للولد ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ باليقين المتحقق ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَظِطِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ الآيسين من رحمة الله تعالى.
- ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ ﴿٥٦﴾ الذين لا معرفة لهم بالله تعالى.
- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ ما شأنكم؟ وما الذي جاء بكم؟!
- ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ﴾ ﴿٥٨﴾ قوم كثر فسادهم، وعلا طغيانهم؛ يقصدون قوم لوط ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ لوطاً وأهله ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ من العذاب.
- ﴿إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ﴾ زوجته ﴿قَدَرْنَا﴾ قضينا وحكمنا ﴿إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ الباقين في العذاب.

﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٦١) ﴿ أَيِ الْمَلَائِكَةِ ﴾ قَالَ ﴿ لُوطُ ﴾ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُّونَ ﴿ ٦٢ ﴾ لا نعرفكم.

﴿ قَالُوا ﴾ الْمَلَائِكَةُ: ﴿ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (٦٣) ﴿ بِالْعَذَابِ الَّذِي فِيهِ يَشْكُونَ وَيَخْتَلِفُونَ.

﴿ وَأَيْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ الْعَذَابُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾ (٦٤) ﴿ فِيمَا جِئْنَاكَ بِهِ.

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾ سِرْ بِأَهْلِكَ وَاخْرُجْ بِهِمْ ﴿ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ فِي جُزْءٍ مِنَ اللَّيْلِ ﴿ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾ امشِ خَلْفَهُمْ ﴿ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ ﴾ إِلَى الْعَذَابِ النَّازِلِ بِقَوْمِهِمْ ﴿ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ (٦٥) ﴿ اذْهَبُوا إِلَى حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ﴾ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ﴿ ذَلِكَ الْأَمْرَ ﴾ إِهْلَاكَ الْكَافِرِينَ ﴿ أَتَدَابِرَ هَؤُلَاءِ ﴾ آخَرَهُمْ ﴿ مَقْطُوعٌ ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ (٦٦) ﴿ يَأْخُذُهُمُ الْعَذَابُ فِي الصَّبَاحِ.

﴿ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ﴾ أَهْلُ سَدُومَ ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٦٧) ﴿ يَبْشُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَضْيَافِ نَبِيِّهِمْ لُوطَ.

﴿ قَالَ ﴾ لُوطُ ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ صِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴾ (٦٨) ﴿ بَتَعَرُّضِكُمْ لَهُمْ بِالْفَاحِشَةِ.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَذَابِهِ وَقَايَةً بِفِعْلِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ﴿ وَلَا تُخْزَوْنَ ﴾ (٦٩) ﴿ لَا تَلْحَقُوا بِي الْخِزْيِ وَالذُّلِّ وَالْهَوَانِ بِمَا تَفْعَلُونَ.

﴿ قَالُوا ﴾ قَوْمُ لُوطَ: ﴿ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعُلَمِيكِ ﴾ (٧٠) ﴿ عَنْ تَضْيِيفِ الضُّيُوفِ.

التَدَبُّرُ

١ - القِصَّةُ طريقٌ لبناء القيم والمبادئ والعادات الصحيحة، وطريقٌ لاجتثاث الأفكار والمبادئ الغريبة، والأفكار الهدامة، والعادات السلبية ﴿وَنَبِّئَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾.

٢ - الخوف الطبيعي الجبلي لا حرج فيه، ولا أثر له في دين الإنسان ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾.

٣ - حتى الكبار تصيبهم طوارق الحياة، ويرتاعون لأثارها ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾.

٤ - إذا قدمت على إنسانٍ فلا تحبس أنفاسه بسبب مجيئك ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَظِيمٍ﴾.

٥ - الأخبار الكبيرة تحتاج إلى تذكير بآثارها، حتى لا يصيب أصحابها الفزع أو القنوط ﴿قَالَ أَبَشِّرْهُمُنِي عَلَىٰ أَن مَّسَنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ بَشِّرُونَ﴾ ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْفَظِطِينَ﴾ ﴿قَالَ وَمَن يَفْقَهُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ ۖ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾.

٦ - إدارة الأولويات فن، ألقوا إليه ما يخصه من خبر، ثم أفضوا إليه بالخبر العام ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿إِلَّا أَمْرَانَهُ قَدَرْنَا ۖ إِنَّمَا لِمَنِ الْغَنِيَّةُ﴾.

٧ - من حسن إدارة النقاش ألا تُبقي للسائل أسئلة يحتاج إلى الاستفهام عنها ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿إِلَّا أَمْرَانَهُ قَدَرْنَا ۖ إِنَّمَا لِمَنِ الْغَنِيَّةُ﴾.

٨ - استغربهم فأفضوا إليه بمرادهم تاماً كاملاً (فقه في الجواب) ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ (١١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُّونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَسْرِبْ أَهْلَكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿١٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿١٦﴾.

٩ - التخطيط ضرورة في نجاح أي عمل ﴿فَأَسْرِبْ أَهْلَكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ (١٥).

١٠ - إذا عميت القلوب فلا تنفع فيها المواعظ بشيء ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٧).

١١ - انتكاس الفطرة لا يرجى لصاحبه علاج، إلا أن يشاء الله تعالى ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٧).

١٢ - حين يتحوّل المنكر من شأن فرد إلى شأن الجماعة ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٧) لا تنتظر بعد هذا عافية!

١٣ - لم يعد يجدي في مثل هؤلاء واعظ الخير ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ (١٨) وَأَقْفُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿١٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾.

١٤ - من أغرب الصور تراحم أمّة على أسوأ الفواحش وأقبحها ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ (١٨) وَأَقْفُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿١٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾.

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَنَكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
 يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا
 سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّمَا لِسَبِيلٍ مُقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾
 فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَإِمَامٍ مُبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ
 الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَايَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ
 ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
 الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾
 وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ
 السَّاعَةَ لَآيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
 الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ
 الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ
 وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي
 أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾

التفسير

- ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتٌ يَعْنِي بَنَاتُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٧١﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ﴾ تزوجوهن حلالاً، إن كنتم ولا بد واقعين فيما أنتم عازمين، وأضافهم لنفسه لأن كل نبي أب لأُمَّته في الرعاية والشفقة.
- ﴿لَعَمْرُكَ﴾ قَسَمٌ مِنَ اللَّهِ بِحَيَاةِ نَبِيِّهِ ﷺ ﴿إِنَّهُمْ﴾ قوم لوط ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ حالة طغيان الفاحشة في قلوبهم وذهاب عقولهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ يتحيرون ويترددون ولا يعرفون ماذا يفعلون ﴿فَأَخَذَهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ الصوت العظيم الشديد ﴿مُشْرِقِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ في وقت شروق الشمس.
- ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا﴾ قلبناها رأساً على عقب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ﴿٧٤﴾ رميناهم بطين متحجر يتبعهم في كل مكان.
- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي تلك العقوبة التي حصلت بقوم لوط ﴿لَآيَةً﴾ لعبر وعظات ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ المتأملين المتفكرين.
- ﴿وَلِأَنَّهُ﴾ أي قرى قوم لوط ﴿لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ ﴿٧٦﴾ طريق ثابت للسالكين يعرفونه من التردد عليه.
- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ عظة وعبرة لكل مؤمن بالله تعالى.
- ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ أهل البستان كثير الشجر؛ يعني بذلك قوم شعيب ﴿ظَالِمِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ لأنفسهم بارتكاب ما حرم الله تعالى.
- ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالعذاب الذي حلَّ بهم ﴿وَلِأَنَّهُمَا﴾ أي مدينة قوم لوط وشعيب ﴿لِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٧٩﴾ بطريق واضح بين معروف.



• ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ﴾ ديار قوم ثمود ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ رسولهم صالح.

• ﴿وَأَيُّنْهُمْ ءَايَتَنَا﴾ كالناقة ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٨١﴾ لم يعتبروا بها.
• ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ يخرقونها في الجبال، ويشقونها منها
﴿ءَامِينَ﴾ ﴿٨٢﴾ مطمئنين.

• ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ الصوت الشديد ﴿مُصْبِحِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ في وقت الصباح.
• ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ ما نفعهم وما دفع عنهم ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ ما عندهم
من القوة والأموال.

• ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ لحكمة عظيمة ﴿وَإِنَّ
السَّاعَةَ لَأَنِيَّةٌ﴾ متحققـة الوقوع ﴿فَأَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ﴿٨٥﴾ صفحاً
لا عتاب فيه، ولا حزن معه، ولا غضب له.

• ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ لكل مخلوق ﴿الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨٦﴾ لا يغيب عنه من علم
الخلايق شيء.

• ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ سورة الفاتحة ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ ﴿٨٧﴾
جميع آيات القرآن.

• ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ نظر تمتع ﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾ من متاع الدنيا ﴿أَزْوَاجًا
مِّنْهُمْ﴾ أصنافاً من الكفار ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ في عدم إيمانهم ﴿وَخَفِضْ
جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ تعامل معهم برفق وحسن خلق.

• ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٨٩﴾ الواضح البين فيما لله عليكم.

الحجر

١ - إذا بلغت الشهوة مداها سَدَّت منافذ العقل والبصر ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٢).

٢ - كل الذين وقعوا يقولون: لا ندري كيف صار هذا الواقع الذي نحن فيه! ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٢).

٣ - لا تسل: لم كل هذه الأعداد في داخل السجون؟! سُكر الشهوات لا يبقي وازعاً من دين، ولا بقايا من تفكير ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٢).

٤ - المصرون على الهلاك يستحقون هذه النهايات ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾ (٧٢) ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (٧٤).

٥ - يمد الله تعالى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾ (٧٢) ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (٧٤).

٦ - الجزء من جنس العمل، المنتكسون في فطرهم منتكسون في عذابهم ونهايتهم ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾ (٧٢) ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (٧٤).

٧ - انتكاس الفطر لا يصلح معه إلا هذا النوع من العذاب ﴿فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾ (٧٢) ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ (٧٤).

٨ - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٥) درس يُقرأ على رؤوس الأشهاد كل حين!

٩ - من مضى في ذات الطريق فقد يجري عليه ذات العذاب ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٥).



١٠ - حتى أرضهم وديارهم ماثلة للعالمين ﴿وَإِنَّهَا لَسَبِيلٌ مُّقِيمٌ﴾ ٧٦.

١١ - أسوأ العقوبات أن يجعلك الله تعالى درساً يتلى، ومشهداً يرى ما بقيت الدنيا ﴿وَإِنَّهَا لَسَبِيلٌ مُّقِيمٌ﴾ ٧٦.

١٢ - كثير من المعاصي يُدفن ذكرها مع الزمن، وبعضها يتجدد ذكرها كل حين ﴿وَإِنَّهَا لَسَبِيلٌ مُّقِيمٌ﴾ ٧٦.

١٣ - كل أمة لا تقيم لله تعالى قدراً يركسها في العذاب، ويرديها أسوأ النهايات ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَبُ الْأَيْكَةِ ظَالِمِينَ﴾ ٧٨ ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ٧٩ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ٨٠ ﴿وَأَيَّدْنَاهُمْ بِأَيُّدِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ٨١ ﴿وَكَانُوا يُنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ ٨٢ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ ٨٣ ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٨٤.

١٤ - لا تحمل في قلبك على المعرضين شيئاً ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ الصَّفْحُ الجميل: لا عتاب فيه، ولا حزن معه، ولا غضب له!

١٥ - تعلم ألا تنظر إلى الوراء! ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾.

١٦ - قلوب الكبار أكبر من أن تبقى رهينة لمواقف سابقة، وأحداث مضت عليها الأيام ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾.

١٧ - القرآن شيء، والفتاحة منه شيء آخر، ولو استوعب صاحب قلب هذا المعنى للقي النعيم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ ٨٧.

١٨ - إن سورةً يخصصها الله تعالى بذاتها، ويجعلها فرضاً في كل ركعة فهي حقيقة بالقراءة والإمعان ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ ٨٧.



١٩ - من كمال فقه الإنسان ووعيه أن يستقبل كتاب ربه بوقته ومشاعره ووجدانه، ويخص منه الفاتحة على وجه الخصوص ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧).

٢٠ - لا تنظر إلى مباحج الحياة عند الكفار، مهما بلغ شأنها ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨).

٢١ - مهما بلغت حضارتهم ونعيم أرضهم؛ فما في قلوب المؤمنين أبهج بكثير من تلك الصور ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨).

٢٢ - لا تحزن على إعراضهم وإدبارهم عن الحق ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾.

٢٣ - ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ رسالة في التلطف مع هؤلاء أيًا كان جنسهم ولونهم وبلادهم.

٢٤ - أهل الإيمان يستحقون هذه العناية الخاصة بهم ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢٥ - يا قوم! احفظوا وصية الله تعالى في عباده المؤمنين، رفقوا لهم، واخفضوا لهم جناح التواضع، وأقبلوا عليهم، وهبوا من مشاعر الوجدان ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢٦ - الإبانة في الدعوة ضرورة، حتى يصل البلاغ إلى حظوظه من حياة الناس ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (٨٩).

٢٧ - كم هي حاجة الدعوة إلى معاهد متخصصة تؤهل الدعاة، وترسم معهم مستقبل الدعوة بكل وضوح ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (٨٩).

كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ
عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا
كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا
يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّجِدِينَ ﴿٩٨﴾
وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْنِيكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

التفسير

- ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا﴾ العقوبة ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ المتحالفين على مخالفة الأنبياء.
- ﴿الَّذِينَ﴾ هؤلاء المتحالفين ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ ﴿٩١﴾ أجزاء متفرقة بين سحر وشعر وكهانة ونحو ذلك ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ يوم القيامة.
- ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ عن أعمالهم التي عملوها في الدنيا.
- ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أظهر أمر دينك الذي أمرك الله تعالى به ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٩٤﴾ لا تُبالِ بهم، ولا تلتفت إليهم.



- ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ وَعَدُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَضُرُّهُ كَيْدُ الْمُسْتَهْزِئِينَ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ.
- ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿٩٦﴾ شَرِيكًا فِي الْمَلِكِ وَالتَّدْبِيرِ ﴿٩٧﴾ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٨﴾ مَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْعَذَابِ.
- ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٩﴾ مِنْ قَوْلِهِمْ سَاحِرٌ وَكَاهِنٌ وَشَاعِرٌ.
- ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٠٠﴾ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِبَادَتِهِ.
- ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ ﴿١٠١﴾ اسْتَمَرَّ فِي عِبَادَتِهِ ﴿١٠٢﴾ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٠٣﴾ الْمَوْتِ.



- ١ - ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٠٤﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يُوَاجِهَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ الْيَوْمَ قَبْلَ فَجَائِعِهَا فِي الْغَدِ.
- ٢ - كَمْ مِنْ سُؤَالٍ سَيَدَارُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَحْتَاجُ إِلَى جَوَابٍ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٠٦﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.
- ٣ - الصَّدْعُ بِالْحَقِّ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْعِزَّةِ بَدِينِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.
- ٤ - لَنْ تَبْلُغَ الْأُمَّةُ غَايَاتَهَا بِهَذَا الدِّينِ، إِلَّا إِذَا أَخَذَتْهُ وَهِيَ تَشْعُرُ بِأَفْرَاحِهِ وَأَحْدَاثِهِ، وَآثَارِهِ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.
- ٥ - يَا أَيُّهَا الدَّعَاةُ! انْفِرُوا بِدِينِكُمْ فِي الْعَالَمِينَ، وَبَلِّغُوهُ السَّامِعِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٠﴾﴾.

٦ - من صور الصدع بدين الله تعالى أن تأخذ الدعوة حظها من بيوت الله تعالى في كل مكان ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٤).

٧ - وصية الله تعالى ألا تعقد صفقة مهما كانت مصالحها مع مشرك في الأرض على حساب دينك ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٤).

٨ - ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٩٥) رسالة تطمين للداعية الأول أن يمضي في طريقه غير آبه بهيشات السفهاء والضالين، وهي رسالة ممتدة لأولياء الله تعالى من بعده إلى يوم الدين.

٩ - كل معرض عن الحق سيأتي يوم يعرف فيه حقائق ذلك الإعراض ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٩٦).

١٠ - الرسل بشر؛ يصيبهم ما أصاب الناس، ويجدون ألماً وضيقاً وحرماً من أثر المخالفين ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧).

١١ - كل ما يصيب الدعاة وأصحاب الرايات وحملة المشاريع من آثار الدعوة، يراه الله تعالى ويرقبه، ويجازي عليه بأثمن ما يكون ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧).

١٢ - حتى وأنت في طريق سفرك، وأنت تكتب خطة عملك، وتدير شأن الدعوة في دائرتك، يراك الله تعالى ويرقبك، ويثمن دورك، وسيتولى جزاءك في يوم القيامة ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧).

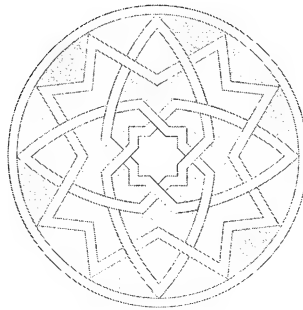
١٣ - لا تحسب أن شيئاً من جهدك يذهب سدى، كلا! إنما توفى لك في يوم الحساب ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧).



١٤ - الانشغال بالعبادة أعظم الردود على الأعداء ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ ١٨ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿ ١٩ ﴾ .

١٥ - إذا ضاق صدرك، وتألم خاطرك، وتوجع قلبك من أذى الطائشين؛ فتوجه إلى ربك ذكراً وتعبداً وإقبالاً ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ ١٨ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿ ١٩ ﴾ .

١٦ - في العبادة سلوى لكل المجتهدين المتعبين ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ ١٨ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿ ١٩ ﴾ .



سُورَةُ النِّحْلِ

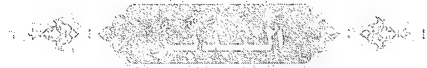
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾
يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
أَنۡ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾
وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

التفسير

- ﴿آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قُرْبٌ وَدَنَا ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فَإِنَّهُ آتٍ قَرِيبٌ ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١﴾ جَلَّ وَتَنَزَّهَ عَنْ شَرِكِ الْمُشْرِكِينَ.
- ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ أَيُّ جَبْرِيلَ ﴿بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾ بِالْوَحْيِ ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ مِنَ الرُّسُلِ ﴿أَنۡ أَنْذِرُوا﴾ أَعْلِمُوا النَّاسَ ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ فَلَا

- معبودَ بحقٍّ سوى الله تعالى ﴿فَاتَّقُونَ﴾ (٢) اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه.
- ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بالحكمة والعدل ﴿تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣) تنزّه عن شرك المشركين.
- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ من مني ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٤) شديد الجدال بالباطل.
- ﴿وَالْأَنعَدَ خَلْقَهَا لَكُمْ﴾ لأجلكم ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما تستدفئون به من الثياب، التي هي من أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَنْفَعٌ﴾ كألبانها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥) من لحومها.
- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة في الصورة والكثرة ﴿حِينَ تَرِيحُونَ﴾ وقت عودها إلى محلّها ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (٦) وقت ذهابها إلى المرعى.



- ١ - الجهل بالله تعالى يأتي بمثل هذه الطوام ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١) هل تتصوّر أن خلقاً يستعجلون عذاب الله تعالى!
- ٢ - العلم بالله تعالى موجبٌ للخوف من غضبه وسخطه وسوء عقابه ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١) يشركون ويعصون الله تعالى، وفي النهاية يستعجلون عذابه ويستهزئون بمقامه، وهذه آثار الجهل!
- ٣ - من عرف الله تعالى قام له بحقه من الخشية ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١) يؤمنون به، ويقومون بواجبه، ويخافون ألا يتقبّل منهم شيئاً بخلاف هؤلاء العجلى، «أحشفاً وسوء كيلة»!

٤ - كثيرة هي حكم الله تعالى من خلقه؛ فلا تخلق شيئاً من الشكوك في أمرٍ لا تعرف أسرارهِ ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢٠).

٥ - اختيار الرسل والأنبياء فضل من الله تعالى، واصطفاء يهبه تعالى مَنْ يَشَاءُ بعلمه وحكمته ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢٠).

٦ - من فواتح الخير وبوادر التوفيق لإنسان، أن هيأه الله تعالى ليكون حاملاً لرؤية الإصلاح، وسائراً في طريق الكبار ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢٠).

٧ - من فتح الله تعالى له في هذا الطريق؛ فليحمد الله تعالى، وليفرح، وليقم بواجب الدعوة كما أراد الله تعالى، وليحسن اقتفاء آثار الأنبياء؛ فإن ذلك من كمال التوفيق ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢٠).

٨ - إذا رأيت قاعداً بعد أن ملكه الله تعالى وسائل هذا الطريق؛ فلعله لا يصلح لحمل راياته وتبليغه للعالمين ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢٠).

٩ - التوحيد هو المقصود الأعظم والأهم من كل دعوة يُراد لها القيام بمصالح الدارين ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢٠).

١٠ - القلوب التي لا يملك منها التوحيد، ويصنع فيها أحداثه، لا تصلح لقبول أي دعوة فيما بعد ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢٠).



١١ - كل العبادات التي يحدثها الإنسان في قلبه وقف على قضية التوحيد أولاً ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢) ﴿٢﴾.

١٢ - إذا أردت شاهداً على جلال الله تعالى، وعظيم سلطانه؛ فانظر إلى هذا الخلق البديع في الكون ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣) ﴿٣﴾.

١٣ - هذا أصل الإنسان في أوله، وهذه قصة نهايته في كثير من الأحيان ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٤) ﴿٤﴾ أوله نطفة وآخره خصام ونزاع وشقاق! ألا ما أجعله!

١٤ - خلقهم الله تعالى من نطف، وإذا بهم عقبات في طريق دينه ووحيه ورسالته ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٤) ﴿٤﴾ ما أفتح الجزاء!

١٥ - ماذا لو تذكر المعارضون أن هذا هو بداية خلقهم وأول أمرهم؟! ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٤) ﴿٤﴾.

١٦ - بعض مشاهد خلقه تعالى في الكون ﴿وَاللَّعْنَةُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥) ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ (٦) ﴿٦﴾.

١٧ - كل ما خلق الله تعالى في الكون مسخر لهذا الإنسان، ومُدبّر له ﴿وَاللَّعْنَةُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥) ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ (٦) ﴿٦﴾ نعم بحاجة إلى شكر.

١٨ - الجمال والإبداع في خلق الله تعالى ﴿وَاللَّعْنَةُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥) ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ (٦) ﴿٦﴾ ولا يسع المتأمل في هذا الكون إلا أن يقف مذهوشاً في كل شيء!

وَنَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ
وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُثْبِتُ لَكُمْ بِهِ
الزَّيْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ
الشَّمْرَةِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ
مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي
سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾



التفسير

• ﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ﴾ وهو ما يثقل حمله من المتاع ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ واصلين إليه ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ تعبها وإرهاقها ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ٧ لا يريد أن يشق عليكم في شيء.

• ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ سخرناها لكم ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ وقت حاجتكم ﴿وَزِينَةً﴾ تتمتعون بها ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٨ مستقبلًا من وسائل الركوب.

• ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ بيان الطريق إلى كل مطلوب ﴿وَمِنْهَا﴾ من الطريق ما هو ﴿جَائِرٌ﴾ مائلٌ عن الاستقامة منحرفٌ به عن الهداية ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٩ إلى الحق؛ فلم يتخلف منكم أحد.

• ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ بفضلِه ونعمته ﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ تشربون منه أنتم وأنعامكم ﴿وَمِنْهُ﴾ أي من الماء ﴿شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ١٠ يُسقي الشجر لترعوا فيه أنعامكم ومواشيكم.

• ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ﴾ بالماء ﴿الزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ﴾ فتستقي منه وتنبت على استواء ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ما ينبت من أثر الماء بفضل الله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ١١ في قدرة الله تعالى.

• ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ جعلها مسخرةً في مصالح العباد ومنافعهم ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ كذلك لما فيها من



المصالح ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٢﴾ يعقلون عن الله تعالى أمره وقدره.

• ﴿وَمَا ذَرَأًا لَّكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وما خلق لكم فيها ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾ أشكال وأنواع كثيرة آية من آيات الله تعالى كذلك دالة على قدرته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿١٣﴾ من الذكرى والعظة والعبرة من آيات الله تعالى.

• ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ فَيَسَّرَ رُكُوبَهُ وَالصَّيْدَ فِيهِ ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ من السَّمَكِ وَنَحْوِهِ ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ من اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾ أي السفن ﴿مَوَاحِرَ فِيهِ﴾ أي تشقُّ البحر ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ من الأرزاق والنعم التي تحصلون عليها من ذلك ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ نعم الله تعالى التي تحصلون عليها من ذلك.

التدبِير

١ - من كمال نعم الله تعالى على الإنسان ورعايته لمصالحه أن وهبها لهم وأرشدهم إلى استثمارها ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّئِمَّ تَكُونُوا فِيهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّوُّفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ومن كمال رحمته أن جعل له ما يقوم بحاجاته، ويعينه على بلوغ أمانيه.



٢ - «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»^(١) ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾ وَمِنْ أَدَبِكَ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ.

٣ - ماذا لو أن الإنسان حرص على مظاهر الجمال في عبادته وسلوكه وتعامله مع ربه في كل شيء ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾.

٤ - نتجمل للعالمين، ويفوتنا أن نحسن خطاب الله تعالى أو رجاءه أو حتى دعاءه والأدب معه في كثير من الأحيان ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾.

٥ - يعتني بمظهره، ويرتب مكانه، ويجهد في نظافة بيته وسيارته، شعور منه بأثر الجمال الذي يحبه ربه تعالى ﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾.

٦ - كل ما تراه من جديد في واقعك، هو جزء من قدرة الله تعالى في مشاهد الكون ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

٧ - ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ممّا لا تتخيله في واقعك، ولم تكن تتوقّعه في مستقبلك.

٨ - إذا رأيت آلة أبدعها الإنسان؛ فتأمل في بديع خلق الله تعالى أولاً لصانعها ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

٩ - جزء من مشكلاتنا أننا نغرق في الثناء على صنّاع الحضارة، وننسى أن هذه فواتح الله تعالى، وأصله بديع خلقه في ذلك الإنسان ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

(١) رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

١٠ - خيارات النجاح والإخفاق بين يديك فاختر ما تريد ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ①.

١١ - كل الذين ضلُّوا إنما صنعوا ضلالهم عن قصد ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ①.

١٢ - طريق الحق بيِّن لا يشكُّ إلَّا على صاحب هوى ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ①.

١٣ - هداية العالمين جميعاً خلاف الحكمة الكبرى التي أرادها الله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ①، فانظر لهذا الخلاف بين الخلق على أنَّه جزءٌ من حكمة الله تعالى.

١٤ - سيأتي كلُّ إنسانٍ يومَ القيامة فيُسأل عن الطريق الذي اختاره والنهايات التي بلغها في النهاية ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ①.

١٥ - الماء النازل من السماء، وما يترتب عليه من مصالح آية من آيات الله تعالى، تدعو للتفكير والتأمل ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ⑩ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ⑪.

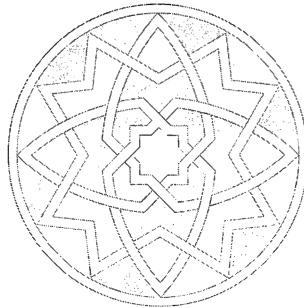
١٦ - تسخير البحر للإنسان آيةٌ من آيات الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلَكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ⑫ ما أحوالنا للشكر!



١٧ - مَدَّ بَسَاطَهُ وَبَقِيَ عَلَى الشَّاطِئِ سَاعَاتٍ، وَذَاكَ قَرَبَ قَارِبِهِ، وَاصْطَادَ مَا يَرِيدُ مِنْ نَعْمِ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ أَدْبَرَ لَمْ يَفْقَهُ دَرَسَ الذِّكْرَى مِنْهُ بَعْدَ ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٤﴾.

١٨ - فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ يَذْهَبُ بِأَوْلَادِهِ إِلَى الشَّاطِئِ، ثُمَّ يَأْخُذُ جُزْءًا مِنْ أَوْقَاتِهِمْ لَتَعْظِيمِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قُلُوبِهِمْ ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٤﴾.

١٩ - فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَذْهَبُ إِلَى الْبَحْرِ أَوْ تَرَاهُ، سَلَّ نَفْسَكَ عَنْ امْتِدَادِ هَذِهِ الْآيَةِ وَعَمَقِهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ أَحْدَاثٍ، تَحْتَاجُ إِلَى إِمْعَانٍ ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٤﴾.



وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ سُبُلًا
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ
تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ
أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ
فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسْرُوتُ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ
قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا
سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَأَنَّى اللَّهُ بُنِيَ لَهُمُ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾



التفسير

- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا﴾ جبلاً ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ حتى لا تضطرب بكم الأرض ﴿وَأَنْهَرَا﴾ من المياه ﴿وَسُبُلًا﴾ طرقاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥﴾ تتوصلون بها إلى مقصودكم.
- ﴿وَعَلَّمَكُمِ﴾ أمارات ومعالم يهتدي بها الناس ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٦﴾ يصلون إلى مقصودهم.
- ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ هذه النعم والمعالم العظيمة الدالة على قدرته ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ لا يقدر على خلق شيء من ذلك ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧﴾ تتعظون وتعتبرون.
- ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ لا تستطيعون حصرها وعدّها من كثرتها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ يغفر لعباده ويرحمهم.
- ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ﴾ في أنفسكم ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ﴿١٩﴾ تظهرون.
- ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الآلهة والمعبودات ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ لا يقدرون على خلق شيء من المخلوقات مهما صغر ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ فكيف للمخلوق أن يخلق شيئاً.
- ﴿أَمْ مَوْتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ آلهتهم ميتة لا حياة لها ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٢١﴾ هذه الآلهة ما تشعر متى يبعث عابديها من الكفار.
- ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾ لوحدانية الله تعالى، لا يؤثر فيها وعظ ولا تذكير ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ عن قبول الحق.

• ﴿لَا جَرَمَ﴾ حَقًّا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في أنفسهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾
يظهرون ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٢٢) بل ييغضهم لاستعلائهم وكبرهم.
• ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أُنزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٤) قصص من
قصص الأولين.

• ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً﴾ ذنوبهم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ
يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ويحملون مع أوزارهم أوزار من كانوا سبباً في
ضلالهم ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (٢٥) بئس ما حملوا من الأوزار والذنوب.
• ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ احتالوا وخدعوا رسلهم ولم يؤمنوا بهم
﴿فَأَنَّى اللَّهُ بُنِيَ لَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ اقتلع بيوتهم من الأساس ﴿فَخَرَّ
عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ فسقط عليهم ﴿وَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا
يَشْعُرُونَ﴾ (٢٦) من المكان الذي لم يكونوا يتوقعوه.

التدبر

١ - حَكَّمُ الله تعالى في خلقه تجلُّ عن الوصف ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ
تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥) وَعَلِمَتْ بِالْتَّجْمِ هُمْ
يَهْتَدُونَ (١٦).

٢ - هذه الأرض المبسوطة، والأنهار الجارية، والطرق الممتدة في كلِّ مكان
آيات تدعو لهداية الإنسان وتدله على الطريق ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ
تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥) وَعَلِمَتْ بِالْتَّجْمِ هُمْ
يَهْتَدُونَ (١٦).



٣ - كم من طريق سلكته في الطاعات! ومساحة ألقيت فيها برسالة التوحيد! وبقعة وسّعت فيها أثراً لدين الله تعالى! هذه هي الذكريات ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥).

٤ - هذه الأرض الممتدة ستأتي شاهدة على خطواتك فيها يوم الحاجات ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥).

٥ - اجعل أكثر خطواتك فيها لدين الله تعالى، وفي سبيله، ومثلك أوعى بالتاريخ ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥) وإياك أن يأتي جزء من هذه الأرض باعثاً للحسرات!

٦ - حتى هذه النجوم في سماء ربك خلقت لهدايتك الحسية؛ فَلَعَلَّهَا تكون هي وغيرها باعثاً لهدايتك المعنوية! ﴿وَعَلَّمَكُمُ الْيَوْمَ الْآيَاتِ أَنْ يَقْرَأُوا بِهَا وَأَنْهَرَ وَسْبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٦).

٧ - هذا اهتدى بالنجم لإقامة صلاته، وسفره في طاعة ربه، وحديثه عن أسرار هذا الكون، وذاك استدللّ بها على طريق الحرمان، وبات يسامر فيها الشياطين، ما أبعد الفرق؟! ﴿وَعَلَّمَكُمُ الْيَوْمَ الْآيَاتِ أَنْ يَقْرَأُوا بِهَا وَأَنْهَرَ وَسْبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٦).

٨ - إذا لم يفلح هذا الكون في هداية الإنسان وعودته إلى ربه؛ فما تصنع فيه بقية الأحداث! ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥) ﴿وَعَلَّمَكُمُ الْيَوْمَ الْآيَاتِ أَنْ يَقْرَأُوا بِهَا وَأَنْهَرَ وَسْبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٦).

٩ - ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٧) دعوة لمباهلة العقول التائهة عن الهداية!

١٠ - لا تجهد في حصر نعم الله تعالى عليك، سيصيبك الكلال! ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨) سَلْ نفسك أين هي من ساحات هذا الدين؟!



١١ - نعم الله تعالى أكبر وأكثر وأعظم من أن تطولها عقول العادين ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨).

١٢ - لا تنشغل بحساب الكثرة على حساب الكيف ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨) سل نفسك كيف تثري هذه النعم واقعك!

١٣ - أعظم الأسئلة إلحاحاً في واقعك كيف تستخدم هذه النعمة في مساحة دينك، وتثري بها مستقبله الكبير! ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨).

١٤ - ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨) قراها أو سمعها؛ فأدار رأسه متعجباً، ثم عهده بها من تلك اللحظة!

١٥ - ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨) لا تدر رأسك لها متعجباً ثم تولي، انظر كيف تصرفها في طاعتك لربك، وتقوم بحفظها قبل الفوات!

١٦ - لن توفي حق نعم ربك، ولا سبيل لك إلى ذلك، ولا تقلق؛ فالله تعالى سيجبر عشرات هذا الطريق ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

١٧ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ليست أعذاراً لترك مساحات شكر هذه النعم، وإنما دعوة لاستنفاد كل طاقاتك في هذا الطريق.

١٨ - ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (١٩) رسالة تأكيد، لا يفوت على الله تعالى من شأنك شيئاً.

١٩ - إذ السرائر لا تغيب عنه؛ فما بالك بالعلانية! ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (١٩).



٢٠ - كل الذي واريته عن أعين المخلوقين مرصودٌ محفوظٌ، لا يغيب عن علم الله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوبُ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (١٩).

٢١ - لا تجهد في إقفال بابك؛ فالله تعالى يرى كل شيء ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوبُ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (١٩).

٢٢ - أرقام جوالك السرية تسترك عن أعين المخلوقين، ولكنها لا تمنع من نظر الله تعالى إلى أسرارك ودسائسك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوبُ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (١٩).

٢٣ - تخيل نفسك عارياً من الثياب، والله تعالى يرقب تصرفك وحركتك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوبُ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (١٩).

٢٤ - ارقب سيرك، واحفظ عملك، ولا تصنع شيئاً تفر به من رقابة ربك؛ فالله تعالى يرى منك الخلوات، كما يرى العلانية، لا فرق ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوبُ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (١٩).

٢٥ - غاية الضلال أن تهب قلبك ومشاعرك لمخلوقٍ مثلك ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (٢٠).

٢٦ - العقول المؤجرة لا تكاد تفيق من فجائع أحداثها ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (٢٠).

٢٧ - هل تصوّرت يوماً أن مخلوقاً في الأرض يستغيث بميت، تلك حكايات الضلال ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾.



٢٨ - لا تجهدوا أنفسكم في البحث عن الحقيقة، هو إله واحد فإياه فاعبدوا ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحِدٌ ۖ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٢٢﴾.

٢٩ - كم مرة وقف الكبر حائلاً عن الهداية ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحِدٌ ۖ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٢٢﴾.

٣٠ - من سنن الله تعالى أن الأرض المرتفعة لا تصيبها نعم السيول ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحِدٌ ۖ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ وكذلك القلوب!

٣١ - ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ فكيف يهديهم ويدلهم على طرق الحقائق والهدايات؟!

٣٢ - محرومون من كل شيء حتى من أبهج معاني الحياة (الهداية) ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

٣٣ - ما لهم ولهذا الحرمان ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾؟!

٣٤ - مساكين! لا هم الذين بلغوا غاياتهم، ولا هم الذين سلموا في النهايات ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

٣٥ - من لا يحبّه ربه كيف يجد رشداً وتوفيقاً! ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

٣٦ - يترك فتوى أهل العلم، وإذا قيل له في شأن الفتوى قال: هم رجالٌ ونحن رجال ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

٣٧ - يسمعون الحق، ويتنكرون له في الوقت نفسه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أُنْزِلَ رِيبُكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٢٤﴾.



٣٨ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٤) ﴿أَسْلَمَ حِيلَةً لِلْخُلَاصِ، وَأَقْرَبَ عَذْرٍ لِلْفَرَارِ!﴾

٣٩ - من السهولة بمكان أن تلقي عذراً، تخرج به من تكاليف الوحي ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٤) ﴿ولكن قد يعسر عليك الجواب بين يدي الله تعالى.﴾

٤٠ - الزمن تبدل، والفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان، هي الأعذار ذاتها ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٤) ﴿.﴾

٤١ - الذي لا يصلح للتشريع في ذهنك وواقعك هو ذاته قول سابقك، لا فرق ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٤) ﴿.﴾

٤٢ - إذا رأيته يشرّع خلاف الوحي، أو لا يقيم له راية في مكانه؛ فهو يردد قول الأولين بطريقة عملية تطبيقية ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٤) ﴿.﴾

٤٣ - بشارة لكل الواقفين في طريق المهتدين بكلماتهم وأقلامهم ومسؤولياتهم ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (٢٥) ﴿.﴾

٤٤ - يا لشؤمهم يوم القيامة! ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (٢٥) ﴿كل إنسان يأتي مسؤولاً عن خطئه، وهذا يأتي مسؤولاً عن أخطاء العالمين.﴾

٤٥ - قد كانوا في حل من ذلك، إلا أن الشقاء لا نهاية له ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (٢٥) ﴿.﴾

٤٦ - يكتبون في وسائل التواصل الاجتماعي محذرين من الأفكار الضالة، ويحرضون على المصلحين، وكلّما رأوا الهداية تخفق في قلب صالح أقبلوا إليه محذرين، يا ويحهم ليتهم استبقوا شيئاً يقيهم العذاب ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾.

٤٧ - هذا يأتي محملاً بأوزاره، وذلك يأتي محملاً بأقاله وأثقال الضالّين، ما أشأم العلم والجاه والسلطان في حياة هؤلاء! ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾.

٤٨ - يسّر الله تعالى له طريق العلم، وقضى بقيّة عمره يصنّف، ويوالي، ويحارب، ويسبّ، ويشتم ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾.

٤٩ - إلى الذين أقنعوا شاباً واقتادوه في مقتبل عمره إلى السياحة، ثم رموا به هناك في لجج الشهوات ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾.

٥٠ - ما زال به حتى دخن، ثم لازمه حتى تعلم منه تعايطي المخدرات، كم كان في عافية من هذه الحسرات ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾.

٥١ - استقام على طريق الحق، وأقبل على بيوت الله تعالى، ثم لقيه في الطريق وخوفه باسم الإرهاب حتى ترك دينه وهدايته، وعاد ضالّاً في الطريق ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾.

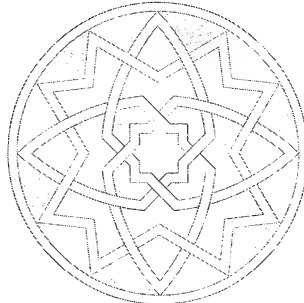


٥٢ - كلّمَا أراد مشهداً من مشاهد الفضيلة وقف له أبوه محدّراً ومانعاً ومعاقباً، ثم ترك الطريق من أصله ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾.

٥٣ - فتح موقعاً، واستلّ قلمه يخوض في العلماء وطلّاب العلم؛ فانحرف كثيرون عن الحق ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾.

٥٤ - لا جديد! كل ما يصنعه الضالّون اليوم هو ذاته ما صنعه الضالّون في الأمس ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٣١﴾ وجرت عليهم النهايات نفسها!

٥٥ - هذه بعض مشاهد الضلال في الختام، وليست كلها ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٣١﴾.



ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ
 كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ؟ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ
 الْيَوْمَ وَالسَّوَاءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
 ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
 خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ * وَقِيلَ
 لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي
 هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ
 ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا
 مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيَهُمُ
 الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
 أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ
 اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
 سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾



التفسير

• ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يفضحهم على رؤوس الخلائق ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ تحاربون وتعادون الله تعالى وحزبه لأجلهم ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من العلماء الربانيين: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ﴾ يوم القيامة ﴿وَالسَّوْءَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢٧) الجاحدين لأمر الله تعالى.

• ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿فَأَلْقَوْا السَّلَامَ﴾ انقادوا واستسلموا وتركوا المشاقَّةَ لله تعالى ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ ينكرون ما اقترفوا ﴿بَلَىٰ﴾ كنتم تعملون السوء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٨) لا يغيب عنه من ذلك شيء.

• ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا مخرج لكم منها ﴿فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٢٩) ما أسوأ مقرهم ومقامهم!

• ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ فجعلوا بينهم وبين عذاب الله تعالى وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ أنزل خيراً ورحمةً وبركةً ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ بتقوى الله تعالى وطاعته ﴿حَسَنَةً﴾ من رزقٍ واسع، وعيشٍ هنيئٍ ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ وما أعد الله تعالى في الدار الآخرة أفضل وأوسع ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣٠) ما أحسنها وأجملها!

• ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾ دائمة ﴿يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ من أنواع النعم ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣١) مثل هذا الجزاء يجزي الله تعالى المتقين.

• ﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ تقبض أرواحهم ﴿طَيِّينَ﴾ مطهَّرين من كل رذيلة ﴿يَقُولُونَ سَلَّمٌ عَلَيْكُمُ﴾ أمان عليكم من الله تعالى ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٢) ادخلوها بسبب أعمالكم.

• ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت، فتنزِع أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بإنزال العذاب عليهم وإهلاكهم ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ظلموا واستكبروا وأعرضوا عن الله تعالى ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣٣) بمخالفتهم لأمر الله تعالى.

• ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ فما أصابهم من العذاب كان بسبب سيئاتهم ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ نزل بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣٤) يسخرون.

التدبِيرُ

١ - هذا هو جزاء الله تعالى للضالِّين ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ؟ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٣٧).

٢ - أسئلة الضلال زيادة في تبكيتهم وعذابهم ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ؟ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٣٧).

٣ - الاعتذارات المتأخرة لا تجدي أصحابها شيئاً ﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٨) فأدخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فليس مثنى المتكبرين (٣٩).



٤ - ما زالت مساحات الاعتذار مبسطة لكثيرين ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٥ - قرأ هذه الآية فأتخذ قراراً بالتوبة من كل أحداث السوء في حياته، وتاب توبة نصوحاً ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٦ - كل أخطائك التي قارفتها يمكنك أن تتوب منها الآن ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٧ - ثب إلى ربك، وجدّد عهدك به، وألق كلّ ماضيك جانباً، واحمده أن يسر لك رؤية هذه الحقائق قبل الفوات ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

٨ - إذا صلحت القلوب استقبلت الوحي بفرح وإجلال ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

٩ - الألسن مغايف القلوب ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

١٠ - المحسنون مع الله تعالى ومع خلقه موعودون في الدنيا ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ

وَلَنَعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ «فِي الْآخِرَةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ»! ^(١) ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾.

١١ - لا تقلقوا على صالح ودّع الأرض، إنما استقبل هذه النهايات ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

١٢ - ماذا لو قرأنا هذا الاحتفاء الكبير على الراحلين في النهايات ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ القلقون من الموت؛ إما أنهم متخلفون عن العمل، أو لم يقرؤوا هذه النهايات بإمعان.

١٣ - كل نجاح إذا لم يكن موصولاً بهذه النهاية فلا قيمة له ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

١٤ - إلى كلٍّ مُعْرَضٍ: هذا بعض ما ينتظركم في مستقبل الأيام ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

١٥ - الجزاء من جنس العمل ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

١٦ - انظر عملك وانتظر جزاءه على الطريق ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

(١) أخرج البخاري رقم (٤٧٧٩) ومسلم رقم (٢٨٢٤) واللفظ للبخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِبَيِّنٍ لَهُمْ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾



التفسير

- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴿ لو أراد ﴿ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ من الآلهة التي نعبدھا ﴿ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ من قبل ﴿ وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ من الأنعام ونحوھا؛ فإنهم كانوا يحرمون بمجرد أهوائهم ﴿ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ فليسوا سابقين إلى هذا الضلال ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿٣٥﴾ فليس على الرسل سوى البلاغ الواضح البين.
- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴿ فما من أمةٍ إلا وقد بعث الله فيها رسولا يدعوها إلى عبادته ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ قوموا بما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم عنه ﴿ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ ابتعدوا عن كل ما عُبد من دون الله تعالى ﴿ فَمِنْهُمْ ﴾ من هذه الأمم التي بعث فيها الرسل ﴿ مَنْ هَدَى اللَّهُ ﴾ إلى الحق ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ وجبت وثبتت عليه الغواية ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾ امشوا في الأرض، وتأملوا فيها معتبرين ﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ كيف كانت نهايتهم.
- ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدًى مِنْهُمْ ﴾ فتجتهد في دعوتهم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ﴾ فإن من أضله الله تعالى لا سبيل إلى هدايته، مهما كانت الأسباب المبدولة في ذلك ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ ﴿٣٧﴾ ينصرونهم من عذاب الله تعالى، ويدفعونه عنهم.
- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ حلفوا أيمانا مغلظة على تكذيب خبر الله تعالى، وأن الله لا يبعث الموتى ﴿ بَلَى وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ إحياء الموتى وحسابهم ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ أمر الله تعالى وقدره في ذلك.



• ﴿لِبَيِّنٍ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ يبعثهم لبيِّن الله الحقِّ فيما كانوا يختلفون
﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ (٣٩) ﴿وَيَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا
على الحق.

• ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ أن يكون ﴿أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤٠)
بأمرنا وقدرتنا.

• ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ تركوا أوطانهم وانتقلوا منها ﴿فِي اللَّهِ﴾ في سبيل الله
تعالى وابتغاء مرضاته ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ من بعد ما وقع عليهم الظلم
والعذاب والفتنة ﴿لَنُؤَيِّسَنَّهُمْ﴾ لننزلنهم ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ من رزقٍ واسعٍ
وعيشٍ هنيئٍ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَكْبَرَ﴾ وما أعد الله لهم يوم القيامة أعظم
بكثير مما رأوا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) ﴿ما عند الله تعالى من الثواب.

• ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أوامر الله تعالى، وعن نواهيهِ، وعلى أقداره ﴿وَعَلَى
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٤٢) يعتمدون في كل أمورهم.



١ - القلوب التي لا تجلُّ الله تعالى لا تأبه بالكذب على جنابه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ
مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٣٥).

٢ - إذا سهلت البدايات لم تستقبح فجائع النهايات ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ
اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ
فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٣٥).

٣ - تاريخ الضلال واحد عبر القرون ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ

دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾

٤ - مهمّة الرسل الضخمة تقف عند حدّ البلاغ ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ وما عدا ذلك فموكول إلى أهله وأصحابه.

٥ - عبادة الله تعالى اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبه الله تعالى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿٣٦﴾

٦ - لا تستقيم عبادة الله تعالى إلا باجتناب الطاغوت أصلاً وفرعاً ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿٣٦﴾

٧ - كثيرٌ من عبادات المسلمين مشوّهة، تحتاج إلى تخلصٍ ممّا يشوبها من أخطاء ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿٣٦﴾

٨ - تشويه العبادة يأتي من خلل في مفهومها، فبعضهم يحصرها بالمسجد، وما بينه وبين الله تعالى، ولا يعدّ العلاقة مع المخلوقين ديناً ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿٣٦﴾

٩ - ويأتي تشويهها من خلال صور الطاغوت الذي يخالطها، في تحكيم العادات، وتقديمها على بعض العبادات ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ



وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۖ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾

١٠ - ويأتي من خلال خلط العبادات، وتشويبها بجملة من المنكرات، التي تعارضها من أصلها، أو في بعض مظاهرها (كأفراح العيد والأعراس أنموذجاً) ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۖ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

١١ - من سنن الله تعالى أن يبقى في الأرض معارضون للحق مناضلون من أجل باطلهم ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۖ﴾ وفئة أخرى تستقبله، وتسعد به، وتعيش له ما بقيت الحياة.

١٢ - قراءة التاريخ منهل عذب لبناء الوعي ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

١٣ - لم يبق لمعتذر حجة، فأحداث الغابرين درس وعبرة ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

١٤ - إذا وجدت في كتاب الله تعالى سيرة غابر هلك، أو أمة تاهت، فأتق إليها بوعيك، واقرأ أسباب تلك النهايات، وخذ منها العبر ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

١٥ - واجب عليك أن تبدل كل ما يُنْجِج مشروع دعوتك، وليس من حقك السؤال عن هدايتهم؛ فذلك أمر الله تعالى ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

١٦ - لا تقلق على قوم، يرون بصائر الحق، ثم لا يهتدون، حسبك دعوتهم للحياة ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٣٧).

١٧ - بذل نبيك ﷺ كل ما يملك لهداية عمه أبي طالب، ولم يبلغ من ذلك أملاً ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٣٧).

١٨ - في دعوتك لولدك، وزوجك، وأهل بيتك، والقيام بدورك في مسجدك وجامع حيّك، ومشروعك، حسبك أن تقدم لهم الهداية في أجمل أثوابها ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٣٧).

١٩ - يمكنك أن تجزّ الحصان إلى نبع الماء، ولكنك لا تملك أن تجبره على شرب الماء ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٣٧).

٢٠ - المنكرون للحقائق، على موعد مع أحداثها الكبار ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٨) لِبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٠).

٢١ - كم من حقيقة ستفضح أصحابها يوماً ما ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾!

٢٢ - الكبير المتعال، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤٠).

٢٣ - هذا الخلق الكبير شاهدٌ على هذه القدرة العظمى ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤٠).

٢٤ - وإن طالت أيام القُرْح؛ فإن غداً لناظره قريب! ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْوَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢).

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْٓ اِلَيْهِمْ فَنَسْتَلُوْا اَهْلَ
الدِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَاَنْزَلْنَا اِلَيْكَ
الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ اِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُوْنَ
﴿٤٤﴾ اَفَاَمِنَ الَّذِيْنَ مَكَرُوْا السَّيِّئَاتِ اَنْ يَّخْسِفَ اِلَيْهِمُ الْاَرْضُ
اَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُوْنَ ﴿٤٥﴾ اَوْ يَأْخُذْهُمْ
فِي تَقْلِيْبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِيْنَ ﴿٤٦﴾ اَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَاِنَّ
رَبَّكُمُ لَرَّوْفٌ رَّحِيْمٌ ﴿٤٧﴾ اَوْلَمْ يَرَوْا اِلَى مَا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ
يَنْفَتِقُوْا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِيْنِ وَالشَّمَالِ سُجَّدًا لِلّٰهِ وَهُمْ دَاخِرُوْنَ
﴿٤٨﴾ وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللّٰهُ لَا تَتَّخِذُوْا اِلٰهِيْنَ
اٰثِنِيْنَ اِنَّمَا هُوَ اِلٰهُ وَّحِدٌ فَاٰتَنِىْ فَاَرْهَبُوْنَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ
وَالْاَرْضِ وَلَهُ الَّذِيْنَ وَاَصْبًا اَفْعٰى اللّٰهُ لَنُقُوْنَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ
نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ ثُمَّ اِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَالِيْهِ تَجْحَرُوْنَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ
اِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ اِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُوْنَ ﴿٥٤﴾

التفسير

- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ ﴿﴾ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿﴾ إِلَّا رِجَالًا ﴿﴾ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَكُونُوا ملائكة ﴿﴾ نُوحَىٰ إِلَيْهِمْ ﴿﴾ بِالشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ ﴿﴾ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴿﴾ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ السَّابِقَةِ فسيخبرونكم أَنَّ الرِّسَالَ كَانُوا بِشَرًّا ﴿﴾ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ خَبَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْرَهُ.
- ﴿بِالْبَيِّنَاتِ ﴿﴾ بِالْحُجَجِ وَالْبِرَاهِينِ ﴿﴾ وَالزُّبُرِ ﴿﴾ الْكِتَابِ ﴿﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴿﴾ الْقُرْآنَ ﴿﴾ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿﴾ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ﴿﴾ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ ﴿٤٤﴾﴾ يَتَأَمَّلُونَ فِي شَرْعِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْرِهِ.
- ﴿أَفَأَمِنَ ﴿﴾ هَلْ عَاشُوا فِي مَأْمَنِ وَاطْمَئْنَانٍ أُولَئِكَ ﴿﴾ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ ﴿﴾ فَسَعَوْا بِالْفُسَادِ، وَلَمْ يَأْتَمِرُوا بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿﴾ أَنْ يَخْصِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ﴿﴾ يَغِيْبُهُمْ فِيهَا ﴿﴾ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ وَهُمْ فِي حَالِ غَفْلَةٍ.
- ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ ﴿﴾ وَهُمْ مَشْغُولُونَ بِأَسْفَارِهِمْ وَتِجَارَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ﴿﴾ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بِفَائِتِينَ وَلَا مَمْتَنِينَ مِنْ ذَلِكَ.
- ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴿﴾ وَهُمْ فِي حَالِ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ ﴿﴾ فَإِنَّ رَبَّكُمُ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ مَوْصُوفٌ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ لَا يَعَاجِلُ النَّاسَ بِالْعُقُوبَةِ.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴿﴾ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا وَيَتَأَمَّلُوا فِيَمَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿﴾ يَنْفَقُوا ظِلَالُهُ ﴿﴾ تَمِيلُ ظِلَالُهَا ﴿﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ﴿﴾ ظِلَالُهَا يَمِينًا وَشِمَالًا تَبْعًا لِحَرَكَةِ الشَّمْسِ ﴿﴾ سُجَّدًا لِلَّهِ ﴿﴾ أَيُّ هَذِهِ الْأَشْجَارِ سَاجِدَةٌ لِرَبِّهَا خَاضِعَةٌ لَهُ ﴿﴾ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ذَلِيلُونَ خَاضِعُونَ لِلَّهِ.
- ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ ﴿﴾ فَكُلُّ مَا فِي



الكون ساجدٌ وخاضعٌ لله تعالى ﴿وَأَلْمَلَيْكَتُ﴾ كذلك سُجودٌ لله تعالى ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ عن عبادته.

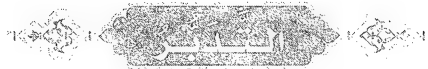
• ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْفِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ ويفعلون كل ما أمرهم الله تعالى به.

• ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَخَّرُوا إِلَهَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ لا شريك له ﴿فَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾ ﴿٥١﴾ خافوني ولا تخافوا سواي.

• ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وتدييراً ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ ثابتاً دائماً لا يزول ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تُنْفِقُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ فتقومون بأمره، وتنتهون عن نهيه.

• ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نَّعْمَةٍ﴾ دنيوية أو دينية ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ فهو المتفضل بها عليكم ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ من خوف أو مرض ﴿فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ تضجّون إليه بالدعاء والتضرّع.

• ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ﴾ أزاله ورفعهُ ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ يجعلون له شريكاً في العبادة.



١ - اختيار الطريق الأبلغ لوصول الرسالة، مطلبٌ ملحٌ في نجاح الدعوة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ رجال مختارون بعناية ومزكّون لبلاغ هذا الدين!

٢ - القدوة الواقعية الأقرب مكاناً وزماناً أبلغ في إيصال المقصود من القدوة البعيدة زماناً ومكاناً ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ لم يبعث الله تعالى ملائكة لتبليغ دينه، وإنما بعث بشراً.

٣ - كُلَّمَا كَانَتْ الْأَمْثَلَةُ الْمَضْرُوبَةُ فِي الْكَلِمَةِ، وَالْمَحَاضِرَةُ، وَالْخُطْبَةُ، أَقْرَبَ لَوَاقِعِ السَّمِيعِ كَانَتْ أَكْثَرَ أَثَرًا، وَأَمْتَنَ وَاقِعًا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣).

٤ - احْتِرَامُ التَّخْصِصِ ضَرُورَةٌ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) أَهْلُ الذِّكْرِ كُلٌّ فِيمَا يَخْصُهُ؛ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْعِلْمِ، وَالطَّبِيبُ فِي الطَّبِّ، وَالْمُهَنْدِسُ فِي الْهَنْدَسَةِ، وَالْفَلَّاحُ فِي الزَّرَاعَةِ، وَهَكَذَا.

٥ - الْعَاطِفَةُ الْجِيَاشَةُ وَالْجَمَالُ الْمَثِيرُ (المرأة) لَا تَصْلَحُ لِحَمْلِ الرَايَةِ الْعَلْنِيَّةِ، إِلَّا فِي أَوْسَاطِهَا مِنَ النِّسَاءِ، أَوْ فِي بَيْتِهَا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣).

٦ - كَلِمَةٌ (لَا أَدْرِي) فِيمَا لَا تَحْسِنُهُ رِصَانَةُ عَقْلِ، وَعِظْمَةُ وَعْيٍ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣).

٧ - أَقْبَحُ الصُّوَرِ تِلْكَ الَّتِي تَرَى فِيهَا أَصْحَابُهَا، يَتَسَابِقُونَ لِكُلِّ سَوْأَلٍ، وَيُشَارِكُونَ فِي أَيِّ شَيْءٍ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣).

٨ - إِغَاثَةُ النَّاسِ بِالْعِلْمِ، وَفِكَاحُهُمْ مِنْ أَسْرِ الْجَهْلِ، مَهْمَةٌ الْوَحْيِ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾ (٤٤).

٩ - حَاجَةُ النَّاسِ لِلْوَحْيِ كَحَاجَتِهِمْ لِلْهَوَاءِ، لَا فَرْقَ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾ (٤٤).

١٠ - كُلُّ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ تَتَضَاعَلُ أَمَامَ مَبَاهِجِ الْوَحْيِ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُّوْنَ﴾ (٤٤).



١١ - الغفلة تصنع الطامات ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥) أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَغْلِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾.

١٢ - ما لهم ولمكر الله تعالى! ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥) أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَغْلِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ لا يأمن مكر الله تعالى إلا جاهل.

١٣ - بينه وبين الله تعالى خبايا سيئة، ومواقف مخجلة، وخلوات فاضحة، وما زال يتمادى ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥) أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَغْلِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾.

١٤ - إذا قرأت هذه الآيات ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥) أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَغْلِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ فعد إلى قلبك، وأعد شريط ذكرياتك، وتأمل في تاريخك، وفك نفسك من مدلهّمات الزمان، وقوارع الأحداث.

١٥ - حتى ظل الأشجار يَتَعَبَّدُ للهِ تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوْا ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (٤٨) فما لقلوب كثيرين، ما زالت متكبرة متجبرة!

١٦ - جمادات تدرك حقَّ الله تعالى، وتسجد لربها إجلالاً وإعظاماً، فمتى يفتق الإنسان؟ ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾.

١٧ - دعوة لإقامة التوحيد ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَخْذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْقُونَ ٥٢﴾.

١٨ - القلوب التي لم تستقم على منهج الله تعالى، لم تتمكن منها بعد عقيدة التوحيد ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَخْذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْقُونَ ٥٢﴾.

١٩ - ما أشدَّ حاجة الناس لإعادة درس التوحيد من جديد ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَخْذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْقُونَ ٥٢﴾.

٢٠ - لا أعني كلمة التوحيد المجردة (لا إله إلا الله)، وإنما أعني معانيها التي تجري لأحداثها الحياة ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَخْذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْقُونَ ٥٢﴾.

٢١ - التوحيد أن تحب ربك، وتُعظمه للدرجة التي تستهين من أجله كل شيء ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَخْذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْقُونَ ٥٢﴾.

٢٢ - التوحيد أن تُعظم ربك، فلا يبقى في قلبك سواه ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَخْذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْقُونَ ٥٢﴾.

٢٣ - التوحيد «أن تغلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن الأمة لو اجتمعوا على أن يصيبوك بسوء لم يصيبوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء



قد كتبه الله تعالى لك، رُفعت الأقلام، وجُفَّت الصحف»^(١). ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُ أَلْفِينَ أَتْنِينَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارَهُبُونَ﴾ ٥١ ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تُنْفُونَ﴾ ٥٢ ﴿.

٢٤ - إذا حلت برحابك نعمة، فهي من عطايا ربك، وأفضاله عليك ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْثَرُونَ﴾ ٥٣ ﴿.

٢٥ - نعيم قلبك، وطمأنينة نفسك، وخفتك من ثقل الديون، واستقرار بيتك، ووجود مشروع في حياتك، وإقبال قلبك على الخيرات، وموارد الطاعات، بعض معاني توفيق الله تعالى لك ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾.

٢٦ - إياك أن يتطرق إلى قلبك ومشاعرك ونفسك، أن ما فتح الله تعالى به عليك، ناتج عن قدراتك، ومهاراتك، وإمكاناتك الشخصية، فتلك دعاوى الضالين ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾.

٢٧ - شرح الله تعالى صدرك، وفتح قلبك، وهياً طريقك، وألهمك، وصرف عنك عقبات التوفيق، فلقيت ما تتمناه، من أنت لولا الله! ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾.

٢٨ - هل رأيتهم! يُهَرَّغُونَ إلى الله تعالى وقت الضراء، ثم إذا أغاثهم عادوا للضلال ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْثَرُونَ﴾ ٥٣ ﴿ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ٥٤ ﴿.

٢٩ - تنتابه العوارض والظروف والمشكلات، فيقبل على ربه، ثم يتعافى فيعود للإعراض ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْثَرُونَ﴾ ٥٣ ﴿ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ٥٤ ﴿.

(١) انظر حديث ابن عباس في مسند الإمام أحمد برقم (٤٠٩/٤) وطره: «يا غلام إنني أعلمك



لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
 لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَسْتُ لَكُمْ عَمَّا كُنْتُمْ
 تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ
 ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
 ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ
 أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُوَاعِظُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ
 يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ
 سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ
 وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكِذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ
 لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ
 قَبْلِكَ فَرِزْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
 الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾



التفسير

- ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آٰنٰهُمْ﴾ يجحدون ما آتيناهم من النعمة ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ في دنياكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ما تفعلون يوم القيامة.
- ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ للآلهة التي لا تعلم شيئاً ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يتقربون إليهم بالأموال، من ذبح، وقرابين، ونحو ذلك ﴿تَاللَّهِ لَلشُّكْلِ﴾ أيها المشركون سؤال توبيخ وتقريع ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ من الكذب على الله تعالى.
- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ فيقولون: الملائكة بنات الله تعالى ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ تنزهه وتعالى عن ذلك ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور.
- ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾ مولودة ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا﴾ متغيّراً من سوء ما أخبر به ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ حزين على ذلك.
- ﴿يَنَوَّرٰى مِنَ الْقَوْمِ﴾ يستتر عنهم ﴿مِنْ سُوءٍ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ سوء ما يلحقه من العار والفضيحة بذلك ﴿أَيْمُسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾ يبقيا حياة مع ما يلقاه من إهانة وذلل من قومه ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ يدفنها في التراب وهي حياة ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ما أسوأ حكمهم!
- ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ المثل الناقص الذميم من ذلك كله ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ صفة الكمال والعلو في كل شيء ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ لا غالب لأمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه.



• ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ ما يقع منهم من ظلم لأنفسهم ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ لهلكوا جميعاً، لهلك العاصون بسبب معصيتهم، والدواب بسبب ما يحلُّ عليهم من شؤم المعصية ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ﴾ عن تعجيل العقوبة بهم ﴿إِلَّا أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وهو أجل كلِّ إنسانٍ كما مضى به القدر ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ المقدَّر في الكتاب ﴿لَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً﴾ عن وقته ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٦١) عن زمنه.

• ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ من البنات ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ أن الله تعالى البنات ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ الصفة الحسنة، ومن ذلك أنَّ لهم الذكور، والله الإناث ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ يوم القيامة ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ (٦٢) متروكون منسيون في النار.

• ﴿ثَالِثًا لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أرسلنا لهم رسلاً يدعونهم إلى الحق ﴿فَرَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ مع سوتها وقبحها ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ في الدنيا أطاعوه واتبعوه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٣) يوم القيامة.

• ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من التوحيد والجزاء والحساب ﴿وَهُدًى﴾ لقارئة وتاليه ﴿وَرَحْمَةً﴾ بما يدهه إليه من الحق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦٤) لكلِّ من آمن بالله تعالى.

التدبِير

١ - الكفر بنعم الله تعالى أسوأ ما يواجه الإنسان في حياته ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٥٥).



٢ - إذا عطل الإنسان عقله سقط في مستنقع الضلال ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ تَاللَّهِ لَشَيْءٌ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾.

٣ - الجهل يصنع الخرافات ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ تَاللَّهِ لَشَيْءٌ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾.

٤ - الجاهلية تُلقي بظلالها على المجتمعات ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿٥٨﴾ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾.

٥ - حين تصبح الجاهلية عادةً تتحكّم في عقول الناس، وتجري بهم في ساحات الضلال ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿٥٨﴾ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾.

٦ - التي أنجبته امرأة، وزوجته التي يعيش معها ويعاشرها امرأة، ثم يضيق في الليلة التي تولد له امرأة! هكذا تصنع الجاهلية واقعها ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿٥٨﴾ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾.

٧ - كل قضية لا تُحاكم للشرعية، تجدها محمّلة بالمتناقضات ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿٥٨﴾ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾.

٨ - ما زالت بعض هذه الجاهلية باسطة واقعها في نفوس بعض الرجال ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿٥٨﴾ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾.



٩ - إذا جلس في مجلس رجال وتحدث عن المرأة قال: أعزكم الله! جاهلية في ثوب قدر وشرف ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٥٨) يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾.

١٠ - تقدم بسجل الأسرة إلى حملة حج من أجل إخراج التصريح، بعد أن شطب اسم زوجه وبناته، وكل الإناث، بعض من إرث تلك الجاهلية ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٥٨) يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾.

١١ - لا تستغرب، إذا لم تجدها أخذت إرثها، من أرض زراعية حتى اليوم؛ لأنها تعيش في الجاهلية ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٥٨) يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾.

١٢ - الحاجة للولد والزوجة لا تصلح أمثالا لله تعالى، لكنه الجهل حين يضرب بأطنابه في واقع الأحياء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦٠).

١٣ - كم من ذنب استحق أهله العقوبة العاجلة، ولكن سنن الله تعالى تقتضي التأخير ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٦١).

١٤ - لو أن الله تعالى أخذ الناس بذنوبهم، لهلكوا، ولم يبق منهم أحد في الكون ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٦١).



١٥ - لا تظننَّ الله تعالى آخرَ عذابه عن أحدٍ لكرامته، وإنما لأن سننه تقتضي ذلك التأخير ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَأْبَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١١).

١٦ - الجهلُ يخلقُ العُتْثَ إلى أقصى مدى ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنْ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ (١٢).

١٧ - الذين يتقولون في شريعة الله تعالى كما يشاؤون، عليهم أن ينتظروا هذه النهايات ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنْ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ (١٣).

١٨ - كل الذين تاهوا في الطريق، أغرتهم الزينة العارضة، التي صنعها لهم الشيطان ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٣).

١٩ - لا تستغرب حين تجدهم غارقين في قعر الشهوات والشبهات ولا يرون أنهم صنعوا منكراً، تلك الزينة التي ألبس بها الشيطان ذلك الطريق ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٣).

٢٠ - لو لم تُلبس المنكرات بذلك الوهم (الزينة)، لاستقبح العقلاء ما يصنعون ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٣).

٢١ - حين تجد كبيراً في ضحالة الفوضى، فتلك صناعة الشيطان بامتياز ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٣).

٢٢ - جعله الله تعالى رأساً في وظيفة، وإماماً في مسجد، وكبيراً في موقع، ثم تحوّل إلى عقبة في طريق دينه ومنهجه ورسالته ﴿تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَٰلِيَهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٣).

٢٣ - على رحاب الوحي تجتمع الكلمة ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي أَخْلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦٤).

٢٤ - القرآن كفيل بحلّ الخلافات، وجمع الكلمة، وصلاح القلوب ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي أَخْلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦٤).

٢٥ - المتربي على القرآن، والمتدبر لآياته، ستتقلّص لديه دوائر النزاع والخلاف إلى النهاية ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي أَخْلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦٤).

٢٦ - لو أن الأسرة والمجتمع والأمة، جعلت هذا القرآن منهجاً لحلّ خلافاتها لسعدت في الدارين ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي أَخْلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦٤).

٢٧ - كم من معين لا ينضب في هذا القرآن لو تدبّرناه! ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي أَخْلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦٤).



وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسْفِكُكُمْ مِمَّا
فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾
وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ
أَنِ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي
مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَنْفَكِرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَنْوَفِّكُمْ ۖ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ
الْعَمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ
فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي
رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ
اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾



التفسير

- ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿﴾ ماء الغيث ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿﴾ بما نبت على ظهرها من نبات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿﴾ عظة وعبرة ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ كلام الله تعالى، ويفهمون ما فيه، من العبر والعظات.
- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ ﴿﴾ من الإبل والبقر والغنم ونحوها، مما سخرها الله تعالى ﴿لَعِبْرَةً ﴿﴾ لعظة ﴿تُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ، مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ نسقيكم من ضروعها لبناً خارجاً من بين فضلات الجسد ودمه، خالصاً نقياً لذيداً للشاربين.
- ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ ﴿﴾ ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب ﴿لَتَخَذُونَ مِنْهُ ﴿﴾ من ذلك الثمر ﴿سَكْرًا ﴿﴾ ما يسكر من الخمر، وهذا الامتنان كان قبل التحريم، والإشارة هنا لقدرة الله تعالى الظاهرة في إخراجهِ من ذلك ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا ﴿﴾ وهو جميع ما يؤكل، ويتنعم به منها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿﴾ لعبرة وعظة ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ قدرة الله تعالى وآثار حكمته.
- ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴿﴾ ألهمه وقذف في فطرته ﴿أَنْ اتَّخِذْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴿﴾ تستقرين فيها ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ ﴿﴾ تتخذ بيوتاً كذلك ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨﴾﴾ وتتخذ بيوتاً فيما بينه الناس ويسقفونه.
- ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿﴾ من كل ما اشتهت ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ﴿﴾ الطرق التي تيسر لك مبتغاك ﴿ذُلًّا ﴿﴾ مذلةً ميسرةً لوصولها ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ ﴿﴾ وهو العسل ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، ﴿﴾ منه ما هو أحمر، ومنه ما هو أسود، وغير ذلك من الألوان على حسب ما تأكل ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴿﴾ من الأمراض التي تعرض لهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿﴾ لعظة وعبرة ﴿لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ في آيات الله تعالى، وفي مخلوقاته.



• ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ على غير مثال ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ بعد استكمال آجالكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أضعفه وأواهه، وهو وقت الهرم ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ فلا يعلم ممّا يعلمه شيئاً ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ لا يفوته من علم الخلائق شيء ﴿قَدِيرٌ﴾ ﴿٧٠﴾ على كل شيء.

• ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فجعل منكم الغني والفقير، والمالك والمملوك، والقوي والضعيف ﴿فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا﴾ بسعة الرزق ﴿بِرَأْيِ رِزْقِهِمْ﴾ بباذلي رزقهم ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ على الممالك من هؤلاء، والفقراء منهم ﴿فَهُمْ فِيهِ﴾ في الرزق ﴿سَوَاءٌ﴾ متساوون من حيث أنه فضل الله تعالى ونعمته ﴿أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿٧١﴾ فلا يعطونها أهلها، ولا يقيمون فيها أمر الله تعالى، ومعنى الآية: إذا كنتم أنتم أيها الأغنياء لا ترضون مساواة عبيدكم وممالككم بكم في الأموال؛ فكيف يرضى الله تعالى بمساواة عبيده له في الألوهية ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ تسكنون إليها ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْوَابِكُمْ بَنِينَ﴾ أولاداً ﴿وَحَفَدَةً﴾ وأولاد الأولاد ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ تتنعمون بها متى تشاؤون ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدّقون أنّ مع الله تعالى الهة تُعبد ﴿وَبِعِزَّةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ يجحدون.

التدبر

١ - هذه الأرض الموات المجدبة، التي تتحرك للغيث، وتتناغم معه، وتحيا من جديد، آية من آيات الله تعالى، تحتاج إلى تأمل ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٦٥﴾.

٢ - إذا جاء الربيع، لا تنشغل بخضرة الأشجار، وجمال الأرض عن القدرة التي



نقلت أرضاً مجدبة إلى ساحات ربيع! ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٦٥) يا الله ما أعظمك!

٣ - أرايت ذلك اللبن الذي تشربه! أخرجته الله تعالى من بين الفرت والدم، وجعله في النهاية خالصاً سائغاً للشاربين، يا الله ما أعظمك! ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّظِيفُكُمْ بِمَا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (٦٦).

٤ - هل رأيت ذلك الثمر، وتلك الأرزاق، التي يخرجها ذلك الشجر! تلك بعض صنائع الله تعالى فيها ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٦٧) يا الله ما أعظمك!

٥ - إذا أراد الله تعالى شيئاً أجرى له سبباً ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنْ لِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾ (٦٩).

٦ - من ثمرات ذلك الإلهام هذه المنحة، التي يلقي فيها الناس شفاء أدوائهم وأسقامهم كل حين ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنْ لِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾ (٦٩).

٧ - كم مرة شربت عسلاً، وألقيت بقلبك، وفكرك، ومشاعرك في مساحات قدرة الله تعالى، وحكمته في هذا الشأن!! ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنْ لِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾ (٦٩).

٨ - ليس مهماً كم عمرك الآن! ولا متى ستموت، كهلاً أو شاباً! المهم تاريخك



الذي سيبقي لك الذكريات ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَنْفِقْكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَىٰ أَزْدِلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

٩- رحل سيبويه وهو ابن الثلاثين، وخلف تراثاً طار بذكره في العالمين ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَنْفِقْكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَىٰ أَزْدِلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

١٠- وصنع النووي - وهو ابن السادسة والأربعين - تراثاً يبعث ذكره في المعاهد والجامعات والقنوات وبيوت الله تعالى كل حين ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَنْفِقْكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَىٰ أَزْدِلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

١١- وبقي بعضهم ما يزيد على التسعين، ولم يتمكن من إبقاء اسمه لجيله فضلاً عن بقية الأجيال ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَنْفِقْكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَىٰ أَزْدِلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾.

١٢- لا تغبط غنياً على ما أعطاه الله تعالى، تأمل فيما وهبك الله تعالى، ثم امض به في توسيع دينك، وأترك في العالمين ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَىٰ رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾.

١٣- الفقر ليس عيباً، والمال ليس كل شيء، وما أعطى الله تعالى الإنسان أثمن بكثير من زخارف المال ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَىٰ رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾.

١٤- الأزواج والبنون من نعم الله تعالى على صاحبها، وهي أحوج ما تكون إلى شكر وعرفان ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِزَّةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾.



وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ
اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَبْكُمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ
هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ
أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ
لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾
أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾



التفسير

• ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي هؤلاء المشركون ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ أي فكيف يعبدون من لا يملك أن يأتي لهم بشيء من الأرزاق من السموات، ولا من الأرض ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٧٣) ﴿لَا قُدْرَةَ لَهُمْ إِلَى مَدِّهِمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الرِّزْقِ﴾ فلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ التي تتضمن التسوية بينه وبين عباده ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤) وفي ضرب الأمثال له جهلٌ به تعالى.

• ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ عاجز عن التصرف ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ وآخر حرّاً فتحنا عليه الأرزاق، وأعطيناه منها ما يشاء ﴿فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ﴾ ممّا أعطيناه كلّ وقت ﴿سِرًّا﴾ بينه وبين الله ﴿وَجَهْرًا﴾ علانية ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ لا يستونون، وإذا كان كذلك، فكيف يستوي المخلوق العبد، الذي لا مُلك له ولا قدرة بالربّ الخالق المالك، القادر على كلّ شيء ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي الحمد كلّهُ له تعالى على كماله وعظمته ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) ما يستحق الله تعالى.

• ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ لا يسمع ولا ينطق ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لعدم فهمه وعدم قدرته ﴿وَهُوَ كُلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ لا يستطيع أن ينفع نفسه ولا نفع غيره ﴿أَيَنَّمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ لعجزه عن التصرف ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ من كان وصفه كذلك ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ يقوم بأمر الناس بالعدل ﴿وَهُوَ﴾ في نفسه ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٦) طريق معتدل في سيرته كلها، وكذلك الله تعالى، لا يمكن أن يقارن بهذه المعبودات الكالة عن نفع أنفسها، وهو قادر على كل شيء.

• ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا يعزب عنه منه شيء ﴿وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ﴾ حدوثها وقيامها ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ في وقوعها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧٧) لا يعجزه شيء.

• ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ أطفالاً لا تدركون شيئاً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) نعم الله تعالى عليكم، فتجعلون هذه النعمة فيما يحب.

• ﴿الْعَالِمُونَ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ تطير حيث شاءت ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ لكمال قدرته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التسخير للطير ﴿لَّآيَاتٍ﴾ عبر وعظات ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩) بالله تعالى.

التدبير

١ - تأجير العقول مفضٍ بأصحابه إلى نهايات السوء ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٧٣) ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤) أجروا عقولهم؛ فعبدوا من لا يستحق العباداة.

٢ - حين لا يبقى للعقل قيمة في واقع صاحبه ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٧٣) ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤) الأصل أن يكون العقل حاكماً على ما يراه، ففرطوا في أعظم ما أعطاهم الله تعالى، وعطلوا أهم وظائفه على الإطلاق.

٣ - نزال العقل بالحجج والأفكار، ضرورةً لاجتناب الأفكار العالقة به دون دليل ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ



يُفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾.

٤ - رحمة الله تعالى بعباده، ينتزل معهم، ويناقش أفكارهم، ويبين لهم الطريق
بأوضح الأمثلة، وأقربها هداية للعقل ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى
شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا
أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ
هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾.﴾

٥ - عناية القرآن ببناء الأمثلة والأفكار، التي تبني منظومة التفكير لدى صاحبها،
وتجتث من خلاله الأفكار الوهمية ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى
شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا
أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ
هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾.﴾

٦ - علم الله تعالى وكمال قدرته، فما من شيء يجري في ملكوته إلا بإذنه ﴿وَلِلَّهِ
غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾.﴾

٧ - أياً كان عملك، فلا يغيب على الله تعالى منه شيء ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾.﴾



٨ - يجري علم الله تعالى في أخصّ الأشياء لديك، وأدقّها في حياتك، فلا تستهيننّ بصغيرٍ يأتي عند الله تعالى يوم القيامة عظيماً ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٧٧).

٩ - كمال منّة الله تعالى على الإنسان، أن خلقه وزوّده بوسائل المعرفة التي تمكّنه من العيش في هذه الحياة كما يريد ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨).

١٠ - كل تخلف وقصور يصيب الإنسان فهو من ذاته ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨).

١١ - بناء ذاتك، والعناية بها، ودفعها إلى آمالك وقفّ على جهدك، واستثمار وسائل المعرفة في الوصول بها إلى غاياتها الكبار ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨).

١٢ - أعظم المواقف حسرةً حين يمنحك الله تعالى ما به نجاتك، ثم لا تصنع به شيئاً ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨).

١٣ - استقبلوا هذه النعم، ثم ذهبوا يعبثون بها كيفما شاءوا! ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨).

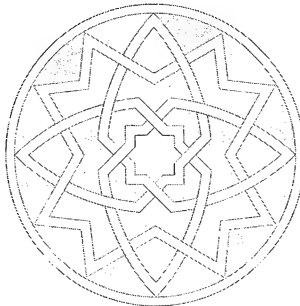


١٤ - يا لها من حسرة حينما لا تتمكّن النعم من هدايتك للطريق! ﴿وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨).

١٥ - إذا رأيت طيراً محلّقاً في السماء، فتأمل كيف أعطاه الله تعالى هذه القدرات! ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩).

١٦ - كثيرة هي المشاهد الدالة على قدرة الله تعالى، منها مشهد الطير المحلّق في السماء بجناحيه ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩) وإيم الله إنّ مشهد الطير في السماء، يبعث على الدهشة، لو كانت لنا عقول!

١٧ - أضرب ما على الإنسان تحوّل كثير من مشاهد الإعجاز عنده إلى مشاهد عادية، لا تستحثّ عقله على التفكير ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩).



وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ
الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ
وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَى حِينٍ
﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ
مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ
الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْنَبُونَ
﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنْظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَهُمْ
قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ
فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقُوا إِلَى
اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾



التفسير

• ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ تقيمون فيها وتجدون فيها الراحة والاستقرار ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ كالخيام ونحوها ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ تخفُّ عليكم ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ انتقالكم من موضع إلى موضع ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ استقراركم ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا﴾ أصواف الغنم ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ أوبار الإبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ أشعار المعز ﴿أَثْنًا﴾ لبيوتكم وأكسية وأغطية ﴿وَمَتْنًا﴾ تتمتعون به من حوائج بيوتكم؛ كأدوات الطعام والشراب ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٨٠) إلى زمن نهايتكم منها، أو انقضاء صلاحها.

• ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ ظللاً تستظلُّون به من حرِّ الشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكَنَّا﴾ أسراباً ومغارات وكهوفاً، تحتمون بها من الحرِّ والبرد والمطر ﴿وَجَعَلَ لَكُم سَرَبِيلَ﴾ ثياباً ﴿تَقِيَكُمُ الْحَرَّ﴾ تمنعكم من الحرِّ ﴿وَسَرَبِيلَ﴾ ودروعاً ﴿تَقِيَكُم بِأَسْكُمُ﴾ تقيكم وقت الحروب ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ بهذه النعم ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْلِمُونَ﴾ (٨١) تخضعون لعظمته، وتنفادون لأمره.

• ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فلم يخضعوا لأمر الله تعالى ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (٨٢) إبلاغهم ما أمرك الله تعالى بإبلاغه بلاغاً بيّناً واضحاً.

• ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ معرفة مجرّدة عن الفعل ﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ بما يفعلون من أفعال ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٣) الجاحدون لنعم الله تعالى.



• ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ رسولها الذي أُرسل إليها؛ فيشهد عليها بما فعلت ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٨٤) وإن طلبوا الرجوع للدنيا، ليستدركوا ما فات منهم، لم يجابوا إلى ذلك.

• ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٨٥) لا يمهلون بالتأخير.

• ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ من الآلهة التي كانوا يعبدونها ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ﴾ على سبيل التبرؤ منهم، وإحالة الذنب عليهم ﴿فَالْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ ردُّوا عليهم قولهم ﴿إِنَّكُمْ لَكَذِبُونَ﴾ (٨٦) فلسنا سبب ما أنتم فيه من العذاب.

• ﴿وَالْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾ استسلموا لله تعالى، وخضعوا له، وسلِّموا له كلَّ شيء ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ غاب وضاع ﴿مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾ (٨٧) من الكذب على الله تعالى.

التدبير

١ - كل ما تراه في هذا الكون؛ فهو من تسخير الله تعالى لهذا الإنسان ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِثْلًا إِلَى حِينٍ﴾ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (٨١).



٢ - هذه المشاهد من أجلك؛ فما أنت صانع في غاياتها الكبار؟! ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

٣ - إذا لم تدلّك نعم الله تعالى على ربك، ولم تقبل بك على عبادته؛ فلا مفروح بها في واقعك ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

٤ - سل نفسك في كل مشهد تراه في الكون؛ لِمَ خلقه الله تعالى! وكيف نستثمر ذلك في العون على مرضيه ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

٥ - منكوبون أولئك الذين لم تدلّهم نعم الله تعالى على طريق الهداية ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (٨٢).

٦ - ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (٨٢) دعهم وقراراتهم لأنفسهم في النهايات!

٧ - يستحق المتولّون عن إدراك ما الله تعالى عليهم من حقوق والقيام بها هذا الإعراض من الله تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (٨٢).

٨ - أعظم مهمّة للدعاة والمصلحين إبلاغ دين الله تعالى في أجمل معانيه فحسب ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (٨٢).

٩ - الإعراض عن الله تعالى لا نهاية له ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٣).

١٠ - كم مرّة كانت النعم من حجج الله تعالى على أصحابها ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٣).

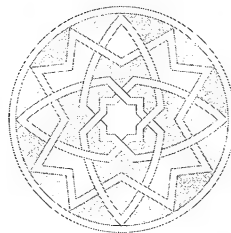
١١ - من إنكار نعم الله تعالى ألا تستعمل في مرضاته وتمكين دينه ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٣) حتى لو كان صاحبها لا يفتر لسانه عن شكرها.

١٢ - ثَمَّةٌ يَوْمٌ يُسْتَنْطَقُ الرِّسْلُ وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَى تَارِيخٍ أَمَمِهِمْ ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْنَبُونَ ﴾ (٨٤) ﴿ وَكَمْ مِنْ مَشْهُودٍ لَهُ وَمَشْهُودٍ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَاتِ !!

١٣ - تَأَمَّلْ نَفْسَكَ فِي ضَجِيجِ ذَلِكَ الْجَمْعِ، وَانْتَظِرْ شَهَادَةَ رَسُولِكَ ﷺ عَلَى تَارِيخِكَ ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْنَبُونَ ﴾ (٨٤) .

١٤ - كَمْ مِنْ أَيَّامٍ فِي مُسْتَقْبَلِ صَاحِبِهَا لَا يَنْفَعُ فِيهَا الْإِسْتِعْتَابُ! ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ (٨٥) ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٨٦) ﴿ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴾ (٨٧) .

١٥ - مِنْ جَمَالِ الْقُرْآنِ أَنَّ مُسْتَقْبَلَ كُلِّهِ مُشْكُوفٌ لَا يَحْتَاجُ سِوَى الْعَمَلِ ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴾ (٨٥) ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٨٦) ﴿ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴾ (٨٧) .



الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
 الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ
 أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى
 هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
 وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
 وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
 ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَقْضُوا الْآيْمَانَ
 بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ
 اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ
 غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخَلًا
 بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ
 اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٩٢﴾
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ
 يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾



التفسير

• ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في أنفسهم ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وصدّوا غيرهم ﴿زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ عذاب الصدّ فوق عذاب الكفر ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسِدُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ بسبب إفسادهم وصدّهم لغيرهم.

• ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ رسولهم يشهد عليهم بما فعلوا من الإيمان أو الكفر ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ على أمتك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ مبيناً وموضحاً لكل شيء يريد قارئه ﴿وَهَدَى﴾ يهدي إلى الحق ﴿وَرَحْمَةً﴾ بما فيه من البيان لطريق الحق ﴿وَبَشِّرِ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ مبشراً لهم بما أعد الله تعالى لهم من الجزاء.

• ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ بأن يؤدي الإنسان حقوق ربه وحقوق الخلق، وألاً يفضل أحداً على أحد في الحكم، إلّا بحق يوجب ذلك التفضيل ﴿وَالْإِحْسَانَ﴾ في عبادة الله تعالى ومع خلقه ﴿وَإِيتَانِي ذِي الْقُرْبَى﴾ إعطائهم ما يحتاجون ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ وهي كلُّ قبيحٍ من الأقوال والأفعال ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ كل ما أنكرته العقول السليمة ممّا جاء النهي عنه والإنكار فيه من الشرع ﴿وَالْبَغْيِ﴾ الكبر والظلم ﴿يَعْظُمُكُمْ﴾ بما بيّنه لكم من الأمر والنهي في هذه الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ ما يعظّمكم به فتتّعظّون وتعتبرون.

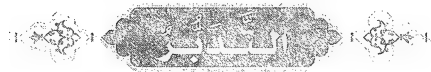
• ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ الوفاء بما بين العبد وربّه، أو بين العبد والخلق ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ بعد عقدها وتغليظها ﴿وَقَدْ



جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْفِيًّا ﴿٩١﴾ شَهِيدًا بِمَا عَقَدْتُمْ مِنَ الْإِيمَانِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ لا يَغِيبُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

• ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ في نقضكم للعهود والمواثيق ﴿كَأَلَّتِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا﴾ كالتّي تغزل غزلاً من الصوف أو القطن، فإذا استوثق وتمّ، عادت فنقضته من بعد إحكامه ﴿نَتَخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ مكرًا وخديعةً وغشاً ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ﴾ أكثر وأقوى ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ أخرى أضعف، والمعنى: لا ينبغي لكم أن تعقدوا أيمانكم، ثم إن كان المعقود له قوياً أتمتم له الأيمان، وإن كان ضعيفاً نقضتم أيمانه غير مبالين ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ بالوفاء بالعهود والمواثيق ﴿وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ فيجازي كل إنسان منكم بعمله.

• ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ كلّها على الحق والهدى ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ بعدله ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بفضله ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ يوم القيامة.



١ - الجزء من جنس العمل ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ ﴿٨٨﴾.

٢ - ثمة فئات عاشت في الحرمان مرتين، مرة حين رفضت الحق، وأخرى حين تصدّت له في عرض الطريق ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ ﴿٨٨﴾.

٣ - ماذا لو استطاع الإنسان أن يعيش في طريق الحياة مَرَّتَيْنِ، مرة حين آمن بربه، وأخرى حين مضى ينشر الحق في العالمين! ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (٨٨).

٤ - في رحاب هذه الآية دفع النبي ﷺ بعبراته على وجنتيه ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ وقال لابن مسعود رضي الله عنه: «حسبك الآن!»^(١).

٥ - تصوّر ذلك المشهد الذي يقوم فيه رسولك، يشهد عليك بأيام تاريخك، وأحداث واقعك ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾.

٦ - ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ رسالة في أن مفقوداتك المعنوية التي تبحث عنها، ستجدها في رحاب هذا القرآن!

٧ - لا تجهد نفسك في البحث عن الحياة، هي أقرب ما تكون إليك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾.

٨ - لن تشرق شمس حياتك، إلا حين يتحوّل القرآن من حرفٍ يردّد وآيٍ يتلى، إلى قضيّة كليّةٍ تدير من خلاله شأنك في الحياة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾.

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود عند قراءته على النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].



٩ - أَقْبِلْ عَلَيْهِ، وَهَبْ لَهُ مِنْ وَقْتِكَ، وَقَلْبِكَ، وَمَشَاعِرِكَ، وَسَيَعْلَمُكَ كَيْفَ تَكُونُ مَبْهَجًا فِي الْعَالَمِينَ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

١٠ - يَسْأَلُونَ مَا مَعْنَى ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾! وَيَقَالُ لَهُمْ: اضْرِبُوا لَهُ مِنْ سَنَامِ أَوْقَاتِكُمْ قِرَاءَةً وَتَدْبِيرًا، وَاسْتَعْرِفُونَ.

١١ - ثَلَاثَةٌ مُؤَذِّنَةٌ بِالْأَفْرَاحِ، وَثَلَاثَةٌ مُؤَذِّنَةٌ بِالسُّوءِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

١٢ - عَدْلُكَ وَاجِبٌ، وَإِحْسَانُكَ فَضْلٌ، وَإِعْطَاؤُكَ لِلْقُرْبَىٰ وَعِيٌّ بِإِدَارَةِ الْأَوْلِيَاءِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾.

١٣ - لَا تَكْلُفْ نَفْسَكَ مَا لَا تَطِيقُ، وَلَا تَبْعَثْ فِيهَا الْأَحْزَانَ بِكَثْرَةِ التَّفَكِيرِ، وَلَا تَفَرِّطْ فِي حَقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقُوقِ الْآخَرِينَ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾.

١٤ - الْإِحْسَانُ أَنْ تَبْذُلَ وَجْهَكَ، وَيَدَكَ، وَجَاهَكَ، وَقَلْبَكَ، وَمَشَاعِرَكَ لِلْمُحْتَاجِينَ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ وَقَبْلَ هَذَا أَنْ تَبْذُلَ كُلَّ هَذَا الْمَعْنَى فِي كُلِّ عِبَادَةٍ تَقْدِّمُهَا إِبَاجَةً لِنَدَاءِ رَبِّكَ.

١٥ - ﴿وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ وَصِيَّةٌ فِي إِدَارَةِ مَالِكَ، وَرِعَايَةٌ لِّشَأْنِ أَوْلِيَاتِكَ!

١٦ - ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ رِسَالَةٌ أَلَا يَقَعُ الْإِنْسَانُ فِي مَوَاقِعِ السُّوءِ!

١٧ - لَا يَلِيقُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْمَسَاحَاتِ تَبْعًا، فَكَيْفَ لَوْ كَانَ رَأْسًا وَمَقْدَمًا؟! ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾.

١٨ - الإسلام يربي على الطهارة، ويدعو إلى الأخلاق الفاضلة، وينمّي الشعور بالآخرين، وينهى عن كل ما هو قبيح قولاً أو فعلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٠).

١٩ - إذا أبرمت عهداً، أو ميثاقاً، أو أيماناً؛ فإياك أن تبرح حماها ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١١).

٢٠ - من إجلال الله تعالى إجلال شعائره وتعظيمها، والقيام بحقوقها وتحمل تبعاتها وأثقالها ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١١).

٢١ - كلما أبرم عهداً لزمه، وإذا استوثق منه صاحبه بيمين وفى بها، وإذا التزم ميثاقاً لم يبرح حماه، هذا هو الفقه بدين الله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١١).

٢٢ - درّب نفسك أن تكون مثلاً للأحلام التي تريدها في غدك ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١١).

٢٣ - لن تبلغ أحلامنا التي نريدها في الواقع مبلغها حتى تكون مشاهد الأعمال فيها أكثر من مشاهد الأقوال ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١١).



٢٤ - الخلل في الوظائف الحكومية، من أخطر ما يواجه أصحابه في مثل هذا الزمان ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٩١) واجب وميثاق، وعهد والتزام، وكم من عابث في هذه المعاني لا يبالي من ذلك بشيء.

٢٥ - من أكثر الخيانات تلك التي تتم في أوساط الوظائف الحكومية ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٩١) جرأة على المال العام وعبث فيه، وعدم توقي من حرمانه.

٢٦ - الذين ينقضون عهودهم ومواثيقهم، ولا يلتزمون بأيمانهم كالتي جهدت في بناء غزلها، حتى إذا تم شرعت تنقضه في أطرافه، حتى أعادته كأول عهده وسابق زمانه ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ (٩٢).

٢٧ - من كمال وعيك في درسك وموعظتك أن تبين فكرتك بأمثلة تبليغك مقصودك منها ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ (٩٢).

٢٨ - إذا أردت أن تعرف أثر الوفاء بالوعود والمواثيق، فتأمل سيرة نبيك ﷺ في إدارة شأن المعركة مع العدو ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ (٩٢) لم ينكث ميثاقاً وعهداً مع كافر، فكيف به مع المؤمنين!

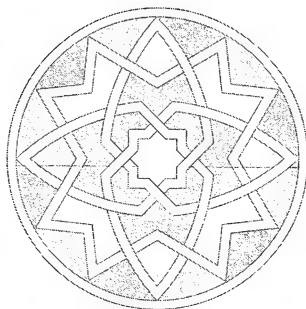


٢٩ - لا يضيرك اختلاف الأمة، فتلك سنة الله تعالى ومشيتته، ولو أراد لجمعهم على الحق ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٣).

٣٠ - هذا الخلاف الذي تراه في واقع أمتك، هو جزء من ابتلائك في اجتياز الامتحان والاختبار ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٣).

٣١ - تأمل في الخلافات التي مرَّ بها واقعك الشخصي، أو واقع أسرتك ومجتمعك وأمتك، سترى فيها من عبودية الله تعالى، ما لا يخطر لك على بال ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٣).

٣٢ - كثير من الخلل ناشئ عن جهل في فقه السنن ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٣).



وَلَا تَنَحِّدُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُقُوا السَّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ
أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ
عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ
﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يُزَلُّ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

التفسير

• ﴿وَلَا تَنَحِّدُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ وسيلة وذريعة إلى غش الناس وخديعتهم ﴿فَنَزَلَ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ تضل الطريق وتترك الإسلام ﴿وَتَذُوقُوا أَلْسُوَ يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بسبب نقضكم للعهود والمواثيق ﴿وَلَكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٩٤) شديد كبير.

• ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ تأخذون مقابل نقض العهود شيئاً دنيوياً من مالٍ ونحوه ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أفضل ممَّا تأخذون مقابل النقض ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩٥) جزاء الله تعالى وعظيم ما عنده من فضل.

• ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾ ينتهي مهما كان كثيراً ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ لا ينتهي ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الطاعات والأقدار، وعن المعاصي والشهوات ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٦) بأفضل وأتم وأوفى.

• ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ وعدٌ من الله تعالى أن ينال كلُّ مؤمنٍ عاملٍ للصالحات، أعظم ما يتمنى من الحياة الطيبة الجميلة، من طمأنينة القلب وراحة النفس وهدوء البال ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧) بأفضل وأوفى وأتم من عملهم وجهدهم في الدنيا.

• ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٩٨) فاسأل الله تعالى أن يعيذك من وساوس الشيطان.



• ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾ تسلُّط وقوَّة بالإغواء، والصد والمانع عن الخير
﴿عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله تعالى ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٩٩)
يفوضون أمورهم.

• ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ﴾ تسلُّطه وقوَّته ﴿عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ يتخذونه ولياً من
دون الله تعالى، بطاعته واتباع ما يأمرهم به ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٠)
بسببه مشركون بالله تعالى.

• ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ نسخنا حكم آية بآية أخرى ﴿وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ﴾ في كتابه ﴿قَالُوا﴾ كفار قريش ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾
كاذب مخلق للقرآن ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١) حكم الله تعالى في ذلك
التغيير والتبديل.

• ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾ القرآن ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ من عند الله
تعالى ﴿بِالْحَقِّ﴾ نزوله بالحق، بما يشتمل عليه من أخبار، وأوامر،
ونواهي، من عند الله تعالى ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ على الإيمان
﴿وَهُدًى﴾ هداية لهم إلى الخير ﴿وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٠٢) بما لهم
عند الله تعالى من جزاء.



١ - العتب بالأيمان والعهود موجب للنكوص عن الطريق ﴿وَلَا تَنَحَّضُوا أَيَّمَانُكُمْ
دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذَوَّقُوا السَّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٩٤) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩٥).



٢ - الإسلام يرَبِّي الفضيلة، ويخاصم لأجلها ﴿وَلَا تَنَحِّدُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَاقَدُمُ بَعْدَ بُيُوتِهَا وَتَذَوْقُوا أَلْسُوَ مَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٩٤) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾.

٣ - استباحة شعائر الله تعالى، والعبث بها، وعدم رعاية حقوقها مؤذنٌ بأسوأ العقوبات ﴿وَلَا تَنَحِّدُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَاقَدُمُ بَعْدَ بُيُوتِهَا وَتَذَوْقُوا أَلْسُوَ مَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٩٤) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾.

٤ - ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩٥) رسالة لكلِّ مسؤول، أبرم عقداً في مصالح المسلمين العامة، ثم أخذ في مقابل خيانتة أموالاً!

٥ - أسوأ غشٍّ تتعرَّض له الأمة اليوم هو ما تتعرَّض له في مصالحها العامة ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩٥).

٦ - يأخذ مشاريع، ويتكفل بوفائها، ويوقع على عقودها، ثم يبيعها لغيره مقابل مبلغ من المال ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩٥).

٧ - أو يعلن عن مناقصة على مشاريع، ثم يتفق مع صاحبه في الخفاء، ويحظى بالمناقصة في النهاية ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩٥).

٨ - مهما بلغ ما تكسبه عن طريق الغش والاحتيال؛ فهو قليل بالنسبة لما تكسبه من الوفاء والصدق ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٦).



٩ - الحلال القليل أعظم وأثمن وأبقى من الحرام الكثير ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٦﴾.

١٠ - هذا وعد الله تعالى للذين يريدون إشراق الحياة في نفوسهم من جديد ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾.

١١ - إذا أردت الحياة العظمى، فالزم هذا المعنى، وواظب عليه، ولا تتخلف عن طريقه مع الأيام ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾.

١٢ - السعادة لا تحتاج إلى سفرٍ تكدُّ فيه نفسك، وتجهد فيه روحك فقط، يَمِّم وجهك باتجاه الله تعالى، وأدر شأن العمل الصالح في حياتك بامعان ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾.

١٣ - حافظ على الفريضة، ورابط عليها، واجعل لك ورداً من الصلاة والصيام والحج والعمرة والقرآن والصدقة والذكر، لا تفترط فيه أبداً، وانتظر حياة حافلة بالأفراح ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾.

١٤ - من عَظَّمَ شعائر الله تعالى وأجلَّها ورابط عليها، فهو موعودٌ بما لم يخطر له على بال ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾.

١٥ - إذا يَمَّمْتَ وجهك لكتاب الله تعالى، فادفع وساوس الشيطان بالاستعاذة منه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ﴿١٨﴾.

١٦ - الفكرة الأولى للانتفاع بكتاب الله تعالى، أن تحول بينك وبين وساوس الشيطان في قلبك ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٩٨).

١٧ - هذا الوحي جليل، يحتاج فهمه ووعيه إلى احتفاء في البداية، واتخاذ الوسائل الكفيلة بفقهه وفهمه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٩٨).

١٨ - لا تستغرب حين يأخذ كتاب الله تعالى ليقراً فيه، ثم ما يلبث أن يعيده إلى موضعه، وما ذلك إلا لتفريطه في دفع العوارض الشيطانية عنه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٩٨).

١٩ - الأخذ بالأسباب أمر لازم ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٩٩) مع أنه لا سلطان له على المؤمنين المتوكلين، إلا أنه لا بد من الاستعاذة.

٢٠ - التوكل عمل، وليس شيئاً مجرداً من حقائقه ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٩٩).

٢١ - الذين لم يحتفلوا بالحقائق، تسلط عليهم الشيطان بالأوهام ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٠).

٢٢ - كل ما تراه من عبث في حياة كثيرين، فهو من تسلط الشياطين عليهم ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٠).

٢٣ - إذا رأيته متخلفاً عن الطاعات، متردداً في الخيرات، مسارعاً فيما يسوء، فقد بلغ سلطان الشيطان منه مبلغه ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٠).

٢٤ - الجزاء من جنس العمل ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٠) تولوه فتسلط عليهم!



٢٥ - الجهل بمقام رسل الله تعالى يصنع مثل هذه الطوام ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةً ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ الاعتراض على أحكام الله تعالى من الجهل به تعالى.

٢٦ - من السهولة جداً أن يلقي عليك جاهلٌ تهمة الموبقات ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةً ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

٢٧ - ما زال خلقٌ كثيرٌ عبيداً للأوهام والخرافات ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةً ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾
لولا الخرافة والأوهام لآمنوا بكل ما جاء به شرع الله تعالى دون اعتراض!

٢٨ - إخفاق جزءٍ عريضٍ من الأمة، يأتي من خلال الإخفاق في فهم هذه الوصية الكبرى: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(١) ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةً ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ وهذا ليس من شأنهم، من شأنهم التسليم لكل ما جاء في الوحي فحسب.

٢٩ - كثيرون يتركون دوائر الممكن وينشغلون بغير الممكن ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةً ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ العمل بالوحي وإشباع تلك المساحة، هي دوائر الممكن، لا الاعتراض الذي لن يورثهم إلا عواقب السوء.

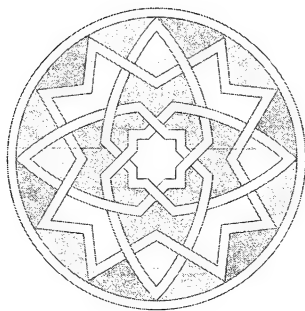
٣٠ - لا فرق بين هؤلاء وأولئك الذين يتخلفون عن صلاتهم، ويخفقون في مشاريعهم، ثم تراهم مشغولين بغيرهم تقويماً وتعكيراً واتهاماً ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً

(١) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَلِّ قَالَوَا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

٣١ - إذا أردت ثباتاً وهدي، فألقِ بقلبك ومشاعرك ووجدانك في رحاب هذا الوحي ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾

٣٢ - يسألون ما هي أهم أسباب التثبيت! فقل تدبّر القرآن، والعمل بالوحي أعظم الأسباب على الإطلاق ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾





وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ
الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ
مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ
اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾
مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ
مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ
غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ
طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْفَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ
هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا
إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾



التفسير

• ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ أي الكفار عن القرآن ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾
يُعْلَمُ الْقُرْآنَ لِمُحَمَّدٍ بَشَرٌ مِنَ النَّاسِ، يَشِيرُونَ إِلَى رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ كَانَ
يَجْلِسُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الصِّفَا ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ لُغَةٌ
الَّذِي يَمِيلُونَ إِلَيْهِ، وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُ يَعْلَمُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الْقُرْآنَ ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾
فَكَيْفَ يُقَالُ عِلْمُكَ وَهُوَ أَعْجَمِيٌّ ﴿وَهَذَا﴾ وَالْقُرْآنَ ﴿لِسَانُ عَرَبِيٍّ
مُبِينٍ﴾ ١٠٣ ﴿عَرَبِيٌّ بَيِّنٌ بَلِيغٌ﴾.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ لَا يَصَدِّقُونَهَا، وَلَا يَعْمَلُونَ بِهَا ﴿لَا
يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ إِلَى الْحَقِّ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٠٤ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

• ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾ يَقُولُ الْكَذِبَ حَقِيقَةً ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ
اللَّهِ﴾ لَا يَصَدِّقُونَ بِهَا ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ١٠٥ ﴿فِي الْحَقِيقَةِ﴾.

• ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ كَفَرَ بِاللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَضَلَّ
بَعْدَ الْهُدَايَةِ، فَهَذَا عَلَيْهِ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿إِلَّا مَنْ
أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ فَهَذَا لَا يَخْرُجُهُ مِنَ الْإِيمَانِ مَا قَالَهُ مِنَ
الْكُفْرِ أَوْ فَعَلَهُ، مَا دَامَ مَكْرَهَا عَلَى فَعَلِهِ ﴿وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾
فَاجَبَهُ، وَانْشَرَحَ لَهُ ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١٠٦ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

• ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ قَدَّمُوا الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا
عَلَى مَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ١٠٧ ﴿لَا
يُدُلُّهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَلَا يَدْفَعُهُمْ إِلَيْهِ﴾.



• ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ﴾ ختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾
 فلا يصل إليها الحق، ولا تهتدي إليه ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾
 عن ذكر الله تعالى وأمره وعبادته.

• ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾ الخسارة
 الكاملة الوافية التي لا تعدلها خسارة.

• ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام
 ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فَتَنُوا﴾ من بعد أن فتنهم الكفار على الكفر فثبتوا ﴿ثُمَّ
 جَاهَدُوا﴾ في سبيل الله ﴿وَصَبَرُوا﴾ على كل ما يلاقون من الفتنة
 والعذاب ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ من بعد الفتنة والابتلاء الذي حصل
 لهم ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١١٠﴾ لكل من قال كلمة الكفر خوفاً، ولم ينشرح
 بها صدره.

التفسير

١ - الإساءة للوحي جزء من المعركة التي يشنها العدو على دين الله تعالى ﴿وَلَقَدْ
 نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ
 وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿١٠٩﴾ يعرفون أنه كلام الله تعالى ولا سبيل
 لمعارضته فيلقون إليه الأوهام، لعلهم يصرفون الناس عنه.

٢ - لا سبيل اليوم للتشكيك في القرآن ذاته، ولكن تدار الحملة على
 مخرجاته وآثاره وحلقاته، وهذا جزء من ذلك ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ
 إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ
 عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿١١٠﴾.

٣ - الكذب على الله تعالى والتطاول عليه فرغ عن عدم الإيمان ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي
الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (١٠٥) لو درج
الإيمان في قلوبهم، لما كذبوا على الله تعالى في شيء.

٤ - سماحة الإسلام ورفقه بالمكروبين المكرهين على فعل ما يناقضه ﴿ مَنْ
كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ
شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٠٦).

٥ - من جمال دينك أنه لا يحملك جريرة ما صنعته نتيجة إكراهه ﴿ مَنْ كَفَرَ
بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ
بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٠٦).

٦ - الواقعون في مستنقع الضلالة بعد البيان، يستحقون هذه النهايات ﴿ مَنْ كَفَرَ
بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ
بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
أَسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧)
أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩).

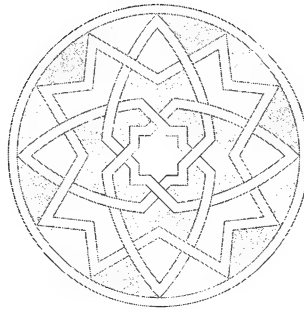
٧ - أخطر ما يواجه الإنسان تقديم عاجل هذه الحياة على آخرها ﴿ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ أَسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ (١٠٧) وإذا قرأت قصص الوالغين في الشهوات أدركت أنهم
استعجلوا لذات الدنيا على مباحج الآخرة.

٨ - أثر الخطوة الأولى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ
وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١٠٨) هذه الخاتمة نتيجة لذلك الواقع



الذي بدؤوه أول وهلة ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

٩ - التوبة النصوح والأعمال الصالحة ماحية لآثار الخطايا والذنوب السالفة ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.



* يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ يُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ
 نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ
 كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ
 وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
 رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ
 ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا
 نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
 عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ
 بِهِ ۖ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
 ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ
 وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
 الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى
 الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ

كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾



التفسير

• ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ لا يهّمه إلا نجاة نفسه ﴿وَتُؤْتَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ من خيرٍ وشرٍ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا يزداد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم.

• ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ لا يخاف أهلها من شيء ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ فجحدت بنعم الله تعالى، فكذّبت رسله وكفرت به ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ بدل شعبهم جوعاً، وأمنهم خوفاً، ولشدة ما أصابهم صار كاللباس، لا ينفك عنهم ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ بسبب كفرهم بالله تعالى.

• ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ من جنسهم ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما جاء به ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ النازل بهم من الله تعالى ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ لأنفسهم.

• ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا﴾ حال كونه حلالاً مباحاً لهم أكله، وحال كونه طيباً لا ضرر فيه ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ بالاعتراف بها، وصرفها في طاعة الله تعالى ﴿إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ إن كنتم مخلصين له في العبادة.

• ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ وهي كل ما مات من غير ذكاة شرعية ﴿وَالْدَّمَ﴾ المسفوح ﴿وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ﴾ وهو حيوان معروف محرّم ﴿وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ كالذي يذبح للقبور والأصنام والأولياء ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ إلى أكل هذه الممنوعات ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ غير طالبٍ للمحرّم وهو



يجد غيره ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متجاوز في أكله على ما يزيد على إزالة الجوع ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٥) لأكله من ذلك.

• ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ لا تحللوا وتحرموا من عند أنفسكم ﴿لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ لتقولوا كذباً على الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١١٦) لا في الدنيا ولا في الآخرة.

• ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾ يتمتعون في الدنيا أياماً قليلة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١١٧) يوم القيامة.

• ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ اليهود ﴿حَرَمَنَا﴾ عليهم ﴿مَا فَصَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ ممّا ورد ذكره في سورة الأنعام في قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَنَرِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بهذا التحريم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٨) بسبب بغيهم وظلمهم.

التدبير

١ - كثيرة هي المواقف التي نحتاج للخلاص منها قبل فوات أوان الاستعتاب ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١١١).

٢ - الأماني الكاذبة لا تصنع واقعاً جميلاً مع الأيام ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١١١) فلا يمكن أن تتخلص من آثار هذه المجادلة إلا بالتوبة الصادقة والعمل الصالح.



٣ - حينما تكون النعم اختباراً وابتلاءً ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

٤ - كم مرة نجح الإنسان في ابتلاء البأساء، وأخفق في ابتلاء العافية! ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

٥ - مشكلة النعم أنه يغيب منه معنى الابتلاء والاختبار عند كثيرين، فيقع فيه الخلل دون وعي ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٤﴾﴾.

٦ - باتت توسّع صور الكفر بالنعم في مساحات كثيرة، قد تأتي على خيرات الأمة وهي غافلة عن ذلك الاستدراج ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾.

٧ - حين ترى أكواماً من اللحوم تُلقي في براميل النفايات في كل مناسبة، ومخلّفات وجبات اليوم الواحد في مجتمعات المسلمين التي تُرمى في النفايات، تكفي أمة جائعة ربما لسنوات، توقّع هذه النهايات ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٦﴾﴾.

٨ - في حفلات زواج المسلمين اليوم تؤجّر مغنيّة في الحفل الواحد، تزيد أجرتها على ثلاثين ألف ريال، وتُنفق المبالغ النقدية على أكواب الورد، وأطراف



الكراسي، وتلقى ليلة العرس آلاف الريالات على رأس أم العروسة، ويُنفق على فساتين العرس مئات وألوف ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

٩ - وصل الكفر بنعم الله تعالى إلى حدٍّ أن المرأة من نساء المسلمين، تشتري فستاناً بآلاف الريالات، لتلبسه في ليلة واحدة، ثم يرمى في الخزائن ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

١٠ - هذا النعيم المهدر، إن لم يستدرك من قبل مصلحين، وإلا ستحقيق سنة الله تعالى بالمسرفين ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

١١ - تحدّث تاجرٌ كبيرٌ في لقاء خاص أنه رافق تاجراً كبيراً آخر في مناسبة، ثم لما جاء الغداء أو العشاء وضع يده على ظاهر الأكل، فرماه على الطاولة، فسأله لم صنعت هذا؟ قال: لأنه تلوّث بالمكروبات! قال: فما أتمّ عاماً إلا وقد جاء يطلب مني الزكاة. أقره الله تعالى من جديد! ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

١٢ - يقول أحدهم: قررت الذهاب إلى دولة من الدول الفقيرة، فسألت الأسرة عن الساعات والشنط الفائضة عنها، والتي لم يعودوا يستخدمونها، ثم جمعتها، وذهبت بها إلى تلك البلاد، وأقيم بها مسابقة نسائية كبرى لحفظ القرآن الكريم، تحدّث عنها الإعلام المحلي في تلك الدولة، وأقيم حفلٌ كبيرٌ في النهاية بتلك



الحقائب والساعات (وعى في مواجهة هدر هذه النعم) ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١١٢).

١٣ - وآخر يجمع كل قارورة ماءٍ وجد فيها بقايا الماء ولم تعد صالحة للشرب، ثم يصبها في خزان المياه الذي يستخدمه لحوائجه العامة (نوع آخر من الوعى بأهمية النعم) ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١١٢).

١٤ - تكذيب الرسل، والتمرد على المنهج، ومخالفة الحق سُنَّةُ الظالمين في الأرض ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١١٣).

١٥ - من حق هذه النعم التي تملأ بيوت المسلمين وواقعهم، أن تقابل بشكر الله تعالى، حتى تجد أرضاً صالحة للبقاء ﴿فَكُلُوا مِنْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١١٤).

١٦ - الأصل في الأشياء الحل، والمحرم استثناءً، تلك قاعدة الشريعة التي تدلُّ على سعة الإسلام وسماحة تشريعاته ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٥).

١٧ - النفوس محترمة في شريعة الله تعالى، ويدافع هلاكها بكل ممكن ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٥) ﴿أَفَلَا يَتَّقِي اللَّهُ تَعَالَى هَؤُلَاءَ الَّذِينَ يَسْتَحْلُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ خِلَالِ شَبِّهِ وَأَوْهَامِ!

١٨ - الضرورات تبيح المحظورات، هذه قاعدة الشريعة ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٥) وما عدا ذلك تجاوز لحدود الشريعة وافتتات عليها.

١٩ - للشريعة حمى، لا يحلُّ أن يستباح بحال ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١١٦).

٢٠ - المفتون موقَّعون عن رب العالمين، فلا يحلُّ لأحدٍ أن يتسوَّر علماً يجهله ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١١٦).

٢١ - كثر المتسوِّرون في مثل زماننا لمحارِبِ الشريعة بلا علم، وهذا الوعيد ذائدٌ عن حياض الحمى لمن كان له قلب ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١١٦).

٢٢ - في هذه اللحظة التي أتدبِّر فيها هذه الآية سمعت ثلاثة مقاطع لابن باز مفتي الديار السعودية في زمانه رحمته الله يُسأل فيها عن ثلاث مسائل: من يقص على أولاده قصة من نسج خياله قبل النوم هل تُعد كذباً؟ وقول المضيف لضيفه: وجه الله عليك تتفضَّل معنا؟ وأيهما أفضل الأذان أو الإقامة؟ فقال رحمته الله في كل هذه المسائل: لا أدري! بمثل هذا الورع تصان الشريعة عن خوض العابثين!!

٢٣ - في مثل زماننا رأيت من يخوض في مسائل، لو عرضت على الكبار لتوقَّفوا فيها زمناً ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١١٦).



٢٤ - من فقهك وكمال وعيك أن تجري (لا أدري) على لسانك كما يجري حديث من تحب ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ﴿١١٦﴾.

٢٥ - حين تستلذ (لا أدري) في سؤالات العلم كما تستلذ جواب السؤال فذلك التوفيق ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ﴿١١٦﴾.

٢٦ - ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١١٧﴾ رسالة وعيدٍ تنتظر الخائضين في شريعة الله تعالى بلا علم!

٢٧ - لا يعطي الله تعالى خيراً ثم يسلبه إلا لنكرانه ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١١٨﴾ هذه سنة الله تعالى في العالمين!

٢٨ - كلُّ نعمةٍ لا يستقبلها صاحبها بالشكر والعرفان، تمضي ولا تعود ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١١٧﴾.

٢٩ - إذا عشتَ نعمةً ثم لم تجد لها رواجاً في واقعك، فتلتمس عثرتك، فربما جرى عليها حالك الظلام ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

٣٠ - كان يصلي من الليل، لا يكاد يتخلف، ثم غشيه العجز، ويجد لذّةً لصلاة الجماعة وورد القرآن، ثم سرى إليه الملل، ويعيش رغبةً قويةً في طلب العلم، ثم كلٌّ في غرض الطريق، لو عاد إلى الوراء لعرف سبب الظلام الذي أتى على فجره المشرق فتوراً وغفلة ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
 بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١١﴾
 إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
 ﴿١١٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ آتِيبًا وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 ﴿١١٢﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
 ﴿١١٣﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ
 اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا
 كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٥﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
 وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَاغٍ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
 هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٦﴾
 وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
 لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١١٧﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
 وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
 ﴿١١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ



التفسير

- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَنَّةٍ﴾ بسفه وعدم اعتبار لحق الله تعالى ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ بأن تركوا السوء ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ من بعد عملهم السوء ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٩) يغفر لهم خطأهم، ويرحم ضعفهم.
- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إماماً جامعاً لخصال الخير ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ مديماً لطاعته مخلصاً فيها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عما سوى الله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠) في قوله وعمله.
- ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ شاكراً لنعم الله تعالى عليه ﴿أَجْتَبَاهُ﴾ اصطفاه ربه واختاره ﴿وَهَدَاهُ﴾ ودله ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٢١) إلى ملة الإسلام ودين الحق.
- ﴿وَوَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وهي كل نعيم ناله من زوجة حسنة وذرية مباركة، ورزقٍ واسع، وعملٍ صالح ﴿وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٢٢) في جملة عباده الصالحين المكرمين يوم القيامة.
- ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا رسول الله ﴿أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ في عقيدته وعبادته ومعاملته ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الشرك ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٣) في أي شيء من أعمالهم.
- ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ فرض تعظيم يوم السبت ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ اليهود ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين هؤلاء اليهود ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤) فيبين لهم الحق من الباطل.
- ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ بما يناسب مقام المدعو ويؤثر فيه



﴿وَالْمَوْعِظَةُ﴾ وهي كل قول فيه ترغيب وترهيب ﴿الْحَسَنَةُ﴾ الجميلة في معناها، وأثرها وزمانها ومكانها ﴿وَجَدَلَهُمْ﴾ المعاندون منهم ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بالطريق الحسنة الجميلة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ من لا سبيل له إلى الهداية ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٢٥﴾ بمن يصلح للهداية.

• ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أردتم معاقبة من أساء إليكم ﴿فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ فعاقبوه بنحو ما أساء إليكم، دون زيادة ﴿وَلَيْنَ صَبْرْتُمْ﴾ على إساءته وأذيته ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٢٦﴾ لهو أفضل وأحسن لهم في العاقبة من المعاقبة.

• ﴿وَأَصْبِرْ﴾ على ما أصابك من أذى ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ هو الذي يؤجرك عليه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ عند إعراضهم، فإن الله تعالى حكمة في ذلك ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾ يضيق صدرك ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ﴿١٢٧﴾ من مكرهم.

• ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ فجعلوا بينهم وبين عذاب الله تعالى وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾ فيما بينهم وبين الله تعالى، وبينهم وبين الخلق.

التدبير

١- لو عرفوا الله تعالى ما عصوه ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٢٩﴾ يعصونه ويخالفونه، ثم يرحمهم ويغفر لهم، ولا يؤاخذهم بزلاتهم وعثراتهم. ما أرحمك يا رب!



٢ - إِذَا زَلَّتْ قَدَمُكَ فِي الطَّرِيقِ، فَاسْتَقْبِلْ عَفْوَ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٩).

٣ - يَصْطَادُكَ الشَّيْطَانُ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً حِينَ يُلْعَقُكَ مَرَارَةَ الْمُنْكَرَاتِ، وَأُخْرَى حِينَ يَقْنَعُكَ بِأَنَّهُ لَا تَوْبَةَ لَأَمْثَالِكَ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٩).

٤ - مِنْ عِلَامَاتِ التَّوْبَةِ أَنْ تَكُونَ بَعْدَ ذَنْبِكَ أَصْلَحَ وَأَفْضَلَ مِمَّا قَبْلَهُ بِكَثِيرٍ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٩).

٥ - مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِكَ أَنَّهُ يَقْبَلُكَ بَعْدَ هَرُوبِكَ، وَيُعِيدُكَ لِلْحَيَاةِ بَعْدَ وَلُغْوَكَ فِي الْخَطَايَا ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٩).

٦ - لِلتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ مَظَاهِيرٌ وَعِلَامَاتٌ، مِنْ أَهْمِّهَا الصَّلَاحُ الظَّاهِرُ فِي سَائِرِ حَيَاتِكَ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٩).

٧ - نَافِذَةٌ عَلَى صِنَاعَةِ الْكِبَارِ لِلتَّارِيخِ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠).

٨ - مِنْ فَتُوحَاتِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ أَنْ تَتِيخَ مَطَايَاكَ فِي رَحَابِ قِصَّةِ هَذَا النَّبِيِّ الْعَظِيمِ لِتَرَى كَيْفَ صَنَعَ أَحْلَامَ الدَّارِينَ! ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠).

٩ - أَعْظَمُ مَا يَدْفَعُ بِالْإِنْسَانِ لِلْحَيَاةِ قِرَاءَةُ قِصَصِ الْكِبَارِ، وَالْإِطْلَاعُ عَلَى تَارِيخِهِمْ الْحَافِلِ بِالْمَجْدِ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠).

- ١٠ - من وُقِّعَ للشكر فقد وُقِّعَ لحظٍّ عظيم ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٢٠ ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجَبْتُهُ وَهَدَيْتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ١٢١ ﴿.
- ١١ - القيام بحقوق الله تعالى، وشكر نعمه موجبٌ للهداية والتوفيق ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٢٠ ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجَبْتُهُ وَهَدَيْتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ١٢١ ﴿.
- ١٢ - هذه نهايات تلك الأماني التي بعثها هذا النبي العظيم في واقعه ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٢٢ ﴿.
- ١٣ - إذا أردت لرجل صالح أن يستوثق من الطريق فدلّه على قدوة، يبعث فيه تحديات واقعه ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٢٣ ﴿.
- ١٤ - القدوة تختصر كثيراً من مسافات الطريق ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٢٣ ﴿.
- ١٥ - إذا أردت أن تختصر مسافات الطريق لولدك، فهيئ له قدوةً صالحة، تبعث فيه الأماني ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٢٣ ﴿.
- ١٦ - الدعوة فنٌّ! وكل من ولج هذا الطريق، فعليه أن يعتني به غاية العناية ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ١٢٤ ﴿.
- ١٧ - الدعوة مشروعٌ، يحتاج أن يتخصص فيه من يقوم بدوره، ويمدُّ في مساحات دينه من خلاله ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ١٢٤ ﴿.
- ١٨ - ليست الدعوة كلاً مباحاً، يستبيحُ حماها كلُّ من أراد أن يجرب مهاراته وقدراته، بل هي قضية كبرى، ومشروعٌ خطير، لا يجوز أن يتسوّر محرابها إلا



العالمون العارفون ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾.

١٩ - إذا أدرك الداعية دوره، وعرف مكانته في شأن الدعوة، حاول جاهداً إيصال رسالته في أسلوب يبلغ به أمانيه ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾.

٢٠ - المماثلة في العقوبة حقٌ وعدل، والعتو استعلاءً على حظوظ النفوس وارتفاع بها عن رغبات النفس العاجلة ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

٢١ - لا تلتفت للمعرضين والناكسين، والذين وقفوا في طريق أيامك الجميلة، بل اصبر واستعن بالله تعالى، وتوجه إليه، ودعك من المخلفين ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

٢٢ - التقوى والإحسان بالغة بك مقاصدك الكبرى، وداعية بأن يكون الله تعالى معك في كل وقتٍ وحين ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

٢٣ - إذا أردت التوفيق في بيتك، وولدك، وعملك، ورسالتك ومشروعك وفكرتك وسائر حياتك، فتعلم هذين المعلمين (التقوى، والإحسان) وما هي منك ببعيد ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي
إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا
مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ
فِي الْكِتَابِ لُفْئُسِدْنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴿٤﴾
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ
فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ
الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ
نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾



التفسير

• ﴿سُبْحَنَ﴾ تنزهه الله تعالى وتعظيم عن كل نقص ﴿الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ أي رسوله محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ في الليل ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بمكة ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ الأبعد عن المسجد الحرام، وهو المسجد المعروف بأرض فلسطين ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بركات دينية بأن جعل ما حوله من أرض الشام مقراً للأنبياء؛ كإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى، أو بركات دنيوية من كثرة الأنهار والأشجار والثمار ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ أَيْنَأَ﴾ لنطلعه على عجائب قدرتنا في الكون ﴿إِنَّهُ﴾ أي الله تعالى ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لكل ما يقال ﴿الْبَصِيرُ﴾ ١ ﴿بِكُلِّ مَا يَفْعَلُ﴾.

• ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي التوراة ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ طريقاً يهتدون به إلى الحق ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ ٢ ﴿كفيلًا بأموركم﴾.

• ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ يا ذرية من حملنا مع نوح ونجيناها من الغرق ﴿إِنَّهُ﴾ أي نوح ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ٣ ﴿شاكراً لله تعالى﴾.

• ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أخبرنا وأعلمنا ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ كتابهم التوراة ﴿لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ أنه سيقع منهم فساد في الأرض مرّتين ﴿وَلَنَعْلَنَ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ ٤ ﴿ولتستعلنَّ على الناس بالظلم والبغي استعلاءً كبيراً﴾.

• ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ أولى المرتين اللتين تفسدون فيهما ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ سلطنا عليكم ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ قوم من عبادنا ﴿أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ﴾

أَصْحَابَ قُوَّةٍ وَبَطْشٍ ﴿فَجَاسُوا خِلْدَ الدِّيَارِ﴾ عَاثُوا فِيهَا بِالْقَتْلِ وَالسَّلْبِ
وَالنَّهْبِ ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ ﴿٥﴾ وَعْدًا صَادِقًا وَاقِعًا.

• ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ ثُمَّ جَعَلْنَا الدَّوْلَةَ وَالْغَلْبَةَ لَكُمْ عَلَيْهِمْ،
فَأَخْرَجْتُمُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ﴿وَأَمَدَدْنَكُمْ﴾ مَعَ النَّصْرِ ﴿بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ﴿٦﴾ أَكْثَرَ عِدَدًا.

• ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ فِي أَعْمَالِكُمْ وَأَقْوَالِكُمْ ﴿أَحْسَنَتُمْ لِنَفْسِكُمْ﴾ لِأَنَّ فَضْلَ
ذَلِكَ لَكُمْ ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ فِي أَعْمَالِكُمْ وَأَقْوَالِكُمْ ﴿فَلَهَا﴾ فَعَلَيْكُمْ ﴿فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ الْمَرَّةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي تَفْسُدُونَ فِيهَا فِي الْأَرْضِ سُلْطَنَا عَلَيْكُمْ
الْأَعْدَاءُ ﴿لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ﴾ بِمَا يَفْعَلُونَ فِيكُمْ مِنْ أَذَى ﴿وَلِيَدْخُلُوا
الْمَسْجِدَ﴾ الْأَقْصَى ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا﴾ يَهْلِكُونَ وَيُدمَرُونَ
﴿مَاعْلَوًا﴾ مَا غَلَبُوا عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِكُمْ ﴿تَتَبَرَّأُوا﴾ ﴿٧﴾ تَدْمِيرًا.

التَّـدْبِيرُ

١- لَا تَقْلِقْ! فَاللَّهُ تَعَالَى مَعَكَ فِي أَشَدِّ أَزْمَاتِكَ وَأَكْثَرِهَا أَلَمًا عَلَى قَلْبِكَ وَمَشَاعِرِكَ
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي
بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْنَانِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١﴾ حِينَ اشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى
نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنِي بِهِ، فَنَقَلَهُ فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ الرِّبَانِيَّةِ، وَلِكُلِّ وَلِيٍّ مِنْ هَذَا
الْمَعْنَى عَلَى قَدَرِ إِيْمَانِهِ وَتَقْوَاهُ.

٢- إِذَا أَلَمْتَ بِكَ ظُرُوفٍ وَاقِعَةٍ، وَأَحْزَنْكَ ضِيَاعٌ مِنْ حَوْلِكَ، وَلَمْ تَجِدْ لَفِيفًا مِنْ
مَشَاعِرِ أَشْوَاقِ الْمُحِبِّينَ، تَعَزِّي أَلَمَكَ، وَتَعَضَّدَ جِرَاحَكَ؛ فَيَمِمْ وَجْهَكَ إِلَى رَبِّكَ



تجد كل شيء ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

٣ - في المسجد والمحراب وآي القرآن ذلك المعنى الذي تبحث عنه أرواح المجاهدين والفلقين والمتعبين في ثنایا الطريق ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

٤ - إذا أقبل ليلك فمدَّ سجادتك، وانصب قدمك، وتوجَّه إلى ربك، وأسل دمعك، وسترى الحياة التي تجلو بها ضمائر المجاهدين ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

٥ - في كلِّ يوم خمس مرات، تعرجُ فيها أرواحنا لعناق السماء، لو أقبلنا عليها بوعي وأدركنا ما فيها من أحداث ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

٦ - أُسْرِيَ نبيُّكَ ﷺ ليرى آيات الله تعالى، وأنت حين تقبلُ عليه في صلاتك تحدِّثه مشافهةً، وتلقي إليه بهمومك كما تشاء ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

٧ - سبحانه! إذا رأى مشكلاتنا وعثراتنا وأحداث طريقنا، أقبل إلينا، وأخذنا لعالم الأرواح من جديد ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

٨ - العبودية أشرف مقاماتك، وألذ لحظاتك، وأجمل أيامك، فتلذذ قبل الفوات

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ، مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١) حين أراد أن يرفعه ويكرمه، ويخفف عنه ناداه بأعذب الأوصاف (العبودية).

٩ - حين تعبد الله تعالى تشرق شمس روحك، وتبعث في وجدانك الحياة ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ، مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

١٠ - أورد عبادتك هي التي تصنع أحداث قلبك ومشاعرك وروحك؛ فخذ منها ما يبلغك المقام ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ، مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

١١ - الحياة في كتاب الوحي، وفي هدايات الرسل فحسب ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا تَنَحَّضُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا﴾ (٢).

١٢ - ألق بروحك ووقتك وقلبك ومشاعرك في كتاب الله تعالى، وسترى الفرق ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا تَنَحَّضُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا﴾ (٢).

١٣ - تذكّر النعم وجدان القلوب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٣).

١٤ - لزوم الكبار والصالحين والمؤثرين مؤذن بالتوفيق ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٣) كانوا معه فبقوا كباراً في الحياة!

١٥ - الشكر من مقامات العبودية التي يحبها الله ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٣).



١٦ - ماذا كان يصنع نوح ﷺ حتى يأتي هذا النعت له من ربه تعالى ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ﴿٢﴾ ما أحوجنا لفقه هذا الطريق!

١٧ - الشكر هو المادة التطبيقية لعرفان الإنسان بحقوق ربه، والقيام بواجباته ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ﴿٣﴾.

١٨ - الهج بلسانك شاكراً، وأدر جوارحك في مراد ربك، وعلم قلبك كيف يمتنُّ لربه بأحداث الشاكرين، تتلقى الطريق، وتبلغ من خلاله الحياة ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ﴿٤﴾.

١٩ - يا الله! كم صنعت العبودية في حياة الرسل من أحداث! ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ﴿٥﴾.

٢٠ - لا تنظر لمسؤوليتك، ووظيفتك، ومكانتك، أعد النظر لقلبك وروحك وعبادتك، لتعرف أين هي وأنت من مقام الله؟ ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ﴿٦﴾.

٢١ - الإفساد خراب الأرض، وإذا وقع كان مؤذناً بالعذاب والنكال على صانعيه ﴿وَفَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكُتُبِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوقًا كَثِيرًا﴾ ﴿٧﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٨﴾.

٢٢ - كل ما يصيب الأمة اليوم من أثر عدوها، إنما هو تسليط الله تعالى عليها، بسبب ذنوبها وفسادها في الأرض ﴿وَفَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكُتُبِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوقًا كَثِيرًا﴾ ﴿٩﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿١٠﴾.

٢٣ - حتى الأفراد الذين يعانون ديناً، وألماً، وشقاقاً في نفوسهم، وهموماً تداهم حياتهم، وظروفاً بائسة، هم الذين جلبوها، وكتبوا على واقعهم هذه النهايات ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلَنَّ عَلْوًا كَبِيرًا ۖ﴾ (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾.

٢٤ - سنن الله تعالى لا تحابي أحداً في الكون ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلَنَّ عَلْوًا كَبِيرًا ۖ﴾ (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾.

٢٥ - كل فساد مخلوفٌ بواقع بئس مع الأيام ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلَنَّ عَلْوًا كَبِيرًا ۖ﴾ (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ما لم يمنَّ الله تعالى برحمته وتوفيق.

٢٦ - ثمة أملٌ لإصلاح ما فات، وإدراك ما وقع مع الأيام ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۖ﴾ (٦) فأحسنوا التوبة وأصلحوا الطريق.

٢٧ - مهما بلغ ماضيكم، وخراب واقعك، وضياع نعمك، ثمة فرصٌ قادمةٌ قابلةٌ للتعويض، فلا تستطل أمدها ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۖ﴾ (٦).

٢٨ - أول طريق تستصلح به واقعك، وتسترد به نعم الله تعالى عليك، هو إصلاح ما بينك وبينه تعالى ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ



وَبَيْنِكَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴿ هَذِهِ النِّعَمُ إِنَّمَا جَاءَتْ حِينَ عَادُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مُعْتَبِرِينَ.﴾

٢٩ - جَهْدُكَ وَعِرْقُكَ وَأَيَّامُ تَعَبِكَ كُلُّهَا لَكَ، لَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْهَا شَيْءٌ ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾.

٣٠ - لَا تَمُنَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِعَمَلِكَ، إِنَّمَا اجْتَهِدْ لِبَنَاءِ مُسْتَقْبَلِكَ ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾.

٣١ - حَتَّى عَمَلِكَ لِلإِسْلَامِ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْكَ أَوْقَاتًا كَثِيرَةً، وَتَمُدُّ بِهِ فِي رِسَالَةِ دِينِكَ هُوَ فِي النِّهَايَةِ لَكَ ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾.

٣٢ - عِرْقُكَ، وَسَفْرُكَ، وَأَيَّامُ سَهْرِكَ، وَغَرَبْتُكَ الَّتِي تَبْذُلُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، هِيَ فِي النِّهَايَةِ لَكَ ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾.

٣٣ - مَعْصِيَتُكَ لَا تُضِرُّ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِنَّمَا آثَارُهَا فِي النِّهَايَةِ عَلَى نَفْسِكَ وَتَارِيخِكَ ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.

٣٤ - أَقْلُوا يَا قَوْمَ مَنْ إِعْرَاضُكُمْ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاسْتَبَقُوا فَضْلًا فِي الْخَيْرَاتِ، وَمَا لَكُمْ وَلِحُسْرَاتِ الطَّرِيقِ ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.

٣٥ - يَكْذُبُونَ فِي طَرِيقِ الْمُنْكَرَاتِ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي بِنَاءِ عَرَى الْبَاطِلِ، وَيَبْنُونَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ صَرْحًا مِنْ هَوًى، وَفِي النِّهَايَةِ يَنْتَهُونَ إِلَى الْهَآوِيَةِ ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.

٣٦ - لِيَتَّهَمُوا جَهْدَهُمْ لِلْخَيْرَاتِ ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ ﴿كَمْ مِنْ أَصْفٍ سَيَبْلُغُ نَفْسُهُمْ يَوْمَ الْحِسَابِ!﴾

٣٧ - الَّذِينَ لَمْ يَسْتَفِيدُوا مِنْ دَرْسِ الْعِبَرَةِ وَالذِّكْرِ أَوَّلًا، سَيُرَوْنَ النِّهَايَةَ فِي أَسْوَأِ

مواقفها آخراً ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْأُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلَوُا تَبَرُّرًا﴾.

٣٨ - في مرّاتٍ كثيرةٍ خرجوا من عنق الزجاجة، ثم ما لبثوا أن عادوا للضلال من
جديد ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْأُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا
دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلَوُا تَبَرُّرًا﴾.

٣٩ - ما زالت الأمة والمجتمعات والأفراد يعيدون تكرار هذه المشاهد مرات
كثيرة في واقعهم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْأُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلَوُا تَبَرُّرًا﴾.



عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
 حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
 وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
 وَجَعَلْنَا أَيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
 السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
 إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُرْفِهِ وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا
 يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأْ كَتَبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
 ﴿١٤﴾ مَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
 عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزِرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
 رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
 فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن
 الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾



التفسير

- ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعدما حصل لكم ﴿وَلَإِنْ عُدْتُمْ﴾ للإفساد ﴿عُدْنَا﴾ لعقوبتكم ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ ﴿٨﴾ محبساً لا يخرجون منها.
- ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أفضل وأحسن في كل شيء ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ ﴿٩﴾ عظيماً.
- ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ فلا يعملون لها ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ هيئنا لهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٠﴾ شديداً.
- ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ﴾ لجهله ﴿بِالشَّرِّ﴾ يدعو على نفسه وولده عند الجزع ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ مثل دعاء ربه بالخير لنفسه وأهله ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ ﴿١١﴾ طبع على العجلة.
- ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ﴾ دالة على قدرة الله تعالى ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ أَلِيلٍ﴾ جعلناه مظلماً ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصَرَةً﴾ مضيئاً ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لتطلبوا فيه ما تحتاجون من أمور معاشكم ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَظَمَةَ الْيَوْمِ﴾ والحساب ﴿مِنْ خَلَالِ تَوَالِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ﴿١٢﴾ فلا تحتاجون إلى شيء إلا وقد بيّنه الله تعالى.
- ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ﴾ عمله ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ ﴿فَلَا فُكَاكَ لَهُ مِنْهُ﴾ ونُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ مفتوحاً فيه كل ما عمله من خير وشر.
- ﴿أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ﴾ لترى فيه عملك ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ﴿١٤﴾ محاسباً لها.
- ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ﴾ فسار على الحق ﴿فَاتِمَّا يَهْدِي لِنَفْسِهِ﴾ فعائد ذلك الخير له ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ فانهرف عن الحق ﴿فَاتِمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ فضلاله على نفسه



﴿وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ لا تحمل نفس وزر غيرها ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾
يوم القيامة ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾ في الدنيا، يدعوهم إلى الحق.

• ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ ظالمة ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ كبارها المنعمين ﴿فَفَسَقُوا﴾
فيها ﴿بِالْمَعَاصِي﴾ ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ أمر الله تعالى بالعذاب ﴿فَدَمَرْنَاهَا﴾
تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ أهلكناها هلاكاً عظيماً.

• ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ أمماً كثيرة، كان نصيبها الهلاك
بكفرها؛ كعاد، وثمود، وقوم لوط ﴿وَكُنِيَ بِرَبِّكَ بِذُنُوبٍ عِمَادٍ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ ﴿١٧﴾
إحاطةً وعلماً.



١ - ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ﴾ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ رسالة
نذير لكل العائدين إلى أخطائهم ومعاصيهم ومخالفاتهم، فحين تعودون
بالإعراض والإفساد، سنعود عليكم بالعذاب والنكال.

٢ - القادم أجمل بكثير من الواقع، بشرط أن نستفيد من درسه، ونعيد بناء حياتنا
على مراد الله تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ﴾ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾.

٣ - أيًا كانت ظروفك السابقة، وأحداثك الماضية، وسالف عهدك، ثمّة موعد مع
الحياة ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ﴾.

٤ - حتى لو تلطّخت بالمعصية، وهويت في الضلالة، وسقطت في حل الخطيئة؛
فالأيام القادمة حاملة بالفأل والأمل إن تبت إلى الله ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ﴾.



٥ - إياك وتكرار المخالفة نفسها، فالعقوبة أقسى ﴿وَلِإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَاَ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾.

٦ - مشكلة الكثيرين أنهم لا يستفيدون من درس الماضي رغم مرارته ﴿وَلِإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَاَ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾.

٧ - حين تخطو الخطوة الأولى في الضلال، تقابلك الخطوة النهائية في الجزاء والحساب ﴿وَلِإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَاَ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾.

٨ - ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ رسالة في مباهج الحياة وأفراح الربيع!

٩ - ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ للتي هي أقوم في نفسك، وبيتك، وولدك، ووظيفتك، وطريق أحلامك وأمانيك.

١٠ - يستحق هذا المعنى أن نهب له من قلوبنا ومشاعرنا، وأوقاتنا وأموالنا ما يشاء ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

١١ - ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ إذا قرأت هذا المعنى بوعي، قطعت له من سنام وقتك، وحافظت على ورده قراءةً وتدبراً، وبعثت بولدك إلى حلق التحفيظ مسروراً، وشاركت في دعم رعاته مبتهجاً، وحمدت الله تعالى في النهاية أنه هداك لكل هذا.

١٢ - لا تسلم ما التي هي أقوم! هبه من وقتك ومشاعرك وقلبك، وستراها رأي عين ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

١٣ - حدثني أن له ورداً لا يُخلُّ به في كل يوم، ويشعر معه بالرواء، وآخر قال لي: أتدبر ثلاث آياتٍ يومياً خفيفة، ولكنها تصنع في قلبي ما أجد به اللذات، وثالث يقول: كلما أرقّت قلبت فيه صفحات الأمل ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.



١٤ - العجلة قبيحة مودية بصاحبها للهلاك ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَنُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ عَجُولًا ۝١١﴾ للدرجة التي يدعو فيها الإنسان على نفسه وولده وماله بالهلاك، كما يدعو لها بالخير، لا فرق.

١٥ - ما أرحم الله تعالى! ماذا لو عاجل داعياً بهلاك نفسه وولده وماله في لحظة غضب؟! ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَنُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ عَجُولًا ۝١١﴾.

١٦ - من أكبر معضلات العجلة في واقعنا، أنها تلاحقنا حتى في علاقتنا مع الله تعالى، ففاتنا منها كل شيء ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَنُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ عَجُولًا ۝١١﴾.

١٧ - ماذا لو منحنا صلاتنا وقتها اللائق بها! ووهبنا لدعائنا وتضرعنا ما يستحق من أوقات، وأفضينا فيه بمشاعرنا لربنا! وجئنا لوردنا في القرآن ونحن مشتاقون فيه للقاء! ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَنُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ عَجُولًا ۝١١﴾.

١٨ - يذهب لصلاته مع الأذان، ويقتطع لورد القرآن نصف ساعة في كل صلاة، ويبقى الضحى مرابطاً في بيت الله تعالى ما بين صلاة وقرآن، ويستعقب من ربه بالاستغفار آلاف المرات، ويتوجه في فجر كل جمعة لزيارة المقابر، ويزور رحمه في المساء نفسه، وإذا أقبلت أيام الصيام أرخى لها المقام، ويمم وجهه لبيت الله تعالى معتمراً كلما شعر بالإجهاد، بمثل هذا تغالب هذه العجلة في واقع كثيرين! ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَنُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ عَجُولًا ۝١١﴾.

١٩ - حتى في اختيار مشروعه داهمته العجلة، ثم اكتشف في النهاية أنه أضاع جزءاً من عمره في غير الطريق ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَنُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ عَجُولًا ۝١١﴾.

٢٠ - كثيرون نادمون على قرار زواجهم، ووظيفتهم، وخصامهم مع الآخرين، ونزاعهم في المواقف، وشرائهم لحاجاتهم. ألقت بهم العجلة إلى سوء النهايات ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَنُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ عَجُولًا ۝١١﴾.

٢١ - الليل والنهار آيتان، لا تفوت منك بكثرة الترداد، تستحقُّ منك الذكرى والاعتبار ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ۝١٢﴾.

٢٢ - معاشك، وتاريخك، وأثرك؛ كلُّها تجري في النهار في هذه الآية المبصرة، وسكونك وراحتك واستقرارك، وأسرار الحب ومشاعر الأشواق، وسكينة الأرواح تجري في ليلك في هذه الساعة المظلمة؛ فتأمل ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ۝١٣﴾.

٢٣ - عملك قرينك الذي لا يفارقك في حياتك اليوم، وفي وساد قبرك، وفي ساحات القيامة؛ فاجعله مورقاً بالحياة ﴿وَكَوَّلَ إِنْسَانٍ الزَّمَنُ طَيْرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَخُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾.

٢٤ - أيها المجهدون في الدنيا! لم يبقَ إلا القليل على أيام النهايات ﴿وَكَوَّلَ إِنْسَانٍ الزَّمَنُ طَيْرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَخُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾.

٢٥ - اصنع هنا ما تشاء فهو كتابك المرقوم في أيام الحساب ﴿وَكَوَّلَ إِنْسَانٍ الزَّمَنُ طَيْرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَخُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾.

٢٦ - لو أخذت هذه الصورة منَّا حقًّا؛ لأعدنا حسابات كثيرة في واقع أيامنا ﴿وَكَوَّلَ إِنْسَانٍ الزَّمَنُ طَيْرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَخُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾.



٢٧ - هدايتك لنفسك، وضلالك عليها، وكل إنسان مسؤول في النهاية عن تبعات عمله وأحداث أيامه ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَاِزْرَةً وَلَا نُزِرْ أُخْرَىٰ ۖ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾.

٢٨ - لن تحمل شيئاً من أوزار الآخرين، إلا ما كنت مساهماً في حدوثه أو ذهابه ﴿وَلَا نُزِرْ وَاِزْرَةً وَلَا نُزِرْ أُخْرَىٰ ۖ﴾.

٢٩ - إذا بلغت جهدك في أسرتك، ومع ولدك وزوجك، وفي دائرة عملك؛ فليس عليك من أوزار المعرضين شيء ﴿وَلَا نُزِرْ وَاِزْرَةً وَلَا نُزِرْ أُخْرَىٰ ۖ﴾.

٣٠ - معاذ الله تعالى أن يعذب أحداً من خلقه، إلا بعد توفر سبل الهداية إليه من كل جانب ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۖ﴾ وأنت لا تحمل أحداً أوزاراً إلا بعد بلوغ غايتك في البيان والبلاغ!

٣١ - كن واحداً من هذه الأنوار التي تبدد الظلام ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۖ﴾.

٣٢ - يمكن أن يكون المعلم والمربي والوالد من حملة هذا النور ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۖ﴾.

٣٣ - هذه سنة الله تعالى الجارية في الكون ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾.

٣٤ - حين يكون المال في أيدي المترفين والفساق والسفهاء، تتحول إلى ألغام تنسف نعم المجتمعات والدول والأفراد ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾.



٣٥ - بعض الأفراد نكبة في تاريخ مجتمعاتهم وأوطانهم وأمهم ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝١٦﴾ ما زالوا بمجتمعاتهم حتى أحلوا عليها الدمار. قاتلهم الله!

٣٦ - لا تقل ما ذنب القرى؟! هي التي أدارت بوائق الشرور من أصلها، وجاءت هذه الخواتيم ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝١٦﴾.

٣٧ - ما كان لهؤلاء السفهاء أن يكونوا سبباً ماحقاً لخيرات واقعهم، لولا مواطنة الجميع ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝١٦﴾.

٣٨ - إذا رأيت منكراً فاشياً، ولم تجد ناصحاً محتسباً، فاحسب أيام نهايات تلك القرى ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝١٦﴾.

٣٩ - لا تستبطئوا هلاك الله تعالى لواقع الفساد، فهذه سننه الجارية في كل مكان ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ۖ وَكَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ۝١٧﴾.

٤٠ - الذين أغاروا على الحياة بالفساد، جعلهم الله تعالى عبرة في التاريخ إلى يومنا هذا ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ۖ وَكَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ۝١٧﴾.



مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ
 جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَن أَرَادَ
 الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ
 سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نَّمُذُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِن عَطَاءِ
 رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا
 بَعْضَهُم عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا
 ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾
 ﴿٢٣﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا
 يَبْتَغَِنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا
 أُنْفٍ وَلَا نَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٤﴾ وَأَخْفِضْ
 لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
 صَغِيرًا ﴿٢٥﴾ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ
 فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّيْبِكَ غَفُورًا ﴿٢٦﴾ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ
 وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذَرْ تَبَذِيرًا ﴿٢٧﴾ إِنَّ الْمُبْذَرِينَ
 كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٨﴾



التفسير

• ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ من كان يقصد بأعمال البر، الدنيا وما فيها من نعيم، وترك العمل للآخرة ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا﴾ أمددناه من متاع الدنيا ﴿مَا نَشَاءُ﴾ ما يشاؤه الله تعالى له ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾ مِمَّن يريد الله تعالى، لا كلَّ راغبٍ في الدنيا ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾ في الدار الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾ يصطلي بحرَّها ونارها ﴿مَذْمُومًا﴾ موصوفاً بصفات الذم ﴿مَذْهُورًا﴾ مبعداً عن رحمة الله تعالى مطروداً منها.

• ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ ما عند الله تعالى من نعيم ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ مما أمره الله تعالى به ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الإيمان الصادق ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾ مقبولا ممدوحاً.

• ﴿كَلَّا نُمَدِّدُ هُوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ أي كلُّ من أصحاب الدنيا وأصحاب الآخرة، نمدهم ونزيدهم، ونعطيهم من فضلنا وإحساننا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ممنوعاً.

• ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الدنيا بسعة الأرزاق والعلوم والعقول والنعيم ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ وما في الآخرة من التفاضل بينهم أكبر بكثير ممَّا في الدنيا.

• ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ مستحقاً للعبادة ﴿فَنَقَعُدَ﴾ فتصير ﴿مَذْمُومًا﴾ موصوفاً بصفات الذم ﴿تَخْذُولًا﴾ من الله تعالى، لا يستقيم لك أمر، ولا يصلح لك حال.



﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴿أَمْرًا أَمْرًا﴾ ﴿أَلَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ﴿فَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾
﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ﴿وَأَمْرًا بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ﴾ ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ
الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ ﴿إِذَا وَصَلَا إِلَى الْكِبَرِ كِلَاهُمَا أَوْ أَحَدَهُمَا﴾
﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ﴾ ﴿فَلَا تَتَضَجَّرْ مِنْهُمَا فَتَتَأَفَّفَ؛ لِأَنَّ حَالَهُمَا دَاعِيَةٌ إِلَى
ذَلِكَ﴾ ﴿وَلَا نَهَرُهُمَا﴾ ﴿تَزَجْرُهُمَا﴾ ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ﴿٢٣﴾
جميلاً لطيفاً.

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ ﴿تَوَاضَعْ لَهُمَا ذِلًّا وَرَحْمَةً بِهِمَا﴾
﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا﴾ ﴿ادْعَ لَهُمَا بِالرَّحْمَةِ﴾ ﴿كَأَيُّ رِيَّانِي صَغِيرًا﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿جَزَاءُ
تَرْبِيَّتِهِمَا أَيَّامَ صَغَرِي﴾.

﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ ﴿مَنِ الْإِحْلَاصُ لَهُ، وَالْبِرُّ بِالْوَالِدَيْنِ﴾ ﴿إِنْ تَكُونُوا
صَالِحِينَ﴾ ﴿فِي نِيَاتِكُمْ وَإِرَادَتِكُمْ وَبِرِّكُمْ بِوَالِدَيْكُمْ؛ فَهُوَ أَعْلَمُ، وَإِنْ تَكُنِ
النِّيَّاتُ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَهُوَ كَذَلِكَ أَعْلَمُ بِهَا﴾ ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾
الراجعين إليه تائبين نادمين ﴿عَفْوًا﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿لَذُنُوبِهِمْ﴾.

﴿وَأَنذِرْ ذَا الْقُرْبَىٰ﴾ ﴿الْقَرِيبَ مِنْكَ نَسَبًا﴾ ﴿حَقَّهُ﴾ ﴿مَنِ الْبِرُّ وَالْإِكْرَامُ وَالْإِحْسَانُ﴾
﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ ﴿وَأَنذِرِ الْفَقِيرَ مِنَ النِّفْقَةِ مَا يَسُدُّ فَقْرَهُ﴾ ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ ﴿وَأَنذِرِ
الْغَرِيبَ الْمَنْقُوعَ مَا يُوَصِّلُهُ إِلَى مَكَانِهِ﴾ ﴿وَلَا بُدْرَ تَبْذِيرًا﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿لَا تَنْفَقْ
مَالَكَ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ﴾.

﴿إِنَّ الْمُبْذَرِينَ﴾ ﴿الْمُنْفِقِينَ أَمْوَالَهُمْ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ، أَوْ عَلَى وَجْهِ
الْإِسْرَافِ﴾ ﴿كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ ﴿عَلَى طَرِيقَتِهِمْ وَشَاكِلَتِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ
يَدْعُونَ إِلَى قُبْحِ الْأَفْعَالِ﴾ ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿جَا حَادًّا﴾
لنعم الله تعالى.

التدبير

١ - حتى الذين يسألون شيئاً من عاجل الحياة، يهبهم الله تعالى ما يشاء ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ، فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨).

٢ - لا تعجبوا! حين ترون نعم الله تعالى تزداد في واقعه، وهو من المعرضين ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ، فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) يأكل عاجلاً، ويتزقّم في النهاية الخسران!

٣ - لا تفرح أن الله تعالى وهب لك ما تشاء في الدنيا؛ فلعل خسراناً يلاحق أيام آخرتك ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ، فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) تأكد من طريقك، وراجع حسابات الآخرة بإمعان.

٤ - حتى في عمل الخير والبر والإحسان، إن أردت ثناءً وتصفيقاً جاءك كما تشاء، وقد لا تجد في الآخرة من تلك الآثار شيئاً ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ، فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨).

٥ - محرومون أولئك الذين يبتغون بأعمال البر شيئاً من متاع الحياة العاجل ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ، فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨).

٦ - الكبار مصمّمون على بلوغ أمانهم كما يشاؤون ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩).

٧ - يستحق أولئك الذين يريدون ما عند الله تعالى هذا الثناء العاطر ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩).



٨ - من سنن الله تعالى الجارية في الكون أنه يمدُّ أهل الحقِّ وأهل الباطل على حدٍّ سواء ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَتُوْلَاءَ وَهَتُوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ﴿٢٠﴾.

٩ - الدنيا ليست بدار جزاء حتى نستغرب إمداد الله تعالى لمثل هؤلاء ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَتُوْلَاءَ وَهَتُوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ﴿٢٠﴾.

١٠ - إمداد الله تعالى للكافر والمنافق والفاجر، من أعظم الأدلة على أن الدنيا لا تساوي عند الله تعالى شيئاً ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَتُوْلَاءَ وَهَتُوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ﴿٢٠﴾.

١١ - عطاء الله تعالى وإمداده في الدنيا، ليس لصالح أو زكاء أو فلاح، كلا! وإنما يعطي الله تعالى كل إنسان ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَتُوْلَاءَ وَهَتُوْلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ﴿٢٠﴾.

١٢ - إذا رأيت هذا التفاوت بين العالمين في المنازل والوظائف والمراتب؛ فمدِّ عينك إلى ساحات الآخرة، هذا العاجل يُعطيه الله تعالى من شاء، وذاك لا يعطيه إلا من يحب ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾.

١٣ - إذا هزَّكَ الشوق إلى نعيم الدنيا، ومراتب القوم، ومواقع المسؤوليات؛ فيمَّم وجهك إلى هناك ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ هذا عاجل طفيف، وذاك كبير مشير! ما أبعد الفرق!

١٤ - ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ ﴿٢٢﴾ دعوة لتأليه القلوب لربها كل حين!

١٥ - هذه عواقب الشرك في النهاية ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ ﴿٢٢﴾.

١٦ - لا دنيا عاجلة ينالها المشرك، ولا آخرة ينتظرها ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ ﴿٢٢﴾.

١٧ - من عظمة البر بالوالدين أن جعله الله تعالى قريناً لتوحيده ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ فانظر واقعك منه!

١٨ - جمال برك بوالديك، ليس ما تقدّمه أيام عزهما وصحتهما وعافيتهما، أيام الكبر والعجز هي الشواهد الصادقة ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾.

١٩ - كم من والدٍ أنجب فتاماً من الخلق، ولم ينتفع منهم بشيء! وكم من والد أنجب أفراداً، فطافوا به في مراتع النعيم! ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾.

٢٠ - ألقى كلمةً في أحد المساجد؛ فأخذني كبيرٌ سنٍّ إلى زاوية المسجد، وقال لي: لِمَ لا تتحدثون عن البر! ولدي البارحة دخل بعشائه لزوجي، وتركني وأمه نفتات من بقايا الغداء، مع أننا في بيتٍ واحدٍ لا يفصلنا سوى جدار ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ



كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾.

٢١ - وقال لي آخر: وجدت عجوزاً تبكي، لم تأكل منذ يومين؛ فقلت لها: لم؟ قالت: أسطوانة الغاز انتهت، فقلت لها: لو وقفت على الطريق العام لأخذها أحد المارة؛ فقالت: لا أملك مالاً لتعبئتها، فقلت لها: وبطاقة الضمان الاجتماعي؟ قالت: أخذها ولدي منذ سنتين، ولم يعدها لي ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

٢٢ - وأعرف كثيرين، رابطوا على آبائهم وأمهاتهم، رباط المجاهدين حتى رحلوا وهم عنهم راضون ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

٢٣ - إياك أن يخرج من فمك تأفُّت عارض؛ فذلك نكران تواجه به جميل الأزمان! ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾.

٢٤ - حتى لو لم يسمعوا تأفُّك؛ فقد يبلغ عنان السماء، وتستحق به الجزاء ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾.

٢٥ - مهما بلغ صنيعك في وداعهما، لن تبلغ شيئاً من أسقام أيامهم التي عانوها ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾.

٢٦ - جملة من أبناء المسلمين لم يعودوا يتأفون، ولا ينهرون، بل يخاصمون ويسبّون! ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤﴾.

٢٧ - هذا مراد الله تعالى منك، فما أنت صانع فيه؟! ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤﴾ خمسة حقوق يذكرك الله تعالى بها في مشاهد الختام.

٢٨ - ليس مجرد خدمة تقدّمها لمن أسدى إليك جميلاً يوماً ما، بل ترد جميله، ولسانك لا يفتر من الدعاء ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤﴾.

٢٩ - حتى ما يجري في داخل نفسك، وعمق مشاعرك مع والديك أثناء الخدمة، فالله تعالى يراه ويرقه ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ٢٥﴾.

٣٠ - هذا يجتهد في عون والديه أيام الكبر، يرجو بذلك ما عند الله تعالى، وذاك يتصنع ذلك ظاهراً، وقلبه ممزوج بالضجر، ما أبعد الفرق! ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ٢٥﴾.

٣١ - هل تأملت مصلياً وهو متضجّر من طاعة ربه، أو بارّاً بوالديه وهو متأفّف من طاعتهما؟! لا فرق ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ٢٥﴾.



٣٢ - طاعة والديك، إن لم تأت من قلبك ومشاعرك في أثواب الفرح، فلا قيمة لها في واقعك ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾.

٣٣ - ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ دعوة لإغاثة المحتاجين والملهوفين وأصحاب الحاجات.

٣٤ - ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ البداية بالأقرب دعوة لإدارة الأولويات.

٣٥ - التوازن قضية لم تأخذ حظها في أوساط المسلمين بعمق ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا بُدَّرَ تَبَذُّرًا﴾ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾.

٣٦ - المسافة بين العطاء المأمور به الذي يسدُّ حاجة الفقراء والمساكين، وبين التبذير المنهجي عنه، هي مسافة التوازن التي تدعو إليها الشريعة، وتحرض على معانيها ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا بُدَّرَ تَبَذُّرًا﴾ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾.

٣٧ - صور التبذير اغتالت كثيراً من نعم الله تعالى ﴿وَلَا بُدَّرَ تَبَذُّرًا﴾ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾.

٣٨ - حتى في مسائل الكرم، تجاوزت حدّها، وبلغت الإسراف المنهجي عنه ﴿وَلَا بُدَّرَ تَبَذُّرًا﴾ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾.

٣٩ - المؤلم أن كثيراً من ولائم العرس أو الضيافة، باتت تلقى في النفايات، وعلى الطرقات العامة ﴿وَلَا بُدَّرَ تَبَذُّرًا﴾ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾.

٤٠ - زرتة لأول مرة؛ فقدم لي طعاماً في إناء وبجانبه إناء صغير، فبقيت أنتظر ماذا يصنع لجهلي بذلك، وعرفت أنه أراد مني أن آخذ من إناء الطعام في ذلك الإناء الصغير ما يكفيني، والباقي يتم حفظه والاستفادة منه في مستقبل الأيام ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (٣٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٣٧﴾.

٤١ - التبذير ليس خاصاً بالطعام، بل يجري في مركوباتك وملبوساتك، ووسائل الاتصال، وكل ما يمكن أن يكفي بعضه عن بعض ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (٣٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٣٧﴾.





وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا
مَّيسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي
الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

التفسير

• ﴿وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾ وإذا أعرضت عن إعطاء هؤلاء لعدم وجود ما تعطيهم ﴿أَبْتَعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ في انتظار ما يفتح الله تعالى به عليك من خير ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ (٢٨) سهلاً لِّينَا، ووعداً جميلاً، واعتذاراً مقبولاً.

• ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ لا تكن شحيحاً بخيلاً، كحال من يده مربوطة في رقبته، لا يستطيع التصرف بها ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ يدك ﴿كُلَّ أَلْبَسَ﴾ تنفق كل ما في يدك من مال ﴿فَفَقْعَدَ﴾ فتصير في النهاية ﴿مَلُومًا﴾ من الناس ﴿مَحْسُورًا﴾ (٢٩) منقطعاً عن نفع نفسك وأهلك، عاجزاً عن الوصول إلى مبتغاك، بل كن متوسطاً في نفقتك.

• ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ يوسِّعه على أناس ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يُضَيِّقُه على آخرين ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠) فيعطي كل واحد منهم ما يصلح لحاله.

• ﴿وَلَا تَقْلُوبُوا أُولَدَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ خوفاً عليهم من الفقر ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ نحن نتولَّى رزقهم ورزقكم ﴿إِنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ خِطَاءً كَبِيرًا﴾ (٣١) ذنباً عظيماً.

• ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّمَا كَانَ فَرْحَةً﴾ فعلة ذميمة قبيحة ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢) بس السبيل!

• ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كالنفس بالنفس، والزاني المحصن، والتارك لدينه ونحوهم، ممَّن ورد الشرع بقتله ﴿وَمَن قُتِلَ



مَظْلُومًا ﴿بَغِيرِ حَقٍّ﴾ فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ ﴿مَنْ تَوَلَّى أَمْرَهُ مِنْ عَصْبَتِهِ وَوَرِثَتِهِ﴾ سُلْطَنًا ﴿حِجَّةً وَتَسْلُطًا عَلَى الْقَاتِلِ؛ فَإِنْ شَاءَ قَتَلَ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا، بِلَا قَصَاصٍ وَلَا دِيَّةٍ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنِ الْقَصَاصِ وَأَخَذَ الدِّيَّةَ﴾ فَلَا يُسْرِفُ ﴿مَنْ تَوَلَّى أَخَذَ حَقَّهُ﴾ فِي الْقَتْلِ ﴿كَأَنْ يَجَاوِزَ الْحُدَّ الْمَأْذُونُ لَهُ فِيهِ شَرْعًا، فَلَا يَمِثُلُ بِهِ أَوْ يَعْذِبُهُ﴾ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ مُؤَيَّدًا مُعَانًا؛ لِأَنَّهُ صَاحِبُ حَقٍّ.

• ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كَحِفْظِهِ وَالتَّجَارَةِ فِيهِ، وَالْعَمَلِ عَلَى تَنْمِيَّتِهِ ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يَبْلُغُ وَيَكُونُ رَاشِدًا ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ وَهُوَ كُلُّ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَلْقِهِ مِنْ عَهُودٍ وَمَوَاقِثٍ ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٤﴾ مَسْئُولِينَ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى.

• ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ أَتَمُّوهُ وَأَكْمَلُوهُ ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْمُسْتَقِيمِ﴾ الْمِيزَانَ الْمَعْتَدِلَ ﴿ذَلِكَ﴾ إِيفَاءُ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ ﴿خَيْرٌ﴾ لِلْإِنْسَانِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٣٥﴾ عَاقِبَةُ وَمَرْدَأٌ.

• ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ لَا تَتَّبِعْ مَا لَا تَعْلَمُ، وَلَا مَا لَا يَنْفَعُكَ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٦﴾ مَسْئُولٌ عَنِ سَمْعِكَ وَبَصْرِكَ وَقَلْبِكَ.

• ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ كِبْرًا وَبَطْرًا ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ بِمَشْيِكَ عَلَيْهَا تَكْبِيرًا ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ ﴿٣٧﴾ وَلَنْ يَبْلُغَ طَوْلُكَ الْجِبَالَ.

• ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ مَا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ﴿كَأَنَّ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ ﴿٣٨﴾ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ تَعَالَى وَيَبْغِضُهُ.



التدبر

١ - لا تجرح قلوب المحتاجين؛ إن لم تجد ما تدفع به جوعهم وفقيرهم، فابعث في حياتهم أملاً، وذكّرهم أنك ستكون إلى جوارهم في قادم الأيام ﴿وَأِمَّا تَعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ (٢٨).

٢ - إلا الخواطر؛ إياك أن تبقي فيها ما يبدد أفراحها ﴿وَأِمَّا تَعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ (٢٨).

٣ - يا لجمال هذا الدين! يوصيك ألا تفتح باب يأس، أو تكسر خاطر محتاج ﴿وَأِمَّا تَعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ (٢٨).

٤ - ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (٢٩).
دعوة لذلك المفقود الكبير (التوازن).

٥ - ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (٢٩).
هذا ليس في المال فحسب، بل تجري هذه الفضيلة في كل شيء من حياتك، لا فرق!

٦ - الوسطية دعوة هذه الحنيفة السمحة ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (٢٩).

٧ - الإفراط والتفريط مذمومان في كل شيء ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (٢٩). ما أحوجنا للتوازن!

٨ - هذا مد الله تعالى له في رزقه، وذاك خاوي اليد، ذلك قدر الله تعالى وحكمته ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٢٠).



٩ - إذا لم يمدَّ الله تعالى لك في الرزق؛ فاعمل لطفه بك سبق هواك ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠).

١٠ - لا تقلق لفقرك؛ لعل الله تعالى أراد أن يخفف عنك حساب يوم القيامة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠).

١١ - ماذا لو وقع في يدك المال، وأشغلك عن ذكره، وبلغ بك مهاوي الردى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠).

١٢ - أراد الله تعالى أن يختبر من مده بالمال بالسَّراء، ويختبر من أمسك عليه رزقه بالضَّراء ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠).

١٣ - من بسط الله تعالى له في الرزق، لينظر كم يدفع من هذا المال لدينه ورسالته! وسيعرف حينها هل نجح في ابتلاء السراء أو سقط ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠).

١٤ - حين تخرب العقائد، ولا يكون لها مقام في قلب صاحبها ﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَدَكُمُ خَشْيَةً إِمَّا لَقِيَ النَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمُ إِنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ خِطَاءً كَبِيرًا﴾ (٣١) يقتلون أولادهم خشية الفقر. عقائد خربة!

١٥ - قبل أن تقارف هذه الرذيلة، تجنب طريقها، وفرّ بنفسك من قربان حيطانها ومراعيها ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢).

١٦ - إذا أمنت نفسك في الحمى فستكون من الرعاة^(١) ولو طال زمان الحمى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢).

(١) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام؛ كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه...» رواه البخاري ومسلم.



١٧ - رأيت في أيام الصبا كل من قارب بمواشيه زرع غيره دخل مراراً ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢) ورأيت كل من قال لصاحب المواشي: إياك فقال: لا عليك؛ أنا قريب منها، ثم ما لبث أن رعت مواشيه في كل شيء.

١٨ - كل شيء له حمى تستبيحه ستقع في خطره، أما حمى المرأة فالموت ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢).

١٩ - كل شيء حذر منه النبي ﷺ وتساهل فيه أتباعه وقعوا على وجوههم في آثاره مراراً ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢).

٢٠ - «إياكم والدخول على النساء»، «الحمو الموت!»، «لا يخلون رجلٌ بامرأةٍ إلاَّ كان الشيطان ثالثهما»^(٢)، «لا تسافر امرأة إلاَّ مع ذي محرم»^(٣). كل من خالفها اكتوى بنيرانها مع الأيام ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢).

٢١ - إذا كان المعاهد من الكفار وتحرم الشريعة قتله، فكيف بأهل الإيمان! ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣).

٢٢ - الذين استحلوا دماء المسلمين، كيف يلقون الله تعالى يوم الحسرات؟! ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣).

(١) الحديث رواه البخاري برقم (٥٢٣٢) ومسلم برقم (٢١٧٢) عن عقبة بن عامر، ونصه: «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت». والحمو: أقارب الزوج.

(٢) الحديث رواه أحمد في المسند برقم (١٥٦٣٦) وهو في سياق حديث طويل: «... ألا لا يخلون رجلٌ بامرأةٍ لا تحل له فإن ثالثهما الشيطان...» ورواه الترمذي برقم (٢١٦٥).

(٣) الحديث رواه أحمد في المسند برقم (٣٢٣١) ورواه البخاري برقم (١٨٦١).



٢٣ - من بدائع جمال هذه الشريعة أنها تحفظ حقوق الآخرين بإمعان ﴿وَلَا تَقْتُلُوا
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا
يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣) حتى الذين رحلوا جعلت لهم من
يطالب باستيفاء حقوقهم.

٢٤ - مكنت أصحاب الحقوق من استيفاء حقهم، وحذرتهم من الاعتداء (زاوية
من الجمال والعدل) ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا
فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣).

٢٥ - رأيت سلطان الولي في ساحات القتال، تتعلّق به أمم من أجل فكاك القاتل،
وهو يدير هذا الشأن بالرفض أو القبول ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣).

٢٦ - إنّ شريعة تحفظ حقك حتى بعد موتك، وتقوم بواجبك، وتستردّ لك دمك
المفقود؛ لهي شريعة حقيقة بالإجلال ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣).

٢٧ - الشريعة تصون أموال اليتامى من أن تستباح ببغي وعدوان، أو تساهل أو
تفريط ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (٣٤).

٢٨ - إذا ولاك الله تعالى على أيتام فارقب حقهم؛ فهم وصية الله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا
مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (٣٤).

٢٩ - كم من وكيل على أيتام تسلّط على أموالهم طيلة حياته، وبقوا ينتظرون منه
الوفاء لضرورياتهم! ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (٣٤).

٣٠ - ماذا لو عاد والد على وكيل أولاده، وقد استباح حقوقهم في الفوضى؟!
﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (٣٤).

٣١ - الوفاء بالعهود دليلُ صدقٍ وإيمانٍ ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.

٣٢ - كم من عهدٍ قطعته على نفسك، ستدار عليه سؤالات الحساب! ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.

٣٣ - العهود موثيقٌ بين الإنسان وربه، والخلف فيها مؤذنٌ بنهايات السوء ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.

٣٤ - حتى العهود التي تجريها مع الناس، تقع عليها التبعات نفسها ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.

٣٥ - إياك وبخس الموازين ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣٥).

٣٦ - هذه الوصية ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣٥) تجري في المكيال الحسبي، كما تجري في المكيال المعنوي، لا فرق!

٣٧ - إذا أعطاك ديناً فأعده وافياً، وإذا بلغك سلاماً فردّه بأجمل منه، وإذا عاشرك بالمعروف فابسط له جانب الحب، وإذا منحك ودّاً فافتح له مشاعر الشوق ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣٥).

٣٨ - إياك أن تتفحّم المجاهيل ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣١).

٣٩ - لا أدري: هي دواء تلك المجاهيل التي لا نعرفها! ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣١).



٤٠ - إياك أن تتقَّحَ علماً لا تعرفه، أو تخصَّصاً لا تفقه فيه، أو مجالاً ليس من شأنك ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

٤١ - كم من سؤالٍ عن هذه الجوارح، يحتاج إلى جواب! ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

٤٢ - الكلمة مسؤولية ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

٤٣ - كل ما يخرج من فمك، وما يدخل قلبك وسمعك سيُدار عليه السؤال، وتجري عليه موازين الأعمال ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

٤٤ - الذين يصنّفون الناس، ويخونون في النيات، ويتهمون المسلمين، عليهم أن يُعدّوا لذلك جواباً كافياً، للخروج من تبعات السؤال ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

٤٥ - كثيرون ينفقون ويتهمون ويصنفون، وفاتهم تحذير الوحي ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

٤٦ - الكبر والخيلاء ليست من أخلاق المؤمنين في شيء ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾.

٤٧ - كأنما يحكي الله تعالى أرواح المتكبرين وأصحاب الخيلاء، وهم يتبخثرون في الأرض ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾
ما أشأم الكبر!

٤٨ - مشكلة المتكبر ليست في مشيئته فحسب، وإنما في ردّه للحق، ودعواه بالباطل، ومواجهة الحقائق باستعلاء ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٣٧).

٤٩ - المتكبر لا يقبل حقاً لا في بيته، ولا مع زوجه وأسرته، ولا مع جاره وقريبه، ولا مع زميله ورفيق دربه، سيظل مصراً على أن الحق معه وله ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٣٧).



ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمُ
 بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
 قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا
 ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ
 السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
 لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ
 الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
 مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ
 وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا
 ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ
 إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ انْظُرْ
 كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾
 وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

التفسير

- ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ ما تقدم ذكره من التكاليف الشرعية التي أمر الله تعالى بها ﴿مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ مما اقتضته حكمة الله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ﴾ خالداً مخلداً فيها ﴿مَلُومًا﴾ من الله تعالى ﴿مَذْحُورًا﴾ ﴿٢٩﴾ مبعداً مطروداً من رحمة الله تعالى.
- ﴿أَفَاصْفَكُمْ بِرَبِّكُمُ الْبَيْنِينَ﴾ خصّكم بالبينين وفضلكم بهم ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا﴾ وجعل لنفسه الإناث ﴿إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ كبيراً في الجرم والكذب.
- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ نوّعنا وبيّنا ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ يتعظون ويتدبرون ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ ما زادهم ذلك إلا بعداً عن الحق ونفوراً.
- ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ﴾ مع الله تعالى ﴿إِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ كما يدعون ويعتقدون ﴿إِذَا لَا تَنفَعُوا﴾ هؤلاء الآلهة ﴿إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٢﴾ إلى الله تعالى طريقاً يوصلهم إليه لينازعوه في ملكه ويقاسموه فيه.
- ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿٤٣﴾ تنزه الله تعالى وعلا وتعاضم عن قول هؤلاء السفهاء عما يقولون علواً كبيراً.
- ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ لله تعالى ﴿السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ كلها تنزه الله تعالى عن كل نقص ﴿وَأَن مِّن شَيْءٍ﴾ في الكون ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ينزه الله تعالى، ويشني عليه بلسان الحال ﴿وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لا تعرفونه ولا تميزونه ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ فلا يعاجل بالعقوبة ﴿غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ لذنوب المخطئين.



• ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ (٤٥) مانعاً وحاجزاً عن فهمه والعمل به.

• ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ حتى لا يفهموه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً عن سماعه ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (٤٦) تركوك فلم يستمعوا إليك.

• ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ أعلم بحالهم وقت الاستماع إليك؛ فإنهم يستمعون مستخفين مستهزئين ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ وكذلك يستمعون إليك وهم يتناجون فيما بينهم ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ في مناجاتهم ﴿إِنْ تَنبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ (٤٧) مغلوب على عقله.

• ﴿أَنْظِرْ﴾ تأمل ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ بأنك كاهن وساحر ومجنون ﴿فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (٤٨) فلا يهتدون بذلك إلى طريق الحق.

• ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفْنًا﴾ بعد أن نموت ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٤٩) لا يكون ذلك ولا يمكن أن نعود خلقاً من جديد.



١ - لا تقل: لِمَ تلك النواهي؟! تلك هي حكمة الله تعالى وبالغ علمه وهده **﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾**.

٢ - كل الذين تساءلوا عن حكمة الله تعالى في بعض النواهي مستبعبدين، عادوا



في النهاية إليها مدعنين ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ كالذين استبعدوا بعض الشروط في البيوع، ثم لما وقعوا في آثارها السيئة عادوا نادمين.

٣ - من كمال عقلك ووعيك، أن تُسلم لكل حكم في الشريعة بلغتك حكمته، أو لم تعرف من ذلك شيئاً ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾.

٤ - ليتك تحضر قلبك هنا، هذا النهي لنبي ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ فلذ بحمى الله!

٥ - ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ ليس الخوف عليك من ترك الهداية، بل الولوغ في مستنقع الشرك!

٦ - «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يَصْرِفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»^(١). ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

٧ - ما أكثر ما نركي أنفسنا، والله تعالى يذكر نبيه ألا يلقي بقلبه في نهايات المشركين ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

٨ - ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ رسالة ألا تستعظم صلاحك وإيمانك وعملك! ورسالة أن تضع يدك على قلبك من القلق والخوف أن تكون في حياض الشرك والمشركين.

٩ - ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ لا يأتي على بالك شرك الحجر والوثن، وإنما تعظيم المخلوقين والعادات!

١٠ - الجهل بالله تعالى يصنع هذه الموبقات ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾.



١١ - ﴿ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا ۚ إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٤٠﴾
محكمة عقلية تصلح لهؤلاء الجهلاء!

١٢ - إذا أقمت درساً، أو ألّفت كتاباً؛ فنوّع فيه قدر وسعك، حتى يكتب له انتشارٌ في واقع الحياة ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ ﴿٤١﴾ .

١٣ - التنوّع والتجديد في الحياة طارِدٌ للسَّامة والملل، مثيرٌ للبهجة والفرح ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ ﴿٤١﴾ .

١٤ - من ملامح هذا المعنى أن الروتين قاتل، وصناعة التجديد فن ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ ﴿٤١﴾ .

١٥ - الضلال لا نهاية له ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ ﴿٤١﴾
رغم كل ما ذكر به القرآن لم ينتفعوا به في شيء.

١٦ - ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُغْوَا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ محكمة عقلية لمن لا يتخذون الشريعة منهجاً.

١٧ - كلُّ ما تراه عينك من هذه المخلوقات يسبح لله تعالى، ويقوم بدوره كما خلق له ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۚ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ﴿٤٤﴾ .

١٨ - ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۚ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ﴿٤٤﴾ حقيقةٌ تحتاج إلى تفكيرٍ وتأملٍ كبيرين!

١٩ - هذا جمادٍ يقوم بدوره، وذلك إنسانٌ يلوي عنقه معرضاً عن الهداية ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۚ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ﴿٤٤﴾ .



٢٠ - هذا هو جزاء إعراض الضالين ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (٤٥) وجعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقْرًا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولولوا على أدبرهم نفورًا ﴿٤٦﴾.

٢١ - النهايات معقودة على البدايات، صالحة أو سيئة ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (٤٥) وجعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقْرًا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولولوا على أدبرهم نفورًا ﴿٤٦﴾.

٢٢ - المعصية لا تدمي قلبك فحسب، وإنما تغلق منافذ الهداية، وتسد عنها منابع التوفيق ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (٤٥) وجعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقْرًا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولولوا على أدبرهم نفورًا ﴿٤٦﴾.

٢٣ - نيتك مطيتك للخيرات أو الضلال ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٤٧) انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوهم فلا يستطيعون سبيلاً ﴿٤٨﴾.

٢٤ - كم من حاضر للخير قصد الضلال! ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٤٧) انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوهم فلا يستطيعون سبيلاً ﴿٤٨﴾.

٢٥ - لا تتوقع من القلوب العمياء إلا هذه النتائج ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَآتَانَا لَمْبَعُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٤٩).

٢٦ - إذا غابت الرؤية غاب كل شيء ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَآتَانَا لَمْبَعُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٤٩).



٢٧ - هؤلاء غابت عنهم الرؤية الكلية، وآخرون غابت عنهم أجزاء وتفاصيل تلك الرؤية، فيلهون في الطريق، وتفوتهم خيرات كثيرة ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ٤٩.

٢٨ - التي تحضر عرساً ماجناً، والتي تخلع ثياب الحشمة والحياء، والذي يرضي مخلوقاً في سخط الله تعالى؛ كلهم فاتهم بعض الرؤية الصحيحة في الطريق ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ٤٩.





﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي
 صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن
 يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجِئُونَ بِحَمْدِهِ
 وَتَقْتُلُونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢﴾ وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ
 أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَنِ
 عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ
 يُعَذِّبْكُمْ ۖ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
 بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ
 وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۝٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ ۖ فَلَا
 يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
 يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
 رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾
 وَإِن مِّن قَرِيبٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا ۚ قَبْلَ يَوْمِ الْفَيْصَةِ أَوْ
 مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝٥٨﴾



التفسير

- ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾ أي لو كان خلقكم من حجارة وحديد
﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ أو كنتم خلقاً أعظم من ذلك؛
فسيبعثكم الله تعالى من جديد ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ أحياء مرة ثانية
﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الذي خلقكم أول مرة وأنتم لا شيء
﴿فَسَيَنْفِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ يحركونها سخريّة واستهزاء ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى
هُوَ﴾ البعث؟ ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ لعله أن يكون قريباً.
- ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ للبعث والجزاء ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ تنقادون لأمره
﴿وَتَقْتُلُونَ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ في الدنيا.
- ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ليختاروا أحسن الكلام، وأجمله،
وأعذبه ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ يفسد فيما بينهم بالكلمة السيئة ﴿إِنَّ
الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ عدواً ظاهراً واضحاً.
- ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ من أنفسكم ﴿إِنْ يَشَأْ يُرَحِّمَكُمْ﴾ بفضله وإحسانه ﴿أَوْ إِنْ
يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ بعدله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا رسول الله ﴿عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾
حفيظاً ورقياً.
- ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا يغيب من علم ذلك عنه شيء
﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ كإبراهيم فإنه خليله، وموسى كليمه،
وعيسى كلمته وروحه، ومحمد خاتمهم وأفضلهم صلوات الله عليهم
جميعاً وسلامه ﴿وَعَائِدَتَنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ كتاباً وهو الزبور.



- ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ من الآلهة ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ﴾ فلو دعوتهم لم يملكو دفع الضر الذي يصيبكم ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿٥٦﴾ ولا يملكون تحويله وصرفه إلى غيركم.
- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يدعونهم من الملائكة والأنبياء والصالحين ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ﴾ يتنافسون في حصول ﴿الْوَسِيلَةَ﴾ القربة والطاعة ﴿أَيْهِمْ أَقْرَبُ﴾ من الله تعالى ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ ﴿٥٧﴾ حقيق بالحرر منه، والمعنى أن الملائكة والأنبياء والصالحين الذين يدعونهم هم أنفسهم يطلبون ما يقربهم.
- ﴿وَإِنْ مِنْ قَرِيبَةٍ﴾ ما من قربة ظالمة ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْفَيْكَمَةٍ﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الدنيا ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ﴿٥٨﴾ مقدراً مكتوباً.

التدبير

١ - ثمة يوم للحساب، وموعد للجزاء والقصاص ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ﴿٥٩﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥٩﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٩﴾ كونوا ما شئتم، ستدار عليكم أيام الجزاء.

٢ - أياً كانت قدراتك وملكاتك وحضارتك، لن تستطيع أن تملك واقعاً من أحداث ذلك اليوم ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ ﴿٥٩﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ



مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ بِحَمْدِهِ وَتُظَنُّونَ
إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾.

٣ - رَتَّب وضعك، وأدر شأن حياتك، واصنع مجدك لذلك اليوم، وإياك
وغفلات الضالين! ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي
صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ
وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ
بِحَمْدِهِ وَتُظَنُّونَ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾.

٤ - الكلمة دين، وإذا وجدت عناية صنعت واقعها يامعان ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾﴾.

٥ - اختيارك لحسن ألفاظك، وعنايتك بذلك عبادة من العبادات، التي تزيد بها
مساحة حسناتك وأثرك في الحياة ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ
يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾﴾.

٦ - ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ
لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ رسالة في أناقة الشريعة وجمالها، وحرصها ألا تكلم
القلوب، ولا تجرح النفوس!

٧ - في حوارك مع زوجك وولدك وصديقك وزميلك، أو حتى مع من يجادلوك،
اختر كلمتك بعناية ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ
الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾﴾.

٨ - وفي حديث نبيك ﷺ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبِثْتُ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِستُ
نَفْسِي»^(١)، لأنَّ الثانية رائعة على لسان صاحبها ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾﴾.

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها.

٩ - قال إبراهيم للشافعي، وهو يكتب في الجرح والتعديل: (فلان كذاب) قال: يا إبراهيم! لا تقل فلان كذاب، قل: فلان ليس بشيء، أفسد ألفاظك أحسنها! ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٥٣).

١٠ - اختيارك للكلمة الطيبة إبطالاً للطريق التي يتسلل منها الشيطان للإغواء ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٥٣).

١١ - قلوب كثيرين كالزجاج، إذا خُذِشَتْ لا تقبل الإصلاح؛ فترقق بمن حولك، وأدر كلماتك بعناية ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٥٣).

١٢ - تذكر وأنت تتحدث أو تحاور، أو تناقش أن هذه المساحة من المساحات التي يدير فيها الشيطان شأن المعركة، ويستثمر مواقفها لصالحه ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٥٣).

١٣ - أصلحوا أعمالكم، واصدقوا مع ربكم، واستثمروا كل مساحة لدينكم؛ فالله تعالى لا يخفي عليه من أثاركم شيء ﴿وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (٥٤).

١٤ - كل ما يجري في الكون في علم الله تعالى، لا يغيب عنه شيء ﴿وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (٥٥).

١٥ - ترفق في خلواتك وأسرارك، وأحداث قلبك؛ فالله تعالى يطَّلِعُ ويحاسب ﴿وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (٥٥).



١٦ - الحياة لا تستقيم على شيء واحد، فالمفاضلة بين الناس بعض مظاهر جمالها وأناقتها ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۖ﴾ ﴿٥٥﴾.

١٧ - لله تعالى حكم كثيرة، تفوق فكرك وعقلك في مفاضلة الأنبياء والعالمين بعضهم على بعض ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۖ﴾ ﴿٥٥﴾.

١٨ - في مقابل كل فضل واجب من العبادة، يجب ألا يغيب عن نظرك ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۖ﴾ ﴿٥٥﴾.

١٩ - غير الله تعالى لا يملك لك شيئاً، فلا تضيع وقتك، وتشعب قلبك في الظلام ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۖ﴾ ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ كل الخلائق يرجون رحمته ويخافون عذابه.

٢٠ - القرى المعرضة، والمجتمعات الضالّة على موعد مع سوء النهايات، وإن طال أمدها ﴿وَلَنْ مِّن قَرِيبٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۖ﴾ ﴿٥٨﴾.

٢١ - إذا رأيت إعراضاً عاماً، ولا مصلح يدير شأن الإنكار، فترقب حلول عذاب الله تعالى مع الأيام ﴿وَلَنْ مِّن قَرِيبٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۖ﴾ ﴿٥٨﴾.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَأَلَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا
تَخَوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
جَعَلْنَا الرِّيَاءَ الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي
الْقُرْآنِ وَتَخَوَّفُوهُمْ فَمَا يُزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ
قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ
أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْتَ عَلَىٰ لَيْنٍ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأُحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفِزُّ مَنِ اسْتَطَعَتْ
مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرُورًا
﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ
وَكَيْلًا ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ
لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾



التفسير

- ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ الدالة على صدق الرسل ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ إلا تكذيب المكذبين، وعدم اعتبارهم لها ﴿وَأَيْنَا ثُمُودَ﴾ قوم صالح ﴿الْثَّاقَةَ مَبْصُرَةً﴾ بيّنة واضحة ﴿فَطَلَمُوا بِهَا﴾ لم يعتبروا بها ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا﴾ ﴿٥٩﴾ يخوف الله تعالى بها عباده، لأجل أن يعودوا.
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ علماً وقدره ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ وهي ما شاهده في ليلة الإسراء والمعراج ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ ليتميز المؤمن، وليعرف الصادق ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ شجرة الزقوم التي تنبت في أصل جهنم هي كذلك، ممّا جعلها الله تعالى فتنة للناس، بين مصدّق بخبر الله تعالى فيها وبين مكذّب ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بالآيات والعظات والعذاب ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ ﴿٦٠﴾ إلا فساداً وتمرداً وعداء.
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾: واذكر أيها الرسول إذ قلنا ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجود تحية وإكرام ﴿فَسَجَدُوا﴾ أي الملائكة ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ أبى أن يسجد ﴿قَالَ اسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ ﴿٦١﴾ أسجد لمن خلقته من الطين، وأنا أشرف منه خلقاً ﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ يقصد آدم ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأُحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ﴾ لأستولينّ عليهم بالإغواء ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٦٢﴾ ممّن لا سبيل لي عليه.
- ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ﴾ أطاعك ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ مردّكم وعاقبتكم جميعاً ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ ﴿٦٣﴾ كاملاً لا بخس فيه.
- ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ استخفّه بدعوتك إلى المعصية ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ﴾ أجمع وصح عليهم ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ بجنودك



الراكبين والراجلين في معصية الله تعالى ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ بجمعها من طريق غير مباح، وإنفاقها في الوجوه المحرمة ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ بإنجابهم من وجوه محرمة، وعدم رعايتهم وتربيتهم ﴿وَعَدَهُمْ﴾ أعطهم وعوداً كاذبة ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿٦٤﴾ باطلاً لا حقيقة له.

- ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ المتقين منهم ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ لا طريق لك إلى إضلالهم ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ ﴿٦٥﴾ يدفع عنهم كل سوء تريده بهم.
- ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي﴾ يسير ويجري ﴿لَكُمْ الْفُلُكُ﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ لِيَبْغُوا﴾ من فضله ﴿لَتَنْتَفِعُوا بِذَلِكَ﴾ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ في دينكم ودنياكم.

الاستدبر

- ١ - لطف الله تعالى ورحمته بعباده، يبعث لهم رسله، وينزل عليهم كتبه، ومع ذلك يزيدهم من الآيات رغبة في إقناعهم ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ وَأَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا ﴿٥٩﴾.
- ٢ - القلوب المؤمنة يكفيها أدنى الدلائل، وأقرب الحجج للتصديق، والقلوب المعرضة، لو بسطت لها الكون، ما زادها ذلك إلا إغراضاً ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ وَأَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا ﴿٥٩﴾.
- ٣ - لن تغفل من رقابة ربك، ولو صنعت حُجُباً صُلْدَةً بينك وبين السماء ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾.
- ٤ - ليتهم استقبلوا من أمرهم ما استدبروا منه؛ فليس ثمة نجاة إلا بالإيمان والعمل الصالح ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾.



٥ - الأحداث التي يجريها الله تعالى في الكون لغايات ومقاصد عظمى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾.

٦ - مشاهد بيت المقدس التي عاينها رسول الله ﷺ تلك الليلة، كانت ابتلاء واختباراً للمصدقين والمكذبين ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾.

٧ - كثيرون شككوا في تلك الرؤية وقالوا: أتى يكون ذلك! وقلة قالوا: إن كان قالها فقد صدق ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾.

٨ - الكبُر لا يخلف في حياة أصحابه إلا سوء التوفيق ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (٦١).

٩ - إذا جرى الكبُر في قلبك؛ فقد تشبَّهت بالشياطين ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (٦١).

١٠ - الكبُر نبتة سيئة في قلب صاحبها، تُخِيلُ له أنه أولى بالتقديم وأحرى بالعظيم، وأحق بالحديث، وأعلم من كثيرين، وهو صانع أحداث الحياة حتى يبلغ مداه ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (٦١).

١١ - إذا أردت أن تعرف آثار الكبُر وعواقبه؛ فانظر إلى عواقب إبليس، نقله الكبُر من جنة إلى خلود في الجحيم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (٦١).

١٢ - الخاسرون وأهل الضلال ورفقة السوء، إذا غرقوا رغبوا أن يجتالوا العالم معهم في الوحل والطين ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٢).

١٣ - الحسد ميراث إبليس ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٦٣﴾ وكم من غارقٍ في هذا الخلق دون وعي!

١٤ - لا تستغرب أن تجد طالب علم، يضمن على زملائه ورفقاء دربه الطويل بمذكراته، أو ببعض المسائل التي فقه فيها أشياء لم يفقهها غيره ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٦٣﴾ ومثله ذلك الطالب الذي فتح الله تعالى عليه في فقه بعض المسائل الفرضية، أو الرياضية، أو اللغة الإنجليزية، واستعلى على غيره، ممن لم يهبهم الله تعالى ما أعطاه، وغير ذلك ممن من الله تعالى عليهم بالفضل، ولم يمدوا أيديهم وقلوبهم ومشاعرهم إلى غيرهم بذلك الفضل الذي آتاهم الله تعالى، وحسدوا من حولهم.

١٥ - الراغبون في طريق الشيطان والمتبعون له، سيلحقونه إلى النهاية ﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَوْفُورًا ﴾ ﴿٦٣﴾ فالنار تستوعب كل الأتباع.

١٦ - بدأت المعركة، فأين أنت من ساحاتها؟! ﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَوْفُورًا ﴾ ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ﴿٦٤﴾.

١٧ - كل السبل مفتوحة أمام عدوك في إدارة المعركة معك ﴿ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَوْفُورًا ﴾ ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ﴿٦٤﴾ فكن واعياً ببنيات الطريق.

١٨ - قد يستخفك بصوته الداعي للمعصية، ويتولأك أصحابه وأعداؤه ورفقاء طريقه، ويشاركك في أموالك بإنفاقها في غير الطريق المشروع، أو في ولدك



باستخدامه في مشروع باطل، أو بمهارتك في عمل محرم، وسيغريك في النهاية بالوعود الباطلة الكاذبة؛ فكن من ذلك على حذر ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (٦٣) وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ أَسْتَفْزَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾.

١٩ - ثَمَّةُ فَنَاءٌ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، لَا تُحْسِنُ إِلَّا الْاسْتِعْلَاءَ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (٦٥).

٢٠ - استوثق من طريقك، والزم جادة الحق، واستشعر معركة التي يديرها الشيطان معك في كل وقت، تبلغ منك، وتهزمه في غرض الطريق ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (٦٥).

٢١ - ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (٦٥) أعظم انتصار يسجله إنسان في تاريخه على الإطلاق!

٢٢ - إِذَا رَأَيْتَ السَّفْنَ تَمُخَّرُ عِبَابَ الْبَحَارِ، فَاسْتَشْعِرْ قُدْرَةَ رَبِّكَ، وَاصْعِدْ بِقَلْبِكَ فِي مَرَابِعِ الْإِيمَانِ ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لَتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٦٦).

٢٣ - هَذَاكَ لِلْحَقِّ، وَعَلَّمَكَ كَيْفَ تَجْلِبُ رِزْقَكَ، مَا أَلْفَطَكَ يَا اللَّهُ! ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لَتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٦٦).

٢٤ - إِذَا أَمَعَنْتَ فِي الْبَحْرِ، أَدْرَكَتْ مَتَّةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِنْسَانِ بِالِاسْتِثْمَارِ فِيهِ ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لَتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٦٦).



وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا بَجَحْتُمْ
إِلَى الْبَرِّ اعْرِضْتُمْ ۖ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ
بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ فَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاسٍ
بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَسْمِعْهُ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ
كِتَابَهُمْ وَلَا يُطْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ
أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا
لَيَفْتِنُونَا عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ
وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَا ذِفْنَكَ ضِعْفَ
الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

التفسير

• ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ خوف الغرق ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾ غاب وزال عن قلوبكم ﴿إِلَّا إِلَٰهَ﴾ ولم يبق إلا الله تعالى ﴿فَلَمَّا بَجَّحْتُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ أنقذكم من الغرق ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾ عنه تعالى ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ ﴿٦٧﴾ جحوداً لنعمه ظالماً لنفسه.

• ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ تنهار بكم الأرض ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً شديدة ترميكم بالحصى ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ ﴿٦٨﴾ حافظاً ونصيراً.

• ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾ في البحر؛ فيعود عليكم خوف الغرق من جديد ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ ريحاً شديدة القوة، تقصف ما أتت عليه ﴿فَيَغْرِقْكُمْ﴾ في البحر ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بسبب كفركم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْكُمْ بِهِ نَبِيْعًا﴾ ﴿٦٩﴾ لا تجدوا مطالباً يطالبنا بما فعلنا فيكم.

• ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ بالعلم والعقل ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ على الدواب ﴿وَالْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ لذيذ المطاعم والمشارب ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ أعطيناهم ما لم نعط غيرهم من الفضائل والمكارم.

• ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاثٍ بِأُمِّئِهَا﴾ برسولهم ﴿فَمَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ يَمِينِهِ﴾ بيده اليمنى ﴿فَأُولَٰئِكَ يَفْرُغُونَ كِتَابَهُمْ﴾ مبتهجين مسرورين ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ﴿٧١﴾ ولا يُنْقِصون من أجورهم قدر فتيل، وهو القشرة في شق النواة.



• ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ﴾ في الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ عمى القلب عن الحق والهدى ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ أعمى العين عن مواطن السلامة والنجاة ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٧٢﴾ طريقاً.

• ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَا﴾ قارب هؤلاء الكفار أن يخدعوك بقولهم ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿لِنَفْتَرِيَ عَلَيْكَ غَيْرَهُ﴾ لتقول علينا غير ما أوحيناه إليك ﴿وَإِذَا﴾ لو فعلت ما يريدون ﴿لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ ﴿٧٣﴾ صاحباً وحبیباً.

• ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ﴾ على الحق والهدى وعصمتك من كيدهم ﴿لَقَدْ كِدْتَ﴾ أوشكت أن ﴿تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ﴾ تميل إليهم ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ﴿٧٤﴾ فعصمك الله تعالى من ذلك.

• ﴿وَإِذَا﴾ لو ركنت إليهم وأجبتهم إلى مرادهم ﴿لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ لأصبنك بعذاب مضاعف في الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ ﴿٧٥﴾ ينصرك فيدفع عنك العذاب.

التدبر

١- ما أقبح الهوى! ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ ﴿١٧﴾ يدعون آلهة مع الله تعالى، ثم لما اضطرتهم حوادث الزمان، عادوا لله تعالى طالبين راغبين!

٢- يمرض، فتراه من أقرب عباد الله تعالى إليه، ويصيبه حادث، فيترنم بشكر الله تعالى مدةً من الزمن، ويُسجن ويعود خائفاً منيباً، وتحل به ضائقة فلا يعرف غير ربه، ثم إذا عوفي من كل ذلك عاد مارداً ضالاً، لا يبالي بشيء، هذه قصة كثيرين



﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا بَجَحْتُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾.

٣ - حتى لو خرجتم ونجوتهم في هذه المحنة، ثم عدتم للضلال؛ أفتأمنون النجاة في قادم الأيام! ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ ما أحوجنا للذكرى!

٤ - قد تنجون من البحر، وينهار بكم البر، أو تنهال عليكم حجارة من السماء، وقد يعيدكم في البحر؛ فيبعث عليكم ريحاً فتغرقون ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ لم ولن تذهبوا بعيداً فترفقوا بأنفسكم!

٥ - الله خلقك وكرّمك ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾.

٦ - من إكرامك عند ربك أن هيأ لك كل شيء ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ أفق من غفلتك، فكلُّ العالم الذي تراه حولك خلق من أجلك ولك.

٧ - كرّمك الله تعالى بهذا العقل، وحملك على وسائل تجوب بها البر والبحر، ورزقك من كل الطيبات، وفضّلك على العالمين فهل بقي شيء! يا الله ما أكثر وابل نعمك على هذا الإنسان! ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾.

٨ - ثَمَّةٌ مَوْعِدٌ لِنَقَاشِ أَحْدَاثِ هَذَا الْعَمْرِ الطَّوِيلِ ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاثٍ بِإِمَامِهِمْ
فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ، فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾
وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾.

٩ - هَذَا فَرْحٌ يَتَنَاوَلُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَذَاكَ حَزِينٌ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، مَا أَبْعَدَ الْفَرْقُ!
﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاثٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ، فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ
كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى
وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾.

١٠ - مَا زِلْتَ حَيًّا وَيُمْكِنُكَ الْإِدْرَاكُ ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاثٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ، فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ
كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾.

١١ - ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنُفْتِرِيَ عَلَيْكَ غَيْرَهُ، وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ
خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾ رِسَالَةٌ لِاتِّبَاعِ الرِّسْلِ: لَا تَظُنُّوا أَنْكُمْ بِمَنْأَى عَنِ الضَّلَالِ يَوْمًا مَا !

١٢ - صَدِيقُ السُّوءِ، وَحَامِلُ فِكْرَةِ الضَّلَالِ، وَصَاحِبُ مَشْرُوعِ الْبَاطِلِ، لَنْ يَتْرَكَ
أَمَانِيهِ، وَلَوْ أَلْعَقْتَهُ عَسَلًا صَافِيًّا كُلَّ يَوْمٍ ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ لِنُفْتِرِيَ عَلَيْكَ غَيْرَهُ، وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾.

١٣ - الْإِنْحِرَافُ فِي مَفَاهِيمِ الْوَحْيِ مِنْ أَعْظَمِ أَهْدَافِ الْبَاطِلِ الَّتِي يَسْعَى إِلَيْهَا
﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنُفْتِرِيَ عَلَيْكَ غَيْرَهُ، وَإِذَا
لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾.

١٤ - مَفَاهِيمُ التَّيْسِيرِ الَّتِي لَا يَسْنِدُهَا دَلِيلٌ شَرْعِي، أَكْثَرُ الْمَقَارِبَاتِ الَّتِي يَفْرَحُ بِهَا
الْعَدُوُّ فِي الْبَدَايَاتِ خَاصَّةً ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
لِنُفْتِرِيَ عَلَيْكَ غَيْرَهُ، وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾.



١٥ - حين يفرح بك العدو، ويردّدون ذكرك في كل محفل، ويقدّمونك لمناصب الشرف، ويجهدون في إظهار صوتك وصورتك، فاعلم أنك بلغت أمانهم التي يريدون ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنُفْتِرَىٰ عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ۖ ﴾.

١٦ - قد يدفعون لك مالاً، أو يعرضون عليك وظيفة مرموقة، أو يجعلونك في المقدمة؛ ليستفيدوا منك في الترويج لمشروع باطل، أو توسيع دائرة فكرة مشؤومة، هذا بعض ممّا يديره أهل الباطل في مواجهة الحق ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِنُفْتِرَىٰ عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ۖ ﴾.

١٧ - تخيل أن الله تعالى تركك لنفسك، وتخلّى عن إعانتك وتوفيقك ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ ﴾.

١٨ - تعلّم كيف تُخَبِّتُ لربك، وتنبّئ إليه، وتُزَوِّقُ خشيته، لعلك تنال توفيقه، ولا يتركك لأهواء المبطلين ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ ﴾.

١٩ - اعتداد الإنسان بقدراته ومهاراته وإمكاناته هي التي أودت به إلى ضياع دينه ومستقبله في درك الشقاء ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ ﴾.

٢٠ - مجرّد الركون للباطل، ومقاربة المسافة بينك وبينه، وقبول مفاوضته، زلّ يحتاج إلى توبة ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ ﴾.

٢١ - أقبل على ربك، وعظّم شعائره، وأدم الأوراد المثيرة لروحك، واستعتب منه مراراً، وكرّر الاستغفار، ولذّ بلا حول ولا قوة إلا بالله، واسأله في كل مرّة ألا يكللك لعاديات الزمان: تعان على الثبات ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ ﴾.

٢٢ - الميل للباطل والركون إلى أهله موجبٌ لسخط الله تعالى وعقابه وعذابه، وتخليه عن صاحبه في الدارين ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (٧٥).

٢٣ - واجب العلم ثقيل، وتكاليفه كبيرة مرهقة، ومن زلت قدمه حمل أوزار العلم، وثقل بتبعات الضلال ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (٧٥).



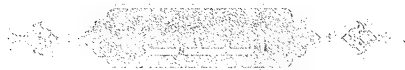
وَأِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَفَمِنْ
الصَّلَاةِ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانِ الْفَجْرِ إِنْ
قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ
نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ
أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ
لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ
إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا
أَنعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّسُ
﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى
سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

التفسير

- ﴿وَإِنْ كَادُوا﴾ قارب الكفار ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يزعجوك ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ أرض مكة ﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ﴾ لا يبقون بعدك ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٧٦) زمنًا قليلًا، ولو أخرجوك لأحلَّ الله تعالى بهم الهلاك بعدك، وقد خرج ﷺ مهاجرًا إلى المدينة، ثم مكنه الله تعالى من قريش في غزوة بدر في أقل من سنتين.
- ﴿سُنَّةَ﴾ الله تعالى المطردة ﴿مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ أن كل أمة تُخرج نبيها، أو تقتله أن ينزل بها عذاب الله تعالى ﴿وَلَا تَحْدُسْ نَتْنًا نَحْوِيلاً﴾ (٧٧) تبديلاً وتغييراً.
- ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ عند زوال الشمس عن كبد السماء ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ ظلمته ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الفجر ﴿إِنْ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) تشهده الملائكة.
- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ زيادة لك في الخير على الفريضة ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (٧٩) يبعثك شفيعاً للناس في الموقف يوم القيامة، وهي الشفاعة العظمى التي يعتذر عنها الأنبياء كلهم، ويقوم لها ﷺ.
- ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ اجعل مداخلتي ومخارجي كلها في طاعتك ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ (٨٠) حجة قوية ظاهرة على ما أتيت من الحق.
- ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ ما وعد الله تعالى به نبيه من النصر ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ بطل واضمحل وتلاشى ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١) لا يستقر أمام الحق.



- ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ للأبدان والقلوب والأرواح ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ لما فيه من بيان الحق وهداية ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بربهم ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢) هلاكاً.
- ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ بكل ما هو نعمة، من صحّة، ومالٍ ونحوها ﴿أَعْرَضَ﴾ عن شكر الله تعالى ﴿وَنَسَا بِجَانِبِهِ﴾ لوى عنقه، وولى ظهره متكبّراً ناكراً ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ من فقر ومرض ﴿كَانَ يَتُوسَّأُ﴾ (٨٣) يائساً من رحمة الله تعالى.
- ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ كلٌ يعمل على ما يليق به من الأحوال والأشكال ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ (٨٤) يعلم من هو على الحق ممّن هو أهل الضلال.
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ اليهود ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ التي في جسد الإنسان ما حقيقتها ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ من جملة مخلوقاته، لا يعلم أمرها إلا هو تعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥) بالنسبة إلى علم الله تعالى.
- ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا﴾ أردنا ﴿لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من القرآن والوحي، فلا نبقي لك منه شيئاً ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُكَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ (٨٦) يتوكّل عنك فيسترجه منا.



١- لا يمكن أن يرضى الباطل ببقائك في أرضه، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾.

٢ - إِذَا رَأَيْتَ بَاطِلًا صَامِتًا فِي ثَوْرَةٍ حَقًّا، فَاعْلَمْ أَنَّ الْهَزِيمَةَ بَلَغَتْ مِنْهُ مَدَاهَا ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٧٦ ﴿﴾.

٣ - كُلَّمَا ارْتَفَعَتْ رَايَةُ الْحَقِّ وَلَّى الْبَاطِلُ، يَجْمَعُ إِلَى الْمَغَارَاتِ ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٧٦ ﴿﴾.

٤ - يَا أَصْحَابَ الْحَقِّ! إِيَّاكُمْ وَالتَّخْلِيَّ عَنْ مَسَاحَاتِ الْجِهَادِ فِي أَرْضِكُمْ، فَالْبَاطِلُ يَنْظُرُ لَكُمْ بَغِيظًا ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٧٦ ﴿﴾.

٥ - بَقَاءُ الْمَصْلُحِينَ فِي مَجْتَمَعٍ أَوْ دَوْلَةٍ أَوْ وَطَنٍ مُؤَدَّنٌ بِبَقَاءِ ذَلِكَ الْمَجْتَمَعِ، وَتِلْكَ الدَّوْلَةُ، وَذَلِكَ الْوَطَنُ، وَذَهَابُهُمْ مِنْهَا مُؤَدَّنٌ بِدِمَارِ تِلْكَ الدِّيَارِ ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٧٦ ﴿﴾ سُنَّةٌ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴿﴾ هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْعَالَمِينَ.

٦ - إِذَا أَرَدْتَ وَارِفَ الْحَيَاةِ وَفِيضَ النِّعَمِ؛ فَأَقِمِ لِلصَّلَاةِ شَأْنًا فِي حَيَاتِكَ ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ٧٨ ﴿﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴿﴾.

٧ - فِي مِحْرَابِ الْمَسْجِدِ وَآيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْحَيَاةُ الَّتِي يَشْتَاقُ إِلَيْهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ٧٨ ﴿﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴿﴾.

٨ - جَرَّبَ أَنْ تَمُدَّ سَجَادَتِكَ فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي وَتَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، وَتَرْتَلَّ كِتَابَهُ، وَتَسْتَرَىٰ مَاذَا فَاتَكَ مِنَ النِّعَمِ فِي أَيَّامِ عَمْرِكَ الْمَاضِيَةِ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ٧٩ ﴿﴾.



٩ - الدعاء باب تلج منه إلى خيرات الدارين ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا﴾ ﴿٨٠﴾.

١٠ - لو أحسن الإنسان سؤال ربّه، وتكرار مطلوبه، والإلحاح عليه في كلّ حين لبلغ أمانيه ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا﴾ ﴿٨٠﴾.

١١ - الدعاء فن! تأمل دعاء نبيك ﷺ ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا﴾ ﴿٨٠﴾ اجعل مداخلتي ومخارجي كلّها في طاعتك وعلى مرضاتك. ماذا أبقى!

١٢ - إذا جعل الله تعالى مداخلك ومخارجك في طاعته، فقد أجراك في فلك الخيرات، وبسط عليك النعم ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا﴾ ﴿٨٠﴾.

١٣ - ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿٨١﴾ هذه هي الحقيقة التي لا تقبل الشكوك.

١٤ - ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿٨١﴾ سنّة كونيّة تتوسّع ولا تضيق، وتكبر ولا تصغر، وتكثر ولا تقل!

١٥ - حتى لو كان الحقّ بسيطاً، يدوم أثره، وتبقى معالمه، ويستفاد منه! ولو كان الباطل كثيراً، لما بقي منه شيء ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿٨١﴾.

١٦ - ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿٨١﴾ دعوة لحمل أي فكرة أو مشروع، ومستقبلها مضمون النجاح.

١٧ - كل جهود الباطل ستلاشى في النهاية، فلا يَغَرَّنْكُمْ زبدها العارض في الطريق ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١).

١٨ - القرآن شفاء لقلبك من شكوك الباطل وشهوات النفوس، وشفاء لبدنك من العلل والأوجاع؛ فخذ منه حظك وشرفك ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢).

١٩ - وإذا كنت طالباً لرحمة الله تعالى، فاقطع من سنام وقتك لهذا الوحي ما يجري عليك نعيم الله تعالى في الدارين ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢).

٢٠ - ليكن لك ورد لا تخلفه، تردده وتدبره وتأمله، وسترى كيف تتوافد إليك موارد التوفيق والفلاح ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢).

٢١ - هذه قصة الإنسان وحكايته ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (٨٢) تأتيه النعمة فيطغى ويعرض، ويناله الشر فيعود بائساً متضرعاً!

٢٢ - اختر مشروعك بعناية، وركّز على ما يناسب طاقاتك وإمكاناتك، ولا تذهب حياتك سدى ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ (٨٤).

٢٣ - التخصص والمجال والفن الخاص بك، يصنع تاريخك، ويكتب أثرك بأوسع ما يكون ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ (٨٤).

٢٤ - (شاكلته) الطريقة الخاصة به، وفنّه الممكن، ومساحته التي يجيد فيها البناء بإبداع ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ (٨٤).

٢٥ - الأسئلة التي لا يترتب عليها فائدة حقها الإعراض عن جوابها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥).

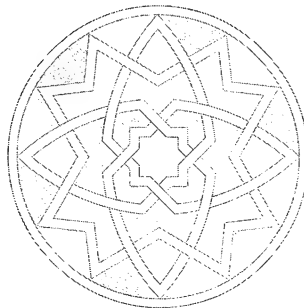


٢٦ - كل سؤال لا يترتب عليه عمل، فلا تحفل به ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥).

٢٧ - لا تغترّ بقدراتك وإمكاناتك وطاقاتك، تلك نعم ربك، ولو شاء لذهب بها
في لحظة ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا
وَكِيلًا﴾ (٨٦).

٢٨ - من كمال عقلك ووعيك وفقهك أن ترعى نعم الله تعالى، وتقوم بحقها؛ وإلا
فهي إلى الزوال ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا
وَكِيلًا﴾ (٨٦).

٢٩ - حفظوا القرآن ونسوه، وضبطوا العلم وعادوا جاهلين به، وأجادوا مهارات،
ثم تولت من حياتهم، كذلك يفعل الغرور ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ (٨٦).



إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ
 لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
 لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ
 صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ
 إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ
 الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ
 فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا
 زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾
 أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ
 لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ
 كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ
 الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَ
 فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ
 مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
 شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾



التفسير

- ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ تردُّه عليك ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَأنَّ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ ﴿٨٧﴾ عظيمًا.
- ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾
لا يستطيعون أن يأتوا بمثل القرآن في نظمه وجزالته وقوته وتأثيره
﴿وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ﴿٨٨﴾ معاوناً ونصيراً.
- ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا﴾ نوَّعْنَا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ ممَّا يوجب
الاعتبار والذكرى ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ﴿٨٩﴾ جحدوا به، ولم
يستفيدوا من ذلك شيئاً.
- ﴿وَقَالُوا﴾ كفار مكة: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ لن نصدِّقك يا محمد ﴿حَتَّى تَفْجُرَ﴾
لنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أنهاراً وعيوناً تجري بالماء.
- ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بساتين ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ من النخيل
والأعناب ﴿فَتَفْجِرَ الْأَنْهَارُ﴾ تجريها فيها بقوة ﴿خِلَالَهَا﴾ في وسطها
﴿تَفْجِيرًا﴾ ﴿٩١﴾ بكثرة.
- ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ قِطْعًا ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾
فِيلاً ﴿٩٢﴾ حتى نراهم متقابلين.
- ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ﴾ مزخرف بالذهب ونحوه ﴿أَوْ تَرَفَّى فِي﴾
السَّمَاءِ ﴿تَصْعَدُ فِيهَا﴾ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ ﴿لَنْ نَصْـدِّقَ بِصُعُودِكَ﴾ ﴿حَتَّى﴾
تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِنَبَاً نَقْرُؤُهُ ﴿تَأْتِي بَكْتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ نَقْرَأُ فَنُصْـدِّقُ لَكَ﴾
﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تنزَّه الله تعالى أن يعجزه شيء ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا﴾
رَسُولًا ﴿٩٣﴾ ما أنا إلا بشرٌ من الناس، ليس بيدي شيء.

- ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۖ﴾ (١٤)
- لم يمنعهم من الإيمان بالله تعالى إلا كون الرسل بشراً من الناس.
- ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۖ﴾ (١٥) من جنسهم؛ لئتمكنوا من فهمه، والأخذ عنه.
- ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ﴾ يكفي الله تعالى شاهداً على أني بلغتكم ما كُلفت به ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (١٦) لا يغيب عنه منهم شيء.

التدبر

- ١ - لولا رحمة الله تعالى، لما أبقى لك نعمة، ولما هنتت بشيء ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ (٨٧).
- ٢ - ما أكثر فضائل الله تعالى علينا وما أقل شكرنا لها! ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ (٨٧).
- ٣ - كم مرة فتح الله تعالى لك توفيقاً، وأجرى على يدك خيراً ومعروفاً، وأسبغ عليك نعماً وفضلاً. من أنا وأنت لولا فضل الله تعالى علينا! ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ (٨٧).
- ٤ - وكم مرة صرف الله تعالى عني وعنك بأساً وشرّاً وسوءاً! ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ (٨٧).
- ٥ - من أعظم الأدلة على أن هذا القرآن وحي الله تعالى ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ۚ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٨٨).



٦ - من فجر التاريخ إلى يومنا هذا، لم يستطع ضالٌّ أن يَنازع هذه الحقيقة ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٨٨).

٧ - المصروف عن الخير لا تنفع معه الذكرى ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٨٩).

٨ - إذا لم يرقِّ قلبك، أو يهتدِ لهذا الوحي، أو ينتفع بما فيه، فتلك علامة شقاء ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٩١).

٩ - يختلقون العقبات ليكونوا بها حواجز في الطريق ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كَسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤهٗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾.

١٠ - كم مرّة خلق الكبُر حائلًا دون التوفيق! ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٩٤).

١١ - الأدلة كافية، وهذا أبلغها وأتمها ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٩٦).



وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ
مِنْ دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَا وَلَّيْنَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلًّا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿١٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا
وَرُفَّتًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٨﴾ ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا ۚ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَالَّذِينَ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٩﴾
قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
الْإِنْفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿٢٠﴾ ۖ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَسَخَّرَ بِنِي إِسْرَءِيلَ ۚ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي
لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿٢١﴾ ۖ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ
هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَلِيَّيَ لَأَظُنُّكَ
يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿٢٢﴾ ۖ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
فَاغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿٢٣﴾ ۖ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ
أَسْكِنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿٢٤﴾



التفسير

- ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ يريد هدايته ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ الواصل إلى الهداية المتنعم بها ﴿وَمَنْ يُضِلِّ﴾ يريد ضلاله ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ يهدونهم إلى الحق ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ نجمعهم في مواقف الحساب ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ يمشون على وجوههم ﴿عُمِيًّا﴾ لا يبصرون ﴿وَبُكْمًا﴾ لا يتكلمون ﴿وَصُمًّا﴾ لا يسمعون ﴿مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ مقرهم ﴿كُلَّمَا حَبَتْ﴾ سكن لهاها وخفَّ أوارها ﴿زِدْنَهُمْ سَعِيرًا﴾ عذاباً.
- ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾ ذلك الجزاء الذي يلاقونه ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ جحدوا بها فلم يصدقوا بها ﴿وَقَالُوا﴾ مستهزئين ﴿إِنَّا كُنَّا عِظَمًا وَرُفْتًا﴾ أجساداً متفتتة ﴿إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ لا يمكن أن يكون ذلك.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظمها ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ يعيدهم بعد موتهم خلقاً جديداً ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحدوا ونكروا.
- ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ لو كانت خزائن الأرزاق بأيديكم ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ لأمسكتكم الأموال فلم تنفقوها شحاً وبخلًا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ مبالغاً في البخل والإمساك.
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى سَعَاءَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ علامة على رسالته كالحية، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ونحوها ﴿فَسَعَلَ﴾ يا رسول الله ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ المؤمنين منهم؛ كعبد الله بن سلام، وسؤالهم هنا للاستشهاد بقولهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ موسى ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ متأثراً بالسحر، لا تدري ما تقول.

• ﴿قَالَ﴾ موسى ﷺ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ يا فرعون ﴿مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات التي تراها ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ﴾ دلالات وعلامات واضحة ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (١٠٢) ﴿هَالِكًا﴾.

• ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يزعجهم ويؤذيهم ويخرجهم من أرضهم ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ﴾ في البحر ﴿وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ (١٠٣) من الجنود والأتباع ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد فرعون ﴿لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ أرض بيت المقدس ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ يوم القيامة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (١٠٤) جميعاً.

التدبر

١ - إذا منَّ الله تعالى عليك بالهداية؛ فقد خُزَّتْ كُلُّ شَيْءٍ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾.

٢ - الهداية أعظم الأحلام الضائعة في حياة كثيرين ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ كم من محروم لم يبلغ حلمه حتى الآن!

٣ - الطريق إلى الهداية والفلاح والرشد، لا يُطْلَبُ إِلَّا من الله تعالى ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ وكل من طلبه من طريق آخر ضلَّ ما بقي من عمره.

٤ - ماذا بقي للضالين عن الطريق! ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ۖ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عُمِيًّا ۖ إِنَّهُمْ وَبِئْسَ مَا وَدَّعَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (١٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَائِنِنَا وَقَالُوا أَيْذَا كُنَّا عِظَمًا وَرُفْتًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (١٨) تركوا منهج الله تعالى ودينه ورسالته، واتَّخَذُوا أولياء لا يملكون شيئاً؛ فماذا بقي لهم؟! وماذا ينتظرون؟!



٥ - من نظر إلى خلق السماء والأرض نظر اعتبار، أدرك أن ما بعدها على الله تعالى أهون ما يكون ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ ١١.

٦ - القلوب التي أصابها العمى لا تفقه عن الله تعالى شيئاً ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ ١١. ماذا لو منحوا أنفسهم وقتاً للاعتبار!

٧ - الإنسان مجبولٌ على البخل، ويموت وهو خالي اليد ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا﴾ ١٠٠.

٨ - إذا كنت في مشروع بر وخير، وتحتاج إلى دعم، فروّض نفسك على مشاهد الإنفاق ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا﴾ ١٠٠.

٩ - من الاستعلاء أن تنفق مالك غير أبه لصروف الزمان ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا﴾ ١٠٠.

١٠ - إذا رأيته يستعلي على أصله وطبيعته وما جُبل عليه؛ فاعلم أن تلك صنائع المعروف، ومواقف الحسنات، وتوفيق الله تعالى ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا﴾ ١٠٠.

١١ - المستبدون لا يبالون بما يقولون ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ ١٠١.

١٢ - في معركة المفاهيم والتصورات من السهولة أن تتبنى وهماً، وتلقي به في ساحات الصراعات ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ ١٠١.

١٣ - إلقاء التهم والمجازفة في رمي الآخرين بالأوصاف الكاذبة سنّة، لا تخلو منها معركة من معارك الحقّ مع الباطل ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝١٠١﴾.

١٤ - كثرة الأدلة لا تنفع العمي عن الحقائق في شيء ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝١٠١﴾.

١٥ - العلم النظري لا يمكن صاحبه من بلوغ غاياته، ما لم يعانق شغاف القلوب يظل معزولاً، لا قيمة له ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مُثْبُورًا ۝١٠٢﴾.

١٦ - إذا رأيت مسؤولاً جعل أول جبهاته الحربية المصلحين؛ فقد بدأ العدّ التنازلي لأيام حياته ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ۝١٠٣﴾.

١٧ - هذه هي السنن ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ۝١٠٣﴾.

١٨ - التاريخ يتحدث ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ۝١٠٣﴾ بدأ باستفزازهم؛ فكانت نهايته!

١٩ - إذا أهلك الله تعالى طاغيةً أورث الأرض أهلها من جديد ﴿وَقُلْنَا مَن بَعْدَهُ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۝١٠٤﴾.





وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
 وَفَرَّغْنَا فَرْقَتَهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾
 قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى
 عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ
 وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
 خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ
 الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ
 بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ
 لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

التفسير

- ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ القرآن أنزلناه لهداية الناس وإرشادهم ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ بالصدق والعدل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بثواب الله تعالى ﴿وَنَذِيرًا﴾ ﴿١٠٥﴾ بعقابه تعالى.
- ﴿وَفَرَّغْنَا فَرْقَتَهُ﴾ أنزلناه مفروقاً ﴿لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ على مهل، ليتدبروا آياته، ويتفكروا في معانيه ﴿وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ ﴿١٠٦﴾ شيئاً فشيئاً مفروقاً على ثلاث وعشرين سنة.



• ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمن أعرض عنه: ﴿ءَامِنُوا بِهِ﴾ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ﴿ فلا حاجة لله تعالى في إيمانكم، ولا يضره إعراضكم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل القرآن؛ كعبد الله بن سلام، وزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل ونحوهم ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِم﴾ القرآن ﴿يَخْرُجُونَ لِلْآذْقَانِ سُجَّدًا﴾ ﴿١٠٧﴾ يسقطون على وجوههم ساجدين لله تعالى وخصّ الذقن؛ لأنه أول ما ينزل على الأرض.

• ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾ تنزهه عما لا يليق بجلاله وسلطانه ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ ﴿١٠٨﴾ أي إنَّ وعد الله تعالى بنصر المؤمنين آتٍ لا شك فيه.

• ﴿وَيَخْرُجُونَ لِلْآذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ من أثر القرآن ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشوعًا﴾ ﴿١٠٩﴾ خضوعاً.

• ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ ادعوه باسم الله، أو اسم الرحمن، لا فرق ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾ أي واحد من هذين الاسمين ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ فكل اسم حسن، فلكم الدعاء به؛ لأن أسماءه تعالى كلها حسنى ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَوَانِكَ﴾ بقراءتك ﴿وَلَا تَخَافَتْ بِهَا﴾ تسرُّ بها ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿١١٠﴾ لتكن قراءتك متوسطة بين الجهر والإسرار.

• ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فله كمال الحمد والمجد ﴿الَّذِي لَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا﴾ فلا ولد له تعالى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ بل وحده هو المتصرف في الكون ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ﴾ لم يحتاج إلى موالاة أحدٍ من الخلق لذله ﴿وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ ﴿١١١﴾ عظمه تعظيماً.



التدبر

١ - من فقه الداعي إثارة هذا الوحي في نفوس الناس ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١٠٥) ﴿﴾ إذا باشرت هذه الحقائق قلوب الناس أحالتها ربيعاً مع الأيام.

٢ - (الوحي) أعظم الحقائق التي يملكها المصلحون في التاريخ كله ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١٠٥) ﴿﴾.

٣ - ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ (١٠٦) ﴿﴾ أنزل الله تعالى كتابه مفرقاً لأعظم الغايات، وأكثرها إثارة في الحياة (التدبر والتأمل).

٤ - خلق التدبر لكتاب الله تعالى هي الطريق إلى إعادة تكوين الأمة وبنائها من جديد ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ (١٠٦) ﴿﴾.

٥ - نظم حلقة تدبر لأسرتك، ولأهل بيتك، ولزملائك، وللقاءاتك وسترى صناعة القرآن في واقعهم، ولو بعد حين ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ (١٠٦) ﴿﴾.

٦ - خطيب الجمعة مسؤول عن تقريب مفاهيم هذا الوحي لتلك الجموع كل أسبوع ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ (١٠٦) ﴿﴾ وإمام المسجد كذلك مسؤول عن تحريك مفاهيم هذا الوحي في واقع الناس كل حين ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ (١٠٦) ﴿﴾.

٧ - إذا قرع قلبك واعظ القرآن، وسالت دمعتك، وأقبل قلبك على الله تعالى؛ فتلك مشاهد قلوب المؤمنين ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (١٠٧) ﴿﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٨﴾ ﴿﴾.

٨ - من معالم الهداية أن يلقي القرآن رواجاً في قلبك، ويُخَدِّثُ لك عبراً وعظات ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝ ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝ ١٠٩﴾.

٩ - التأثر بالقرآن من صفات أهل العلم والإيمان ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

١٠ - وإذا جرى دمك لآية، فتلك دلائل الحياة ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝ ١٠٩﴾.

١١ - واحدة من أعظم وصايا زيادة الإيمان وتثبيت المؤمن على الحق، العناية بالقرآن تلاوةً وتدبراً ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝ ١٠٩﴾.

١٢ - حين تتضرع لربك، اختر ما شئت من أسمائه الحسنی، ثم ابعث أمانيك وأشواقك في رحاب ذلك المعنى ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝ ١١٠﴾.

١٣ - قل الحمد لله من قلبك ومشاعرك ووجدانك، ترى كل شيء ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرٌ تَكْبِيرًا ۝ ١١١﴾.

١٤ - قل الحمد لله تعالى على توحيده، وأنه لم يكن له شريك ولا ولي من الذل ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرٌ تَكْبِيرًا ۝ ١١١﴾.

١٥ - عظم ربك ووقر شعائره، وقف عند حدوده؛ فذلك من أعظم الدلائل على قيامك بحقه وواجبه ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرٌ تَكْبِيرًا ۝ ١١١﴾.

سُورَةُ الْكَهْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝
 قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
 يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝
 مَكِينٍ ۝
 فِيهِ أَبَدًا ۝ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝

التفسير

- «الْحَمْدُ لِلَّهِ» أي المستحق للثناء والحمد المطلق هو الله «الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ» ورسوله محمد ﷺ «الْكِتَابَ» القرآن الكريم «وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝^(١)» لم يكن فيه ميل عن الحق.
- «قِيمًا» مستقيماً معتدلاً «لِيُنْذِرَ» أي القرآن الكريم «بَأْسًا شَدِيدًا» عذاباً عظيماً «مِمَّنْ لَدُنْهُ» من عند الله تعالى «وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝^(٢)» رائقاً جميلاً.
- «مَكِينٍ ۝^(٣)» في النعيم «أَبَدًا ۝^(٤)» مكثاً دائماً، لا انقطاع فيه.

• ﴿وَيُنذِرَ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ﴿٤﴾ الذين وصفوا الله تعالى بأن له الولد؛ كاليهود والنصارى وكفار قريش.

التدبير

١ - تأمل في ثناء الله تعالى على كتابه تدرك حجم ما فيه من حياة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ﴿١﴾ ربك يحمد ذاته، ويثني على نفسه بإنزال هذا الوحي!

٢ - هذا القرآن نعمة تستحق الشكر والعرفان ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ﴿١﴾.

٣ - لو لم يكن في هذا القرآن إلا هذا الإجلال من قائله، لكان كافياً في الاعتصام به والإقبال عليه، وصرف سنام أوقاتنا في تعلمه وتعليمه وتدبره ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ﴿١﴾.

٤ - لم تلق الأمة في تاريخها الطويل حادياً يدلف بالقلوب على آمالها كهذا الوحي ﴿فَيَمَّا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ ﴿٢﴾ مَكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾.

٥ - أيها المكدودون من الألم، المجهدون من الحياة، المتعبون في ثنايا الطريق! هذه بشارات النهايات ﴿فَيَمَّا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ ﴿٢﴾ مَكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾.

٦ - منهج الوحي التوازن بين الترغيب والترهيب ﴿فَيَمَّا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ ﴿٢﴾ مَكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ﴿٤﴾.

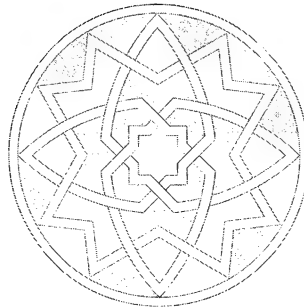


٧ - من فقه الداعية وكمال وعيه أن يوازن في طرحه بين الترغيب والترهيب، بحسب وسعه وحال المستقبلين لرسالته ﴿فَيَمَّا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكِيثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾.

٨ - المناهي التي تقرأها في كتاب ربك سدود عن بوارق التوفيق في حياتك؛ فترقق بنفسك من تسورها ﴿فَيَمَّا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾.

٩ - كل ما لقيت نهياً في كتاب ربك ففر من مواقعه، وإياك والسقوط في حما المنكرات ﴿فَيَمَّا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾.

١٠ - الجهل بالله تعالى يصنع مثل هذه الطامات ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ إذا رأيت متجرئاً على ربه غير آبه بما يقول؛ فذلك لقساوة قلبه، وجهله بربه.



مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَدِخٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آئِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾



التفسير

﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ لا علم لهم بالوصف الذي وصفوا الله تعالى به
﴿ وَلَا لِآبَائِهِمْ ﴾ ولا لأبائهم علم بذلك ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ ما أكبر وأقبح وأشنع هذه الكلمة التي قالوها في وصف الله تعالى ﴿ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ٥ ﴾ إنما يصفون الله تعالى بالكذب.

﴿ فَلَعَلَّكَ ﴾ يا رسول الله ﴿ بَخِعْ نَفْسَكَ ﴾ مهلكها غمًا وأسفًا وحسرة
﴿ عَلَىٰ آثَرِهِمْ ﴾ من بعد توليهم وإعراضهم ﴿ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾
القرآن ﴿ أَسَفًا ٦ ﴾ حُزنًا وغمًا.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ ﴾ من مآكل ومشارب ومراكب ﴿ زِينَةً لِّهَا ﴾
للأرض ﴿ لِنَبْلُوهُمْ ﴾ لنختبرهم ﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ٧ ﴾ أخلصه وأصوبه.
﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا ﴾ ما على الأرض من زينة ﴿ صَعِيدًا جُرُزًا ٨ ﴾ تراباً
لا نبات فيه.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾ أظننت يا رسول الله ﴿ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ﴾ اللوح
الذي كُتِبَتْ فيه أسماءهم ﴿ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا ٩ ﴾ يتعجبون من آياتنا،
بل غيرها أعجب منها.

﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ ﴾ التجأ أصحاب القصة ﴿ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ
لَدُنْكَ ﴾ أعطنا من عندك ﴿ رَحْمَةً ﴾ تثبتنا بها وتحفظنا بها من الشر ﴿ وَهَيَّئْ
لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ١٠ ﴾ دبر أمرنا، ويسره إلى طريق الحق.

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ١١ ﴾ ألقينا عليهم النوم،
فناموا ثلاث مئة سنة وتسع سنين.

- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ بعد هذا الزمن الطويل من النوم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ حتى نعلم ﴿أَيُّ الْحَزِينِ﴾ أي الفريقين من المختلفين في مدة لبثهم ﴿أَحْصَى﴾ أضبط ﴿لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ ﴿١٢﴾ لمدة بقائهم في الكهف.
- ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ نخبرك ﴿نَبَأَهُمْ﴾ في ذلك ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق واليقين ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ﴾ شباب ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ بالله تعالى ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ ﴿١٣﴾ هداية وتوفيقاً.
- ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ صَبَرْنَاهُمْ وثبتناهم ﴿إِذْ قَامُوا﴾ على الحق وتواصوا به ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ﴾ إِلَهًا ﴿شَرِيكًا لَهُ فِي الْمَلِكِ﴾ ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ ﴿١٤﴾ إن دعونا معه إِلَهًا آخر فقد قلنا قولاً جائراً بعيداً عن الحق.
- ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ عبدوها من دون الله تعالى ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على آلهتهم التي ادعوها ﴿بِسُلْطَنِ بَيِّنٍ﴾ بدليل واضح ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ﴿١٥﴾ فلا أحد أظلم ممن كذب على الله تعالى.

التدبر

- ١- لو أنك وجهت لبشر من الخلق تهمة لاحتجت أن تقيم لها براهين، فكيف بمن يقول على الله تعالى دون علم ولا دليل! ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ كم من كلمة قالت لصاحبها: دعني! ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾.



٢ - ما يخرج من فمك قد يودي بك إلى سوء الخاتمة ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ٥﴾.

٣ - الولاء للفكرة أعظم درس يقدمه صاحب المشروع لمن حوله ﴿فَلَعَلَّكَ بَدِخٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾.

٤ - قناعة من حولك بفكرتك ومشروعك، تأتي أولاً من ولائك لها ﴿فَلَعَلَّكَ بَدِخٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾.

٥ - إذا لم يقت مشروعك من قلبك ومشاعرك، وإلا بقي ضالاً في غرض الطريق، لا يجد مستجيبين ﴿فَلَعَلَّكَ بَدِخٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾ هكذا يصنع الولاء في قلوب أصحابه!

٦ - لا تغتر بما تراه من زينة في الحياة، إنما هي للاختبار والامتحان ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ٧﴾.

٧ - لا تحزن على الدنيا التي تراها في حياة الآخرين، تلك من زيادة الأعباء عليهم في أيام السؤال ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ٧﴾.

٨ - من توفيق الله تعالى لإنسان أن ييسط له نعيمها في الأرض ثم يذهب يستخدمه في دين الله تعالى ومراضيه ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ٧﴾.

٩ - الرهان في ساحات القيامة على حسن عملك، وليس على كثرته ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ٧﴾ فإن اجتمع الحسان فذلك التوفيق.

١٠ - العلم يهتف بصاحبه إلى الحقائق ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴾ لولاه لما عُرف صواب العمل وحسنه، والجهل مانع من الخيرات.

١١ - هذه نهاية تلك الزينة العارضة في الحياة ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۖ ﴾.

١٢ - الحسناء التي انشغل بها تشيخ، والشهوة التي قارفها تذبل، والربيع الذي يملأ عينيه يصفّرُ ويزول ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۖ ﴾.

١٣ - كثيرة هي مواطن الإعجاب في خلق الله تعالى، وقصة الكهف بعض تلك المواطن ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا ۖ ﴾.

١٤ - الاستعلاء على الباطل ضرورة، يملئها الإيمان في قلوب أصحابه ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءِئِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۖ ﴾.

١٥ - الواقع الذي لا تملك فيه تغييراً، يجب أن تنأى بنفسك عن مواطنه ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءِئِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۖ ﴾.

١٦ - الإقبال على الله تعالى، والتعلق به، واستشعار عونه ورحمته، من موجبات التوفيق ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءِئِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۖ ﴾.

١٧ - أي معرفة لا شأن لها بواقع العمل، لا تحتفل بها في شيء من حياتك ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءِئِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۖ ﴾ لم يذكر الله تعالى زمان هؤلاء ولا مكانهم؛ لأن المعرفة بذلك لا يترتب عليها شيء.



١٨ - حجب الأمكنة التي يثار حولها حديث الناس، وفيها بعض قصص الصالحين ضرورة شرعية حتى لا تصبح مزاراً، ويختل التوحيد ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ﴿١٠﴾.

١٩ - الشباب الصالح ثورة في وجه الباطل، وحرب على مشاهد الرذيلة ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ﴿١٠﴾.

٢٠ - مواقف الشرف ليس بالضرورة أن يديرها كبار وأصحاب جاه، يكفي لتأريخها شباب يافع في الحياة ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ﴿١٠﴾.

٢١ - لا يفتنن لسانك من دعاء الله تعالى؛ فهو أعظم وسائل الثبات على دين الله تعالى ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ﴿١٠﴾.

٢٢ - خرجوا لدينهم ورسالتهم ومنهجهم، ثم استغاثوا بالله تعالى في غرض الطريق (هكذا الفقه والوعى) ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ﴿١٠﴾.

٢٣ - يجب أن تعلم أن الذي أنقذك من المنكر، وأعانك على الفرار من مواقعه هو الله؛ فتذكر أنه هو المعين ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ﴿١٠﴾.

٢٤ - لا أعرف نعمة من الله تعالى بها على إنسان، مثل أن يرزقه خشوعاً وذللاً، واعترافاً بفضلِهِ كل حين ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ﴿١٠﴾.

٢٥ - الحق لا يحسب بكثرة الأتباع، ولكنه يحسب بِحَمَلَةِ فكرة الإصلاح ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾.

٢٦ - إذا أراد الله تعالى شيئاً، أجرى له الأسباب المادية لتوفيقه ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ عَادَاتِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١﴾.

٢٧ - معرفة قدرة الله تعالى وحكمته في الأشياء، تستحق أن تضرب لها هذه المسافات ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝١٢﴾.

٢٨ - القصص مدخلٌ كبيرٌ لتأسيس المفاهيم والقيم والتصورات ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝١٢﴾.

٢٩ - أي مسألة يترتب على معرفتها وضبطها عمل، تستحق العناية والاهتمام ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝١٢﴾.

٣٠ - الخطوة الأولى شرط في تحقيق أمانيك وأحلامك ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.

٣١ - على قدر إيمانك تزداد هدى، وقدر إيمانك على قدر وردك الصالح من الطاعات ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.

٣٢ - للذين يسألون كيف يصلون لأحلامهم، وكيف يعانقون آمالهم! وكيف يتحقق لهم ما يريدون! ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ اجعلوا الله تعالى أولاً في قلوبكم وسترون ما رأوا!

٣٣ - كل طريق لا تبدأ خطوته الأولى من الإيمان والعمل الصالح، فلا تحفل به مع الأيام ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝١٣﴾.



٣٤ - ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ نتيجة لذلك السبب الكبير ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ﴾ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿﴾.

٣٥ - حين تقوم بواجبك الشرعي، يبنى الله تعالى لك قصة الحياة ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ﴾ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴿﴾.

٣٦ - لا تسأل كيف ثبتوا وربطوا على الطريق رغم ما رصد لهم من عذاب ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ﴾ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴿﴾ الثبات والمرابطة طريقان واسعان للخيرات.

٣٧ - لم يلتق الحق يوماً بأصحابه في خنادق الظلام! بل يقتادهم للنعيم ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ﴾ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴿﴾.

٣٨ - إذا قمت بواجبك الشرعي؛ فلن يخذلك الله تعالى ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ﴾ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴿﴾.

٣٩ - يا سقى الله تعالى أيام مصلح، قام في وجه المنكر، وأعلن أن الأرض ما زالت مليئة بالمصلحين! ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ﴾ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴿﴾.

٤٠ - مسؤوليتك الأولى حماية دائرتك ومساحتك من تمدد الباطل وانتشار الرذيلة فيها ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ﴾ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴿﴾.

٤١ - ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا﴾ هذا المعنى يحتاج أن تُرفع له راية، ويقام له حفل بهيج! كم من قاعدٍ لم يحرك ساكناً والمنكرات أصمّت أذنيه!

٤٢ - لا تقلق! لم تخل أرض الله تعالى يوماً من أنصار الفضيلة وحملة راية الإصلاح ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ﴾ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾.

٤٣ - من حق التوحيد أن تخضع له الرقاب ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ﴾ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾.

٤٤ - ماذا بقي إذا أصبحت الأرض بلقاعاً من آثار العقيدة! ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ﴾ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾.

٤٥ - الديار التي فرّطت في التوحيد واستعاضت به الشرك، تستحق هذا الهجران ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ﴿١٥﴾.





وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأُوا إِلَى الْكَهْفِ
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾
وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيْكَافًا
وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ
بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ
لِتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا
أَحَدَكُمْ بِرُفُقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ
يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا ﴿٢٠﴾

التفسير

• ﴿وَإِذْ أَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾ أي قومكم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ وتركتم عبادتهم وخرجتم تطلبون النجاة منهم ﴿فَأَوَّأُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ انضموا إليه واختفوا فيه ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ يبسط لكم من رحمته ما يحفظكم به من أعدائكم ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ ^(١٦) ييسر ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به.

• ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ﴾ وقت الشروق ﴿تَزُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ تميل عن الكهف إلى ذات اليمين ﴿وَإِذَا غَرَبَتِ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم ذات الشمال ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ في متسع من الكهف، لا تصيبهم الشمس عند طلوعها ولا عند غروبها ﴿ذَلِكَ﴾ كهفهم وحال الشمس عليه ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالة على قدرته وعظمته ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ إلى الحق ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ الموفق إلى الخير ﴿وَمَنْ يَضِلْ﴾ عن الحق ﴿فَلَنْ يَجْدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ^(١٧) لن تجد له من يتولاه ويرشده إلى الحق والهدى.

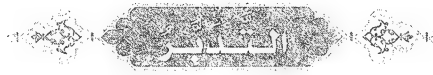
• ﴿وَنَحْسَبُهُمْ﴾ أصحاب الكهف ﴿أَيَّكَاطًا﴾ مستيقظين غير نيام ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ لئلا تاكل الأرض أجسادهم ﴿وَكُلُّهُمْ﴾ الذي معهم ﴿بَسِطَ ذِرَاعِيهِ﴾ مادهما ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ بباب الكهف أو فنائه ﴿لَوْ أَطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ هرباً ﴿وَلَمِلْتُ مِنْهُمْ رُجْبًا﴾ ^(١٨) خوفاً.

• ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم من نومهم ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ في مدة لبثهم وبقائهم بالكهف ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ أحدهم: ﴿كَمْ لَبِثْنَا﴾ كم



بقيتم في الكهف ﴿قَالُوا لِنَسْأِلَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ما بين يوم إلى بعض يوم ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ فلا سبيل لكم إلى معرفة ذلك، بل علم ذلك إلى الله تعالى ﴿فَاَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾ بنقودكم الفضية التي معكم ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ داخل المدينة ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ أحله وأطيبه ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ من ذلك الطعام ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ في ذهابه وإيابه وشرائه ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (١٦) لا يعلم بكم أحد من أهل المدينة.

• ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي أهل المدينة ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يطلعوا عليكم ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم رجماً ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ في ملة الكفر ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ (٢٠) إذا رجعتم إلى دينهم في شيء.



١ - الإيمان قول وعمل ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرَفَقًا﴾ (١٦) الاعتزال مظهر تطبيقي لمواجهة عواصف المنكرات.

٢ - فعل الممكن هو الدائرة التي ينبغي أن تُستوعب في كامل صورها وتطبيقاتها ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرَفَقًا﴾ (١٦).

٣ - حين لا تجد حلاً إلا مفارقة المنكر، فاصعد بإيمانك عن مواطن الخذلان ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرَفَقًا﴾ (١٦).

٤ - إلى الذين يكثرُونَ سواد المنكرات حياءً أو خوفاً أو شهوة، إنَّ موقف الفتية يصيح في آذانكم: إياكم والخذلان ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ (١٦).

٥ - هؤلاء فتية يعزُّ عليهم أن يكثرُوا سواد الرذيلة، وثمة جموع من أهل الصلاح، ما زال الباطل يستقوي بهم في ترويج بضاعة الفساد ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ (١٦).

٦ - من الاستعلاء على واقعك أن تخرج من أرض المنكر، ورأسك يطاول السماء عزةً وشموخاً ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ (١٦).

٧ - إذا خرجت من موقع الفساد؛ فكأنك تقول للمتخلفين: إياكم ومواقع الخذلان والشهوات ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ (١٦).

٨ - سعة المكان ليست بمساحته، وإنما بما يهب الله تعالى فيه من رحمته ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ (١٦).

٩ - كم من قصرٍ كبيرٍ لم يُغنِ عن ضيق صاحبه شيئاً ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ (١٦) وكم من بيتٍ ضيقٍ يرتع أصحابه في روضات النعيم!

١٠ - من دبَّر الله تعالى شأنًا دبَّر الله تعالى له شؤون الحياة ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ (١٦).



١١ - المظلومون في غياهب السجون سيجري عليهم النعيم والتوفيق الذي جرى على فتية الكهف، لا فرق ﴿وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْذَىٰ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ ﴿١٦﴾.

١٢ - إذا أراد الله تعالى شيئاً أجرى له الأسباب ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَحْدِلَهُ وَلِيَّا مُرْشِدًا﴾ ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آتِكَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ ﴿١٨﴾ لا تقل كيف! تلك إرادة الله تعالى.

١٣ - من هداية الله تعالى لك وتوفيقه السابل عليك، أن تسلّم لكل ما يعجز عقلك عن إدراكه ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ ومن شقاء العقل البعيد ألا يتوفّق للتسليم ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَحْدِلَهُ وَلِيَّا مُرْشِدًا﴾.

١٤ - المؤمن فطنٌ، وعليه أن يُجري كلّ أحداثه على هذا المعنى ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ زمانك بحاجة لوعي، فلا تذهب في ملّمات الفتن بلا وعي.

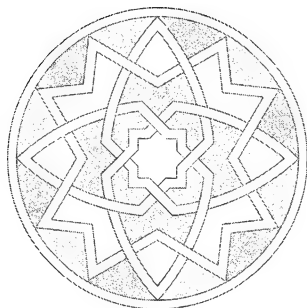
١٥ - من كمال وعيك أن تتخذ كافة السبل الموصلة لنجاحك، وتحقيق مشروعك، وألاً تطويك الأحداث، وتضعك في مسارب التهم ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

١٦ - يجب أن تتخلّى عن فوضويّتك وحسن ظنّك بعدوّك، وتتخذ كافة السبل الموصلة إلى نجاحك ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ

فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٧﴾

١٧ - هذا هو عدوك؛ لا تخرج إرادته عن هاتين الغايتين ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكَ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ ﴿٢٠﴾.

١٨ - إذا ضاع دينك لم يبق لك شيء يستحق الفرح ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكَ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ ﴿٢٠﴾.



وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِیَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا
ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا
بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا
وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي
فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا
نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾
وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾
قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ
بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي
حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ
رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

التفسير

• ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أطلعنا عليهم الناس ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي الناس ﴿أَنْتَ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ﴾ صدق ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا شك فيها، ولما حصل تقرير هذه القضية في عقول الناس في ذلك الزمان أمات الله تعالى أصحاب الكهف من جديد ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ فحصل التنازع في أمر هؤلاء الفتية ﴿فَقَالُوا﴾ أي فريق منهم: ﴿أَبْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا﴾ سدُّوا عليهم باب الكهف، واتركوهم على حالهم ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ أعلم بحالهم ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ أصحاب السلطة والنفوذ والكلمة في ذلك الوقت: ﴿لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ سنبني عليهم مسجداً، نتذكّر به حالهم وما جرى لهم.

• ﴿سَيَقُولُونَ﴾ بعض الخائضين في قصتهم عن عددهم: ﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ عدد أصحاب الكهف ثلاثة ورابعهم الكلب ﴿وَيَقُولُونَ﴾ آخرون ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ عددهم خمسة والسادس الكلب ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ كل ذلك قولاً بالظن والتخمين، لا دليل عليه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ آخرون: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ عددهم سبعة والثامن الكلب ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ فهو العالم بذلك ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قلة التي تعلم عددهم حقيقة ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ لا تجادل في عددهم ﴿إِلَّا مِرَاءَ ظَهْرٍ﴾ جدالاً ظاهراً من غير تعمق فيه ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ في أصحاب الكهف ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ مطلقاً.

• ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ لا تقل لشيء تريد فعله سأفعله غداً.



• ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إِلَّا أَنْ تَقِيدَ ذَلِكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَأَذْكُرَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ فَإِذَا نَسِيتَ أَنْ تَقُولَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقُلْهَا بَعْدَ تَذْكُرِكَ لَهَا ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ ﴿٢٤﴾ سَلِ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَهْدِيكَ إِلَى أَقْرَبِ الطَّرِيقِ الْمَوْصِلَةِ لِلْحَقِّ وَالرَّشَدِ.

• ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ أَيِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ فِي كَهْفِهِمْ ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ ﴿٢٥﴾ بَقُوا فِي الْكَهْفِ نِيَامًا ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ وَتِسْعَ سِنِينَ.

• ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ بِمَدَّةِ لَبِثِهِمْ فِي الْكَهْفِ ﴿لَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لَا يَفُوتُهُ مِنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ ﴿أَبْصِرْ بِهِ، وَاسْمِعْ﴾ مَا أَبْصَرَهُ سَبْحَانَهُ! فَهُوَ يَبْصُرُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَا أَسْمَعَهُ؛ فَهُوَ يَسْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ ﴿مَا لَهُمْ مِنَ الْخَالِقِينَ﴾ ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ ﴿مَنْ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى﴾ ﴿مِنْ وَلِيِّ﴾ يَتَوَلَّاهُمْ ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٦﴾ بَلِ الْحَكْمُ كُلُّهُ لِلَّهِ تَعَالَى.

• ﴿وَاتْلُ﴾ وَاقْرَأْ أَيُّهَا الرُّسُولُ ﴿مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لَا مَغْيِيرَ لَهَا وَلَا مُحَرِّفَ وَلَا مُبَدِّلَ ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ﴾ مَنْ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿مُلْتَحِدًا﴾ ﴿٢٧﴾ مُلْتَجِئًا تَلْتَجِئُ إِلَيْهِ.



١ - إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى شَيْئًا أَجْرَى لَهُ الْأَسْبَابُ ﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ ﴿٢٨﴾.

٢ - فِي كُلِّ مَشْكَلَةٍ تَأْخُذُ حَظُّهَا مِنْ وَاقِعِكَ، سَتَرِي مُشَارِكِينَ فِي تَحْلِيلِ أَسْبَابِهَا وَظُرُوفِهَا، وَالتَّعَامُلِ مَعَهَا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾

٣ - حتى حساب العدد وتحديده والتكهن بكل شيء في سبيل ذلك، سيجري في ساحات القضايا التي تحدث في واقعك ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُتِبَ لَهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُتِبَ لَهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُتِبَ لَهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ كذلك يصنع الفراغ في كل واقع.

٤ - القضايا التي لا يترتب عليها عمل، لا تستحق الاحتفال بها في شيء ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾.

٥ - من لا يملك زمام العلم، لا يستحق أن يكون مشاركاً في قضايا ومسائله ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾.

٦ - إذا عزمت على سفرٍ أو طريقٍ أو شيءٍ من أمرك فلا تجزم بموعده، أو كل ذلك لربك ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

٧ - في كل رحلة أو سفر أو طريق، سل الله تعالى أن يبلِّغك مرادك، وأن تصل إلى مقصودك، وأن يهديك الله تعالى إلى ما تشاء ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

٨ - لا يغيب عن الله تعالى شيء ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

٩ - ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ﴿٢٧﴾ دعوة لدراسة حقائق القرآن والاعتبار بها، والاستفادة منها وتوظيفها في حياتنا الشخصية.

١٠ - القرآن سلاح الدعوة، ومن الوعي أن يوظف توظيفاً مؤثراً في مشاريعها ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ﴿٢٧﴾ .





وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ. وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ
شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا
وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ
الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ
لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَبِرِينَ
فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ * وَأَضْرِبْ
لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتِ أَكْلَاهَا وَلَمْ
تَنْظُرِي مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ
لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾



التفسير

- ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ احبسها وألزمها الجلوس ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ﴾ يذكرونه ويدعون في الصباح والمساء ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يريدون ما عند الله تعالى من الجزاء ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ ولا تصرف عيناك عنهم ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تطمع في متاع الدنيا الزائل ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ جعلنا قلبه غافلاً عن موارد الخيرات ﴿وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ فآثره على مراد الله ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ﴿٢٨﴾ ضائعاً معطلاً.
- ﴿وَقُلْ﴾ يا رسول الله ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَم﴾ فما جئكم به فهو الحق ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾ بهذا الحق ﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ به ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ سورها المحيط بها، فلا مخرج لهم منها ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ يطلبوا ماءً ﴿يُعْثَرُوا بِيَمَاءٍ﴾ يعطوا ماءً ﴿كَالْمُهْلِ﴾ كالرصاص المذاب من الحرارة ﴿يَشْوَى الْوُجُوهَ﴾ من حرارته ﴿يُسْكَ الشَّرَابُ﴾ ما أسوأه من شراب ﴿وَسَاءَتْ﴾ النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ ﴿٢٩﴾ قُبِحَتْ منزلاً ومقاماً.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ﴿٣٠﴾ بل لهم ثواب ما عملوه يجدونه وافياً كاملاً.
- ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بساتين يقيمون فيها ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ يُحَلَّوْنَ في الجنة بأساور الذهب ﴿وَلْيَلْبَسُونَ نِيَابًا خَضْرَاءَ مِنْ سُندُسٍ﴾ من رقيق الحرير ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ من الحرير ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ الْأَسْرَّةِ ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾ ما أجمله من ثواب ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ﴿٣١﴾ جملة منزلاً ومقاماً.

• ﴿وَأَصْرَبْ لَهُمْ﴾ للناس ﴿مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾ وهو الكافر بالله تعالى الجاحد لنعمه ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ﴾ كلها من العنب ﴿وَحَفَفَتْهُمَا بِنَخْلٍ﴾ أحطناهما بنخيل، تحفُّ بهما من جميع الجوانب ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾ بين الجنتين ﴿زُرْعًا ٢٢﴾ تتميمًا لجمالهما.

• ﴿كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ ءَأَنْتَ أَكَلَهَا ﴿أَخْرَجْتَ ثَمَرَهُمَا وَافِيًا﴾ وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا ﴿وَلَمْ تَنْقُصْ مِنْ ذَلِكَ الثَّمَرِ شَيْئًا﴾ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٢٣﴾ شققنا وأجرينا نهراً من الماء، يسقي الجنتين.

• ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ لصاحب الجنتين ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يراجعه في الكلام: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ﴿٢٤﴾ أقوى أعواناً وأنصاراً.

التدبير

١ - إذا منَّ الله تعالى عليك برفقةٍ صالحةٍ، فاحرص على صحبتهم قدر وسعك ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾.

٢ - من كمال وعيك أن تختار رفقةً صالحةً في الطريق، وتحرص على ملازمتهم، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾.



٣ - غالب الذين فرطوا في هذا الجانب، نكصوا في النهاية أو كادوا ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نُنْطِعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾.

٤ - إياك ومجالسة البطالين والمفرطين، ومن لا تجمعك بهم صلة صالحة؛ فإن ذلك من عثرات الطريق ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نُنْطِعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾.

٥ - الصحبة مؤثرة! والصاحب ساحب، والأفكار التي تدار في مجالس تلك اللقاءات، تتسرَّب مفاهيمها مع الزمن، وتكوِّن ثقافة وواقع صاحبها، فاختر من ذلك ما يليق بالمقام ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نُنْطِعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾.

٦ - رفقتك ليس بالضرورة سيئة، فقد تناقشك في استقامتك، وقد تكون صالحة وتقتنع بمشروع زواج فاشل، أو رحلة فارغة، أو الانشغال بالتجارة وتفوت عليك نهضتك وأفكارك ومشاريعك الكبرى في الحياة ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نُنْطِعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾.

٧ - الحق لا يتسؤل المعرضين في غرض الطريق ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾.

٨ - للدعوة هدف، متى ما تحقَّق خلص أصحابه من أثقاله وأتعبه ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ وليس عليهم بعد ذلك من تبعاتها شيء.

٩ - ليس من واجب الدعاة إلى الله تعالى إقناع الناس بالحق الذي معهم، وإنما حسبهم إيصال الحق فحسب ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾.

١٠ - هذه أيام التفریط تحل بأصحابها، ولا يجدون منها مخلصاً ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

١١ - إلى كل قارئ يشعر بشيء من التفریط في واقعه، استدرك أيامك قبل الفوات ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

١٢ - كم من نهاية تنتظر صاحبها وهو غافل عنها ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

١٣ - أيها المجهدون المتعبون: لا تستبطئوا مباهج الحياة التي ترجون ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِفِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢١﴾ ﴾.

١٤ - نعم الله تعالى التي تترى عليك جزء من الاختبار والابتلاء ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٢٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَاقَهُمَا نَهْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾.

١٥ - ليس العبرة بالنظر إلى ما أعطاك الله تعالى وما حرمك منه، بل العبرة بنتائج ذلك العطاء وذلك الحرمان ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ



أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَاهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ .

١٦ - كثيرة هي المواقف التي نختبر فيها ونسقط في الحضيض ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ .

١٧ - هذا زرع وارف أودى بصاحبه إلى الخذلان، فما بالك بنعم العلم والأفكار والمفاهيم والمسؤوليات التي وهبها الله تعالى لقوم، وما قاموا فيها بحق الله تعالى! ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ .

١٨ - مشكلة النعم أنها تثير في نفوسنا الكبر والخيلاء إلى أبعد مدى ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ .

١٩ - كم من مخذول بنعم الله تعالى عليه، وهو لا يدري! ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ .

٢٠ - وسع الله تعالى عليه في مزرعة فيها كل شيء من متع الحياة ولم يتمكن من مدِّ ساحاتها في دين الله تعالى ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ .

٢١ - ومثل ذلك طالب علم، وصاحب مهارة وفن، ووظيفة ومسؤولية، عليهم تقع تبعات الشكر، وإلا صار حالهم إلى الحرمان ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ .



وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ
 أَبَدًا ۝٣٥ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي
 لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۝٣٦ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ
 أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا
 ۝٣٧ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝٣٨ وَلَوْلَا إِذْ
 دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا
 أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ
 جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
 زَلَقًا ۝٤٠ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۝٤١
 وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَفْتَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
 عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۝٤٢ وَلَمْ تَكُن لَّهُ
 فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ۝٤٣ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ
 لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۝٤٤ وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
 فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥



التفسير

• ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بكفره وعُجبه ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ ﴿٣٥﴾ لا سبيل إلى فناء هذه الجنة.

• ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ فأنكر يوم القيامة؛ فتقول على الله تعالى بأن جنته ستظل باقية لا سبيل للفناء إليها، وكذلك ليس إلا الدنيا، لا قيامة تنتظر ﴿وَلَيْنِ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ على افتراض أنني عدت إلى الله تعالى يوم القيامة ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾ خيراً من جنته في الدنيا ﴿مُنْقَلَبًا﴾ ﴿٣٦﴾ مرجعاً ومردداً.

• ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يراجعه: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ خلق أصلك آدم من تراب ﴿ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾ مني ﴿ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ ﴿٣٧﴾ مكتمل الخلقة.

• ﴿لَنَكْنَا﴾ أما أنا فأعترف أنه ﴿هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ خلقاً وملكاً وتديبياً ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٣٨﴾ لا أجعل له شريكاً في خلقه وملكه وتديبِهِ.

• ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ لو أنك دخلت جنتك ثم ﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ على هذا الفضل والخير والنعمة ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فهو المعين للخير الموفق إليه ﴿إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿٣٩﴾ فإن ذلك أنفع لك من رؤيتك لي قليل المال والولد.

• ﴿فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ أفضل منها ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ على جنتك ﴿حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ عذاباً من السماء ﴿فَنُصْصِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ ﴿٤٠﴾ أرضاً لا نبات فيها تزلق فيها الأقدام لملوستها.



- ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ غائراً في الأرض ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ ﴿٤١﴾ لا تقدر على الحصول عليه.
- ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾ هلك ماله وفنيت جنته ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ندامة وحسرة ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ من أموال ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ هالكة مهذمة ﴿وَيَقُولُ بَلَيْنِنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٤٢﴾ يتمنى بعد فوات الأوان ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصُرُونَهُ﴾ من دون الله، أي ما نفعه من تعزز بهم وافتخر بكثرتهم وقوتهم ﴿وَمَا كَانَ مُنْصِرًّا﴾ ﴿٤٣﴾ ممتنعاً بقوته من هلاك جنته.
- ﴿هُنَالِكَ﴾ يوم القيامة ﴿الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ النصر لله تعالى ﴿هُوَ خَيْرُ ثَوَابًا﴾ جزاء لأوليائه المؤمنين ﴿وَخَيْرُ عُقْبًا﴾ ﴿٤٤﴾ عاقبة ونهاية.
- ﴿وَأَضْرِبْ﴾ يا رسول الله ﴿لَهُمْ﴾ للمغتربين بالدنيا ﴿مَثَلِ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَا﴾ أنزلناه من السماء فأخلط به نبات الأرض ﴿كَمَا الْمَطَرُ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ فيختلط بالأرض فتنبت نباتها، ثم يستوي جمالاً.
- ﴿فَأَصْبَحَ﴾ في النهاية ﴿هَشِيمًا﴾ يابساً متكسراً بعد خضرته ونضارته ﴿نَذَرُوهُ الرِّيحُ﴾ تنقله إلى كل جهة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾ ﴿٤٥﴾ لا يعجزه من أمر الكون شيء.

التدبير

- ١- كم من سادرٍ في الضلال من خلال نعمة! ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾.



٢ - في مثل زمانك إذا حظيت بصاحب صادق فالزمه فهو من حسنات الدنيا ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۖ لَيْكَأَ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ ٣٨ ۖ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِنَّ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۚ ۝ ٣٩ ۖ ﴾

٣ - من كمال صحبتك أن تكون صريحاً مع صاحبك في كل شيء ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۖ لَيْكَأَ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ ٣٨ ۖ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِنَّ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۚ ۝ ٣٩ ۖ ﴾

٤ - رأيت في مثل زماننا صعبة، لا قيمة لها في واقع صاحبها! إن رآك على برٍّ لم يدلّك على التشبُّث به، وإن رآك على سوء لم ينصحك ويحذرك منه ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۖ لَيْكَأَ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ ٣٨ ۖ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِنَّ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۚ ۝ ٣٩ ۖ ﴾

٥ - من كمال صدقك ونصحك لصديقك وصاحبك، أن تحذّره من آثار خطيئته، وعاقبة فعله، وسوء صنيعه قبل الفوات ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۖ لَيْكَأَ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ ٣٨ ۖ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِنَّ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۚ ۝ ٣٩ ۖ ﴾

٦ - كل نعمة لم يحتف بها صاحبها؛ فمصيورها للزوال ﴿ وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَفْقَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ ٤٣ ۖ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ۝ ٤٤ ۖ ﴾

٧ - كثيرون من الذين حولك، إذا حلت بك عاديّات الزمان ولّوا إلى غير طريق ﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ٤٢ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصْرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾ .

٨ - وما ينفع الندم بعد الفوات! ﴿وَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ما أكثر المتأسفين والمتندمين في النهايات!

٩ - ضرب الأمثلة من أكثر الوسائل تعميقاً للمفاهيم والأفكار والتصورات ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾ ٤٥ .

١٠ - إذا أردت أن تعرف قدر هذه الحياة؛ فتأمل هذا المثال الذي تراه في واقعك كل حين ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾ ٤٥ .

١١ - من كمال وعيك أن تصرف كل ما تملك لبناء دارك الباقية ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾ ٤٥ .



الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ
 عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ
 بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ
 صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ
 لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ
 مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ
 صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا
 يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ
 فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
 أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
 بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا
 ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ
 يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ
 فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

التفسير

- ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مِمَّا يَتَزَيَّنُ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَتِمَادِحُ فِيهِ، وَيَتَكَاثَرُ بِهِ ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ﴾ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ؛ قَوْلِيَّةٌ أَوْ فَعْلِيَّةٌ أَوْ مَالِيَّةٌ ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ أَحْسَنُ أَجْرًا ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ﴿٤٦﴾ خَيْرٌ مَا يَرْجَى عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.
- ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ﴾ تُزَالُ مِنْ مَوَاطِنِهَا ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ لَا شَيْءَ عَلَيْهَا مِنَ الْجِبَالِ وَالْأَشْجَارِ ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ وَجَمَعْنَا النَّاسَ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ ﴿فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿٤٧﴾ لَمْ نَتْرِكْ أَحَدًا دُونَ حِسَابِ.
- ﴿وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ صَفُوفًا لِلْحِسَابِ ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حِفَاءً عِرَاءً غُرْلًا ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ قَلْتُمْ: ﴿أَلَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ ﴿٤٨﴾ وَقَتًا تَجَازُونَ فِيهِ بِأَعْمَالِكُمْ.
- ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كِتَابُ الْأَعْمَالِ ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ خَائِفِينَ وَجَلِينَ مِمَّا دُونَ فِيهِ ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ إِنَّهُمْ بَالِهَالِكُ﴾ مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴿كُتِبَ عَلَيْهَا وَضَبْطُهَا وَحَفِظَهَا﴾ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴿مَكْتُوبًا مُثَبَّتًا﴾ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ لَا يَنْقُصُ مِنْ عَمَلٍ أَحَدٌ شَيْئًا.
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ تَكْرِيمًا وَتَشْرِيفًا ﴿فَسَجَدُوا﴾ كُلُّهُمْ ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ أَبِي السَّجُودِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ ﴿كَانَ مِنَ الْإِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ خَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ ﴿أَفْتَخَذُونَهُ وَذَرَيْتَهُ أُولِيكَاءَ مِنْ دُونِي﴾ تَطِيعُونَهُ وَتَتَوَلَّوْنَهُ ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ يَبْسُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ ﴿٥٠﴾ حِينَ جَعَلُوا وَلَايَةَ الشَّيْطَانِ بَدَلًا مِنْ وَلَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ.



• ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ ما أحضرت ولا شاورت في هذا الخلق ما تدعون من شركاء ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا﴾ ﴿٥١﴾ معاوين مظاهرين لله تعالى.

• ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ الله تعالى: ﴿نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ نادوا من ادعيتم أنهم شركاء لي في الخلق والملك ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ فنادوهم كما أمر الله تعالى ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لأنهم لا يملكون شيئاً ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ ﴿٥٢﴾ مهلكاً. ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ يوم القيامة ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ علموا وتيقنوا وقوعهم فيها ﴿وَلَمْ يَحْدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ ﴿٥٣﴾ مكاناً ينصرفون إليه غيرها.



١ - لا تدهشك كثرة مالك وولدك في الدنيا، ما لم تتصل بالآخرة فلا قيمة لها في واقعك ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ﴿٤٦﴾.

٢ - لا تغبط مخلوقاً على كثرة ماله وولده، العبرة بما كان موصولاً في بناء تلك الدار ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ﴿٤٦﴾.

٣ - اعقد يديك وقلبك على الباقيات في الدار الآخرة فهي التي تصنع مستقبلك ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ﴿٤٦﴾.

٤ - وصِيَّةُ نَبِيِّكَ ﷺ: «نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»^(١) و«أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(٢) يمكنها أن تحيل واقعك إلى ما تحلم به من أمنيات ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾^(٤٦).

٥ - للحقائق وقت تحين فيه، وإن طال الزمان ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٤٧) وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾^(٤٨).

٦ - من كان له قلب فليستعد لهذه المواقف قبل حلولها ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٤٧) وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾^(٤٨).

٧ - حين يأتي الله تعالى بالأولين والآخرين، لا يتخلف منهم أحد ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٤٧) وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾^(٤٨).

٨ - حين لا يبقى من الظنون الكاذبة والأوهام العارضة شيء ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٤٧) وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾^(٤٨).

٩ - تخيل أن كتابك بيدك وترى فيه كل شيء! ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَلِّتُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٤٩).

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٢٩٩) والحاكم (٢١٣٠) والبيهقي في الشعب (١٢٤٨)

من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



١٠ - ثَمَّةٌ يَوْمَ يَواجِه فيه الإنسان الحقائق وجهاً لوجه ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلِنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿٤٩﴾.

١١ - حتى أحداثك الصغيرة التي جرت في ظلام الليل، أو في خصام عامل، أو في توقيع معاملة، أو حتى في جرد بعض الحسابات الشخصية، وضعت بين يديك، لم يتخلف منها شيء ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلِنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿٤٩﴾.

١٢ - كلُّ مالٍ دخل من ربا أو غش أو غصب أو احتيال مدوّن في لحظته، وموقفه الذي حدث فيه ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلِنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿٤٩﴾.

١٣ - حتى الكلمة الطيبة التي قالها يوماً ما، والنصيحة التي بذلها ذات ليلة، والصدقة التي أعطاها لمحتاج، ومواقف البذل والعطاء جاء بها الكتاب، وذكّره بكل أحداثها ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلِنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿٤٩﴾.

١٤ - أخذ يقرأ فإذا في كتابه الكلمة التي درأ بها عن عرض أخيه، والكربة التي نفّس فيها عن صاحبه، والدين الذي تنازل عنه لتخفيف ذمّة صديقه، والعامل الذي وقف له في جنب الطريق، وأركبه وخفّف عنه أعباء الطريق وحرارة الشمس ذات يوم ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلِنَا مَا لِهَذَا



الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۖ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۚ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

١٥ - لمثل هذه الحقائق تُستثمر مواقف الحياة ﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۚ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ وبمثله يتخفف الإنسان من مواقف الخذلان!

١٦ - ماذا لو كانت هذه الحقيقة تصحب كل واحدٍ منّا في طريقه، وبيته ومقر عمله ورحلته، وفي كل زمان ومكان! ﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۚ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

١٧ - إذا استشعر الإنسان هذا المعنى عفا عن الخطأ، وقبل النصيحة مسروراً، وتجاوز عن كل شيء ﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۚ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

١٨ - لا تبخل بجاهك أو مالك أو مسؤوليتك، أو حتى كلمتك؛ فربما تصنع فوراق الأحداث في تلك الأيام ﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۚ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

١٩ - كم من نادٍ على فوات الأرباح عند معاينة الحقائق ﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۚ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

٢٠ - (يا ليتني!) من السهولة أن تتحسّر بها على فوات حظك غداً، لكنك ما زلت في زمن مبادرة الفرص واغتنام اللحظات؛ فإياك وتضييع الفرص ﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۚ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

٢١ - إذا سمعت أو قرأت أمراً من ربك، فخرّ له بقلبك ومشاعرك ساجداً قبل أن تبدأ رحلته في واقعك ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾.



٢٢ - إذا لم تعرف القلوب حق الله تعالى، لم تحفل بشيء من أوامره ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝﴾.

٢٣ - موقف كبير وعزٌّ وهمي ألقى بهذا الشقي في دركات الحرمان، فإياك ومواقف الضلال! ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝﴾.

٢٤ - مؤلم أن نتهافت على طاعة عدونا دون إدراك لخطر ذلك ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝﴾.

٢٥ - لو أن أحداً أخطأ عليك في موقف؛ لبقيت عمرك ترصد لذلك المعنى موقف انتصار، فكيف بعدوك الذي رفض أن يشارك في تكريم أبيك ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝﴾.

٢٦ - ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۝٥١﴾ فما لك وللضعفاء والعجزة الذين لا ينفعون في شيء!

٢٧ - وزالت الأوهام من عقول كثيرين ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ۝٥٢﴾ ورءا المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا ۝٥٣﴾.

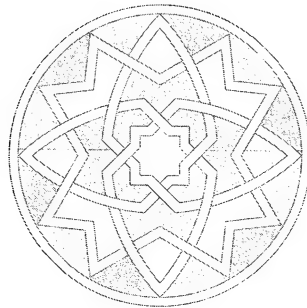
٢٨ - هذه هي الحقائق التي لم يقتنعوا بها يوماً في تاريخهم ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣﴾.

٢٩ - كم من متأسفٍ بعد الفوات! ﴿وَرَاءَ الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ ﴿٥٣﴾.

٣٠ - ألقيت بنفسك في حطامها؛ فليس ثمة مساحةٌ إلا هي ﴿وَرَاءَ الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ ﴿٥٣﴾.

٣١ - كم مرّةً اجتهد رسل الله تعالى وأتباعهم في إقناعكم بهذه الحقيقة فرفضتم! ﴿وَرَاءَ الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ ﴿٥٣﴾.

٣٢ - عليك أن تواجه الحقائق كما هي ﴿وَرَاءَ الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ ﴿٥٣﴾.



وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ
جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ
أُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا
جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ
تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِلَّا إِذَا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ
دُورَ الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ
لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ
الْأَقْرَبُ أَهْلَكَتُهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَتِلْغَ مَجْمَعَ
الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا
حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾



التفسير

• ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ وَضَحْنَا وَنَوَّعْنَا فِي ﴿هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ يصلح للاعتبار والذكرى ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ﴿٥٤﴾ نزاعاً ومخالفة.

• ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ﴾ السنة المقررة الجارية في الخلق أنهم إذا لم يؤمنوا عوجلوا بالعقوبة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ ﴿٥٥﴾ يرونه مقبلاً عليهم، ففي هذه الأحوال يؤمنون ولكن لا فائدة في الإيمان بالله تعالى في هذا الوقت ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ للمعرضين ﴿وَيُحْدِثُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُذْخِرُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ رغبة في إزهاق الحق وإبطاله ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ القرآن ﴿وَمَا أَنْذِرُوا﴾ من الوعد والوعيد ﴿هَزُوا﴾ ﴿٥٦﴾ سخرية واستهزاء.

• ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ وعظ بها ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أدبر وتولى ولم يسمع لها ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من المعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ تمنعهم من الاستفادة من القرآن ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمماً وثقلاً ﴿وَأِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِلَّا أَيْدِيًا﴾ ﴿٥٧﴾ لأن الله تعالى طبع على قلوبهم، وأقفل على موارد الهداية لديهم لغفلتهم عن الحق، وإعراضهم عنه.

• ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ كثير المغفرة والرحمة ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهم﴾ لو يؤاخذ المعرضين العاصين ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ بما فعلوا من معاصي ﴿لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ لجاءهم العذاب معجلاً في الدنيا ﴿بَلْ لَهُمْ



﴿مَوْعِدٌ﴾ يجازون فيه وهو يوم القيامة ﴿لَنْ يَحْذُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ ﴿٥٨﴾
ملجأ ومخلصاً.

• ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بسبب ظلمهم ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾ ﴿٥٩﴾ زمناً ثابتاً، وموعداً محدداً.

• ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ خادمه يوشع بن نون: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا أزال سائراً لا أتوقف ﴿حَتَّى أَبْلُغَ﴾ أصل إلى ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى البحرين، وهو المكان الذي أوحى إليه أنه سيجد عنده من هو أعلم منه ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾ ﴿٦٠﴾ مسافات طويلة حتى أبلغ ما أريد.

• ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ موسى وفتاه ﴿مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ وصلا ذلك المكان ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ فقدوا الحوت الذي معهما، وقد كان فقد الحوت إشارة إلى المكان الذي وعد موسى أن يلقي صاحبه فيه ﴿فَاتَّخَذَ﴾ أي الحوت ﴿سَبِيلَهُ﴾ طريقه ﴿فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ ﴿٦١﴾ أحيا الله تعالى الحوت فعاد مع حيوانات البحر حياً.



١ - كم في هذا القرآن من معنى وذكرى! ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾.

٢ - ما أخرج هذه الحقيقة إلى استثمار على المستوى الشخصي والدعوي! ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾.

٣ - ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ الحقيقة التي لا يكاد يخلو منها موقف من المواقف!



٤ - جُبِلَ عَلَى الْجَدَلِ، وَالْعِنَادِ، وَاخْتِلَاقِ الْأَعْدَارِ وَسَيَظِلُ كَذَلِكَ ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

٥ - المشكلة أنه يجادل في حقائق عليها ألف دليل ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

٦ - لا تستغرب حين ترى رأياً معارضاً من إنسان ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

٧ - حتى حين تناقش ولدك، ستبرز لك هذه الحقيقة في أول ذلك النقاش ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

٨ - ثمة أناس لو أُلقيت عليهم حجج التاريخ كُلُّهَا، لن يتقدموا خطوة حتى تحلَّ بهم سنن الأولين ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾.

٩ - ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾ دعوة لأن تصدع بدعوتك ومشروعك ورسالتك، دون أن تنتظر لها رواجاً في نفوس السامعين.

١٠ - ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾ هذا المعنى يخفف عنك أعباء الطريق وأثقال المسؤولية!

١١ - ركِّز على مشروعك ورسالتك ودعوتك، وألقِ بهمومك في رحابها ولا عليك في مستقبلها ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾.



١٢ - جزء من مشكلاتنا أننا نرغب تفاعل المستمعين، ونتوقف أو نمضي على قدر ذلك التفاعل ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾ حتى في وسائل التواصل الاجتماعي التي هي منبر دعوة ما زالت تحاصرنا الشكليات والأعداد والمشاركين.

١٣ - هذا هو دور الداعية في مشروعه الكبير ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.

١٤ - ﴿وَيَجِدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ صورة من صور الجدل العقيم! لا تتوقف مهما كان الحق الذي معك!

١٥ - النية تكتب حظها في كثير من المواقف ﴿وَيَجِدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ لا يبحثون بجدالهم عن الحقائق، بل ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ وكم من نية تركت إنساناً في تيه الظلام!

١٦ - مشكلة كثير في الجدل الذي يجري في ساحات الإعلام أنه على المقصد والهدف نفسه ﴿وَيَجِدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ ليس بالضرورة من الذين كفروا، وإنما من صفوف النفاق!

١٧ - في مرّات كثيرة نجادل لنغلب ونتنصر ونفوز، وليس بالضرورة لنصل إلى الحق الذي يريده الله تعالى ﴿وَيَجِدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

١٨ - أين هذا المعنى من خلق الشافعي: ما جادلت أحداً إلا أحببت أن يُظهر الله الحق على لسانه! ﴿وَيَجِدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

١٩ - راقب نيتك في كل حوار أو نقاش يدور، وأخلصها لربك تصل إلى أمانيك ﴿وَيَجِدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.



٢٠ - ﴿وَاتَّخَذُوا عَآئِنِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ صورة بات تأخذ حظها من واقعنا بامعان!

٢١ - أكثر جنود هذه الحقيقة الإعلام ﴿وَاتَّخَذُوا عَآئِنِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾.

٢٢ - الذي لا يؤمن بمنهجك، يسهل عليه أن يرمي عليه بهذه الطوام ﴿وَاتَّخَذُوا عَآئِنِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾.

٢٣ - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِيْءَ آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ رسالة وعيد لكل المعرضين عن الحقائق الكبرى!

٢٤ - البدايات المظلمة تستحق هذه الخواتيم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِيْءَ آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾.

٢٥ - الخطوة الأولى ستظل هي صانعة الضوء أو الظلام ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِيْءَ آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾.

٢٦ - تخيل! لو أنه عرضت عليك آية من كتاب ربك، ولم تحتفل بها، فأجرى الله تعالى عليك الجزاء ذاته! ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِيْءَ آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ كم هي المفاهيم التي يدلي بها القرآن على أسماعنا ولم تلق ترحيباً حتى الآن.

٢٧ - الإعراض عن آيات الله تعالى أعظم ظلم يرتكبه الإنسان في واقعه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِيْءَ آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾.



٢٨ - يكفرون، وينافقون، ويضلون، ويجاهرون، وهو يراهم، ولا تزيده تلك المواقف إلّا حِلماً عليهم، إنه الله! ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾﴾.

٢٩ - إن الله تعالى لا يعجل بالعقوبة لأحد من العالمين ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾﴾.

٣٠ - جرت سُنَّةُ الله تعالى أن القصاص في الآخرة؛ فلا تعجل على ما ترى من مشاهد الضالين ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾﴾.

٣١ - لو أن الله تعالى عجل بالعقوبة في كل موقف لما بقي لحكمته موطن ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾﴾.

٣٢ - إذا وقع الظلم في ساحة قرية أو مجتمع أو دولة أو حتى أمة؛ فانظر لفجائع القدر في واقعهم ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾.

٣٣ - ما أكثر مساحات الظلم في واقع الناس! ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ الخدم والعمال تركوا ديارهم، وعاشوا غرباء، ووجدوا من يأكل حقوقهم صباح مساء.

٣٤ - ترصد عقوبة ظلمك في طريقك وخطوك ومشوار سفرك؛ فالله تعالى توعدك، ورصد لك ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾.

٣٥ - الهدف يصنع حكايات الشوق ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿٦٠﴾.

٣٦ - مشكلة كثيرين أنهم لا يجدون رواء هذا المعنى في نفوسهم؛ فتموت أحلامهم في بداية الطريق ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿٦٠﴾.

٣٧ - إذا لم يكن في واقعك هذا المعنى؛ فلا مفروح بشيء من قصتك في الحياة كلها ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿٦٠﴾.

٣٨ - حين تكون الأجساد رهن رؤى وأهداف ومشاريع أصحابها ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿٦٠﴾.

٣٩ - نهاية الطريق لا يبلغها إلا الجادون ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿٦٠﴾.

٤٠ - قل لي: ما هدفك ورسالتك ومشروعك وفكرتك؟ وسأقول لك من أنت في قادم الأيام ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿٦٠﴾.

٤١ - الذين لا يعرفون هذه المعاني، لا يستحقون أن يكونوا قدوات ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿٦٠﴾.

٤٢ - الهدف نصف المعركة، ونصفها الآخر همومك الساعية في بلوغ النهايات ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿٦٠﴾.



٤٣ - من لا يملك هدفاً، ليس بالضرورة أن يستيقظ في الصباح، يكفيه لحاف النوم بدلاً عن أمانيه ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أْبْرُحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ٦٠.

٤٤ - ما تصنع بالحياة إذا استيقظت الفجر وأنت لا تملك هدفاً تعمل له في ساعات النهار ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أْبْرُحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ٦٠.

٤٥ - علم من حولك أن المرابطة على الهدف فرع عن هموم صاحبه ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أْبْرُحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ٦٠.

٤٦ - إذا لم تكن غايات الكبار كذلك، وإلا فلا مفروح بصحبته ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أْبْرُحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ٦٠.

٤٧ - إذا أردت أن تكتب حظك من الحياة، فاصحب صانعاً لهذه الهموم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أْبْرُحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ٦٠.

٤٨ - أحلامك التي تعيش في قلبك، هي الثورة التي تصفع هموم الفارغين في قارعة الطريق ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أْبْرُحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ٦٠.

٤٩ - كل المشاريع التي كتبت حظها من التاريخ، قامت على هذا الأساس المتين من الأمانى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أْبْرُحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ٦٠.

٥٠ - على قدر ما في قلبك يهبك الله تعالى ما تشاء ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ ٦١.

٥١ - صاحب الشوق، يصنع لصاحبه مناه ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝١١ ﴾ .

٥٢ - حين يتحوّل الكون لتحقيق آمالك التي تعيش من أجلها ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝١١ ﴾ .

٥٣ - العالم كله يفسح الطريق للذين يعرفون أين يتجهون ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝١١ ﴾ .



فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا
هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
الْحُوتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي
الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ ءَانَائِهِمَا
فَقَصَصَا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ رَحْمَةً مِنْ
عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَبِعَكَ
عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا
لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ
قَالَ أَقَتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾

التفسير

• ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ مجمع البحرين ﴿قَالَ لِفَتْنِهِ﴾ يوشع بن نون: ﴿ءَاِئِنَّا غَدَاءَنَا﴾ قُرْبَ لَنَا الْغَدَاءَ ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ﴿١٢﴾ ﴿تعبنا من طول السفر.

• ﴿قَالَ﴾ فتاه يوشع بن نون: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ التي وجدناها في الطريق ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ عندها ﴿وَمَا أَنَسِينِيهِ﴾ أي الحوت ﴿إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ منعني من تذكُّره ﴿وَأَتَّخَذَ﴾ أي الحوت ﴿سَبِيلَهُ﴾ طريقه ﴿فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ ﴿١٣﴾ شيئاً عجيباً، فقد كان ميّناً فأحياه الله تعالى، واتخذ في البحر طريقاً مفتوحاً.

• ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ ذلك المكان هو الذي نريد ﴿فَارْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ ﴿١٤﴾ يقصون آثارهما التي جاؤوا منها.

• ﴿فَوَجَدَا﴾ في المكان ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ وهو الخضر ﴿ءَاِتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا﴾ خاصة به ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ من عند الله تعالى ﴿عِلْمًا﴾ ﴿١٥﴾ كثيراً واسعاً.

• ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ﴾ للخضر: ﴿هَلْ أَتَبِعُكَ﴾ في رحلتك ﴿عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ ﴿١٦﴾ تعلِّمني ممَّا آتاك الله تعالى من العلم.

• قال الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿١٧﴾ لا تقدر على ملازمتي.

• ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ ﴿١٨﴾ لا يمكن أن تصبر على علم لم تحط بحقيقته.

• ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ على ما أرى ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ﴿١٩﴾ لن أخالفك فيما تراه من أمرٍ عليّ.



• ﴿قَالَ﴾ الخضر: ﴿فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي﴾ صحبتني ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ﴿٧٠﴾ أي لا تبتدئني بسؤال عن شيء مما تراه، حتى أخبرك أنا عنه.

• ﴿فَانْطَلَقَا﴾ بدأت الرحلة ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ حين استقرا في السفينة ﴿خَرَقَهَا﴾ خرق جدار السفينة ليعيها ﴿قَالَ﴾ موسى مُنْكَرًا عليه: ﴿أَخْرَقَهَا النُّعْرُقُ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ ﴿٧١﴾ عظيمًا شنيعًا.

• ﴿قَالَ﴾ الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٧٢﴾ ذكّره بشرطه في بداية الرحلة.

• ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ نسيْتُ ما قلتَ لي، فلا تؤاخذني بذلك النسيان ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ ﴿٧٣﴾ لا ترهقني بالعسير من الأمور، بل اصبر عليّ.

• ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ أي الخضر ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا رَكِيَّةً﴾ لم تبلغ الحلم بعد ﴿يَغْيِرُ نَفْسٍ﴾ دونما ذنب ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ ﴿٧٤﴾ عظيمًا شنيعًا.



١ - موكب الأحلام يستحق هذا التوفيق ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتَهُ إِِنَّا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾.

٢ - لم يبلغ هدفه وإنما جاوزه، كذلك يفعل صنّاع الأحلام ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءٌ نَأْ لَقَدْ لِقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَضَبًا﴾ ﴿٦٢﴾.

٣ - إلى كل الذين رسموا لهم أحلاماً وعجزوا عن ملاحقتها، خذوا من هذا الدرس هذا الكبير ملحمة للبقاء ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءٌ نَأْ لَقَدْ لِقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَضَبًا﴾ ﴿٦٢﴾.

٤ - علم من حولك أنّ ثمن الكلمة هو موضع الرهان. وعِذُّهُ ببلوغ المكان ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُبْرِحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿٦٠﴾ ولم يتوقف حتى جاوزه ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءٌ نَأْ لَقَدْ لِقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَضَبًا﴾ ﴿٦٢﴾.

٥ - قل لكل الذين اعتذروا عن مواصلة المشوار، لبعد المسافة وشقة الطريق: هذه قصة سراج الظلام ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءٌ نَأْ لَقَدْ لِقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَضَبًا﴾ ﴿٦٢﴾.

٦ - إذا صدقت نيّتك، وصح عزمك، تحوّل الكون خادماً لك وملهماً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءٌ نَأْ لَقَدْ لِقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَضَبًا﴾ ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ شعر بالنصب حين جاوز المكان!

٧ - ﴿فَوَجَدَا﴾ أحرف تستجُرّني إلى الشوق في رحلة كلّ هدف، وقصّة كلّ مشروع!

٨ - ﴿فَوَجَدَا﴾ رسالة لكل الذين يقولون: مستحيل، ولا يمكن، وصعب، ودونك عنه خرط القتاد!



٩ - ﴿فَوَجَدَا﴾ ضماد لكل جراح وتعب، وتسلية لكل مكدود في الطريق وصاحب عناء!

١٠ - ﴿فَوَجَدَا﴾ معنى يُجهضُ أعداء الفارغين والبطالين!

١١ - ﴿فَوَجَدَا﴾ النتيجة الطبيعية لكل صادق في الطريق!

١٢ - إذا أردت مصاحبة كبير، فاعرض له غرضك، وأبين له عن حاجتك ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبَعَكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلِمَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾ ﴿٦٦﴾.

١٣ - الجهل لا يتسع لكثير مما يراه عارضاً في الطريق ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾.

١٤ - إذا أردت أن تعرف خطورة الجهل؛ فانظر كيف لاحق نبياً من أولي العزم حتى ألقاه وأحلامه في عرض الطريق ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ وما زال به معارضاً حتى اعتذر الخضر عن صحبته.

١٥ - العلماء يعرفون أثقال وأحمال الجهل ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾.

١٦ - ما أكثر عوائد الأدب على طلاب العلم! ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ﴿٦٩﴾.

١٧ - الألسن مغاريف العقول ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ﴿٦٩﴾ قال ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ولم يجزم، وتلك من دلائل كمال العقول!

١٨ - من جلال طالب العلم وحسن توفيقه هذا الأدب الرائق في ساحات معلّميه ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ﴿٦٩﴾.

١٩ - كنت مرة في عنيزة في دورة علمية لشيخنا ابن عثيمين، وهو يشرح مسألة التيمم، وهل يشترط له التراب أو لا! فقال طالب: يا شيخ ما ردكم على من



يشترط التراب! فقال له الشيخ: كأنك في حلقة مناظرة! تعلم الأدب في مجالس العلماء، وانظر كيف تلقي بسؤالك عليهم، ثم عاد الشيخ إليه مرة أخرى قائلاً: إنما أردت أن يستفيد زملاؤك.

٢٠ - رأيت من يحضر دورة علمية في مبادئ العلوم، ثم إذا عاد صحَّح لشيخه، واستدرك عليه ووجهه بجملة من الأساليب التي ينبغي للشيخ أن يفعلها، وهو لا يحسن بحث مسألة في كتاب الطهارة بعد ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ٦١.

٢١ - ورأيت بعضهم يصحح لكبار في وسائل التواصل الاجتماعي، وينقم عليهم، ويلوي لسانه كبراً: لا ينبغي، ولو فعلوا كذا لكان أحسن، والمسألة ليس عليها دليل، أدركت حينها كم هي حاجته لهذا الأدب! ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ٦١.

٢٢ - محرومون من مباحج العلم الذين لم يتعرفوا على أدب كبارهم وحملته رايته ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ٦١.

٢٣ - الجهل يسقط صاحبه في أول الطريق ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقَهَا النُّعْرُقُ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ ٦١.

٢٤ - فرق كبير بين من لا يعرف إلا قولاً واحداً في مسألة فقهية، وآخر يعرف ما دار فيها من خلاف ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقَهَا النُّعْرُقُ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ ٦١. الأول يضيق بأي عارض، والآخر يسع كل المخالفين.



﴿٧٥﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ قَالَ إِن
 سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا
 ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ
 يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ۚ قَالَ لَوْ
 شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۗ ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۖ ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ
 فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ
 مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۖ ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ
 مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ
 يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۖ ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ
 فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا
 وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا
 وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي
 ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۖ ﴿٨٢﴾



التفسير

• ﴿قَالَ﴾ الخضر: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿٧٥﴾ ذكره بشرطه في بداية الرحلة ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ بعد هاتين الحادثتين ﴿فَلَا تُصَحِّجْنِي﴾ ففارقني ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ ﴿٧٦﴾ عذرتك في إنزالي وعدم مصاحبتني.

• ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ أصحاب قرية ﴿أَسْتَطَعَا أَهْلَهَا﴾ سألوهما الطعام ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا﴾ رفض أصحاب القرية إطعامهما ﴿فَوَجَدَا فِيهَا﴾ في القرية ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ يسقط ﴿فَأَقَامَهُ﴾ أي الخضر ﴿قَالَ﴾ موسى للخضر: ﴿لَوْ شِئْتُ لَوُ ارْتَدْتُ﴾ لو أردت ﴿لَكُنْخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ﴿٧٧﴾ لأخذت أجرًا مقابل بنائك لعدم ضيافتهم لنا.

• ﴿قَالَ﴾ أي الخضر: ﴿هَذَا﴾ هذه الحادثة ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ لا سبيل للتواصل معك ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ سأخبرك ﴿بِنُأْوِيلٍ﴾ بتفسير ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٧٨﴾ ما لم تتمكن من الصبر عليه.

• ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾ التي خرقتها ﴿فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ ﴿٧٩﴾ فلو رآها وهي صالحة لغصبها منهم، فخرقتها لحفظها والإبقاء عليها.

• ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ﴾ الذي قتلته ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ وكان هو في علم الله تعالى كافرًا ﴿فَخَشِينَا﴾ إن بلغ ﴿أَنْ يُرْهَقَهُمَا﴾ يحملهما ﴿طُغَيْنَا وَكُفِرْنَا﴾ ﴿٨٠﴾ على الطغيان والكفر.



• ﴿فَارَدْنَا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً﴾ صلاحاً وطهارة ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ ﴿٨١﴾
براً بهما ورحمةً عليهما.

• ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ﴾ الذي أقمته في تلك القرية ﴿فَكَانَ لِعُلَمَاءٍ يَتِمِّينَ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ فلو تركته لضاع حقهما ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فأقمت الجدار؛ لِيُتِمِّهَما وضعفهما، ولصلاح أبيهما ﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ يكبرا ويبلغا قوتهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ﴾ ذلك الذي فعلت ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِی﴾ باجتهادي ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ﴾ تفسير ﴿مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٨٢﴾ ما لم تتمكن من الصبر عليه.



١ - العلم مُكَلِّفٌ، ويحتاج إلى طول نفس وكبير همة ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ ﴿٧٦﴾ ومن جرَّبه أدرك معارك البدايات!
٢ - العلم لا يدرك إلا بالصبر ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ ﴿٧٦﴾ كم من منتسب إليه في بداية الطريق! وكم من متخلف عنه في النهايات.

٣ - ﴿فَارَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ رسالة في الأدب في التعامل مع الله تعالى، نسب عيب السفينة إليه، وليس إلى الله تعالى.

٤ - صلاح الآباء يهيض أحلامه على الأبناء، ولو بعد حين ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِعُلَمَاءٍ يَتِمِّينَ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِی ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٨٢﴾.

٥ - أعظم ما تخلفه لذريتك وأسرتك، هو صلاح نفسك، وحفظك لحقوق الله تعالى وحدوده ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

٦ - كان بعض السلف يقول: أزيد في سجودي رغبة في صلاح ولدي ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

٧ - ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ رسالة للدعاة والصالحين وأصحاب الرايات، أن لا ينسوا أبناء أصحاب المشاريع بعد رحيلهم، يبنوا لهم حلماً، ويقاربوا لهم مسافات الطريق، ويعيدوا مباحج الذكرى من جديد.

٨ - ابنوا لهم بيتاً، واصنعوا لهم مشروعاً، وسدّوا لهم ديناً، ويسّروا لهم العيش في الحياة ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾.

٩ - رحل صديقه وعليه دين، يبلغ أو يقارب نصف مليون؛ فكتب في وسائل التواصل لبعض محبيه: رحل أخوكم وفي ذمته كذا، وإني عازم على سداد دينه، وهذا حسابي من أراد أن يحول عليه فليصنع، وسنوقف التبرع خلال (٤٨) ساعة، ولم تنته المدة حتى سدّد دينه وأبرأ ذمته، وكذلك يصنع الكبار! ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ



رَبِّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَن أَمْرِ ذَٰلِكَ
تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ۞

١٠ - هذا المعنى يصفع ذلك الإخاء البارد الذي لا ينفع حياً ولا يُرجى في موت
﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ، كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ وَمَا فَعَلْتُهُ،
عَن أَمْرِ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ۞﴾

١١ - من لطيف الأدب أنه نسب بناء الجدار إلى إرادة الله تعالى ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ
لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ، كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ
يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَن أَمْرِ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا
لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ۞﴾





وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا
 (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَانَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا
 (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ
 عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ نُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا
 (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا
 نُكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ
 مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ
 وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ
 أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ
 وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَبْذَا
 الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ
 أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ
 أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ
 الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ
 قَطْرًا (٩٦) فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)



التفسير

- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ ويسألك أهل الكتاب والمشركون ممتحنين ﴿عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ عن قصة ذي القرنين (قل) لهم: ﴿سَأْتَلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ﴾ سأتلوا عليكم خبره وقصته.
- ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ مكَّناه في الأرض ﴿وَعَائِنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وعائنه من كل شيء ﴿مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِمَطْلُوبِهِ﴾ سبباً ﴿۸٤﴾ طريقاً يتوصل به إلى ما يريد.
- ﴿فَأَنْعَ سَبَبًا ۖ﴾ ﴿۸٥﴾ أخذ بتلك الأسباب.
- ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من جهة المغرب ﴿وَجَدَهَا﴾ أي الشمس ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ رآها في نظره تغرب في طينة سوداء في البحر، وإلا هي لا تفارق فلکها الذي هي فيه ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾ عند مغربها ﴿قَوْمًا﴾ أناساً كفاراً ﴿قُلْنَا يَذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذَّبَ﴾ مكَّنه الله تعالى من هؤلاء، وخيره بين تعذيبهم ﴿وَأِمَّا أَنْ نُنْخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ ﴿۸٦﴾ تحسن إليهم.
- ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ من هؤلاء ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ نُرِدُّهُ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ يوم القيامة ﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا﴾ ﴿۸٧﴾ عذاباً عظيماً.
- ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ﴾ بالله تعالى ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ﴾ أحسن الجزاء وأوفاه في الدارين ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ ﴿۸٨﴾ وسنحسن إليه بالقول الطيب اللين.
- ﴿ثُمَّ أَنْعَ سَبَبًا ۖ﴾ ﴿۸٩﴾ أخذ بتلك الأسباب بجد، فكان كلما مرَّ بقوم في طريقه، قهرهم وغلِبهم، ودعاهم إلى الله تعالى؛ فإن أطاعوه، وإلا أدلهم واستباح كل شيء منهم.

- ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض ﴿وَجَدَهَا﴾ أي الشمس ﴿تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ ﴿٩٠﴾ ليس لهم بناء، ولا أمكنة تسترهم من الشمس.
- ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ بما لدى ذي القرنين ﴿خَبْرًا﴾ ﴿٩١﴾ علماً فنعلم كل ما يقوم به.
- ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ﴿٩٢﴾ أخذ بتلك الأسباب بجد.
- ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ الحاجزين لما وراءهما ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ ﴿٩٣﴾ لا يفهمون كلام غيرهما، فمكّن الله تعالى ذا القرنين من فهم قولهما وتكلم معهما ﴿فَالْوَايْدَا الْقَرْيَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بما يفعلون فيها من الفساد ﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا أَجْرًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ﴿٩٤﴾ مقابل أن تبني بيننا وبينهم سداً مانعاً من خروجهم علينا.
- ﴿قَالَ مَا مَكْنِيَ فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ ما أعطاني الله تعالى خيراً ممّا تمددوني به من المال ﴿فَاعِصْنُونِي بِقُوَّةٍ﴾ منكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ﴿٩٥﴾ سداً حاجزاً.
- ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قطع الحديد العظيمة ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ وضع الحديد حتى تساوت مع جانبي الجبل ﴿قَالَ أَنْفُخُوا﴾ أشعلوا ناراً وانفخوا عليها، حتى تذيب الحديد ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ مشتعلة من شدة الحرارة ﴿قَالَ ءَاتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ ﴿٩٦﴾ أعطوني نحاساً مذاباً أفرغه عليه، فلمّا فعل كذلك وانتهى من بناء السد.
- ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ يأجوج ومأجوج ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ يصعدوا فوق السد ويتجاوزوه ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ ﴿٩٧﴾ وما استطاعوا أن يخرقوه.



التفسير

١ - ضرورة تحصُّن الداعية وصاحب الرسالة بالعلم الذي يبين له الحقائق، ويواجه به تحديات الباطل ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٨٣﴾.

٢ - العلم والمعرفة آلة الحرب الأولى، وقاعدتها في التحدي، وسهامها أصوب من كل سهم في المعركة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٨٣﴾.

٣ - إذا أرادت الأمة أن تبعث من يقوم لها بواجب، فعليها أن تختار من يحقق لها أملها في تحقيق ذلك الواجب، أو تحصُّن من ستبعثه لمهمَّتها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَانِيتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۝٨٤ فَأَنْبَعَ سَبَبًا ۝٨٥﴾.

٤ - إذا وهبك الله تعالى الأسباب الموصلة إلى غاياتك، فلا تفرط في بلوغ أحلامك وأمانيك ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَانِيتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۝٨٤ فَأَنْبَعَ سَبَبًا ۝٨٥﴾.

٥ - الكبار لا تنتهي آمالهم عند حد ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝٨٦﴾.

٦ - إذا أردت فكرة أو هدفًا أو مشروعًا، فكد نفسك فيه، ولا تتوقف حتى تبلغ آمالك منه. ودعك من دعاوى البطالين والفارغين: لا أقدر، لم أستطع، صعب، حاولت، لم أتمكن، كلُّها أوهام ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝٨٦﴾.

٧ - الهمم باعث الشوق إلى عالم الأحلام ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا ۝٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝٩١﴾ ثُمَّ أَنْبَعَ



سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾

٨ - الحركة والفاعلية أصلٌ في كلِّ ملهم، أدرك واجبه وشعر بخطورة واقعه ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴿٩٤﴾

٩ - المبادرة، وصناعة القرار مسؤوليةٌ يضطلع بها الكبار ﴿قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾

١٠ - صناعة التغيير في أيِّ واقع أمرٌ ممكنٌ وواقعي، إذا وجد من يحمل هموم أمته، ويبادر إلى تلك الغايات ﴿قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾

١١ - الأزمات والمشكلات والظروف العارضة في طريق أحلام الأمة، لا تحتاج إلى قوى مادية أو مالية أو بشرية، تحتاج إلى من يمسك راية المبادرة، ويأخذ على عاتقه مسؤولية الإصلاح ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ



وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَعُوا أَن يَصْطَعُوا وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقَبًا ﴿٩٧﴾ ﴿٩٥﴾

١٢ - ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ رسالة في أَنَّ التَّغْيِيرَ لَا يَتِمُّ بِمَعْزَلٍ عَنْ أَفْرَادِ ذَلِكَ الْوَاقِعِ، وَأَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا آمَالَهُمْ؛ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَحَرَّكُوا فِي الْمَشَارَكَةِ فِي إِحْيَائِهِ.

١٣ - الْكِبَارُ وَضَنَاعُ الْحَيَاةِ يَحْسِنُونَ فَنَ الْعَمَلِ، وَيَكْتَبُونَ لِلْقُدُوةِ وَاقِعًا فِي كُلِّ مَسَاحَةٍ يَعِيشُونَ فِيهَا ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ وَالتَّارِيخُ طَافِحٌ بِنَمَازِجِ الْقُدُوتِ فِي هَذَا الشَّأْنِ.

١٤ - التَّغْيِيرُ لَا يَأْتِي مِنْ خِلَالِ أَحَادِيثِ التَّنْظِيرِ وَالْمَوَاعِظِ الَّتِي يُلْقَىٰ بِهَا عَلَىٰ مَسَامِعِ النَّاسِ، بَلْ يَحْتَاجُ إِلَىٰ مَنْ يَشَارِكُ النَّاسَ، وَيَبْدَأُ رَحْلَةَ الْعَمَلِ مَعَهُمْ يَدًا بِيَدٍ ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴿٩٦﴾

١٥ - لَمْ يَحْدِثْ فِي سِيرَةِ عَظِيمٍ أَنْ صَارَ ثَمَّةُ فَاصِلٌ بَيْنَ حَدِيثِهِ وَعَمَلِهِ، بَلْ كُلُّ الَّذِينَ صَنَعُوا التَّارِيخَ وَكَتَبُوا مَلَاحِجَ فَجْرِهِ، كَانُوا فِي سَاحَةِ الْعَمَلِ يَشَارِكُونَ بَأَنْفُسِهِمْ فِي الْبِنَاءِ ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴿٩٦﴾

١٦ - من سمات الكبار أنهم لا يأخذون مقابلًا على جهودهم ومشاركتهم في البناء ﴿قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ اِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۖ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۖ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۖ﴾.

١٧ - القيادة فن! عرضوا عليه المال فاستعلى على ذلك العرض، وسألهم أن يبدؤوا رحلة التغيير والمشاركة في البناء معه يدًا بيد ﴿قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ اِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۖ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۖ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۖ﴾.

١٨ - هموم القادة ليست متوجهة إلى مال يثري به حسابه الشخصي، وإنما إلى رجال يشاركون في بناء أمتهم، ويشعرون بضرورة المساهمة في التغيير ﴿قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ اِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۖ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۖ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۖ﴾.



قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
 حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
 فَنُفِخَتْ لَهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
 الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا
 ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا
 أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾
 الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا
 ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا
 نُفِيعَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَرَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا
 ءَايَتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ
 جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ
 لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي
 وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا
 إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا
 يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾



التفسير

• ﴿قَالَ﴾ ذُو الْقَرْنَيْنِ: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ هذا البناء العظيم من فضل الله تعالى، وإعانته وتسديده ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ رَبِّي﴾ بخروج يأجوج ومأجوج ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ صار هذا البناء منهدماً مستوياً بالأرض ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ ﴿١٨﴾ ثابتاً لا يتخلف.

• ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ أي يأجوج ومأجوج ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم هدم السد ﴿يَمْوِجٌ فِي بَعْضٍ﴾ يختلطون ويضطربون لكثرتهم ﴿وُفِّخَ فِي الصُّورِ﴾ النفخة الثانية ﴿فَجَمَعْنَهُمْ جَمْعًا﴾ ﴿١٩﴾ في مواقف القيامة.

• ﴿وَعَرَضْنَا﴾ أبرزنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ ﴿٢٠﴾ بروزاً واضحاً.

• ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ كأن على أعينهم أغطية تمنعهم عن رؤية الحق ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ ﴿٢١﴾ لا يقدرون على سماع آيات الله تعالى وفهمها والاعتبار بها.

• ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ من الأنبياء والأولياء ﴿مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ شركاء لله تعالى يعبدونهم من دوني ﴿إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ ﴿٢٢﴾ مقراً ومنزلاً.

• ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ﴾ نخبركم ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ﴿٢٣﴾ بأخسر الناس أعمالاً.

• ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بطل وضاع كل ما عملوه ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ﴿٢٤﴾ وهم يعتقدون أنهم محسنون في فعلهم.



- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿وَلِقَاءِهِ﴾ يوم القيامة ﴿فَخِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ بطلت ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ ﴿١٠٥﴾ فلا اعتبار لها يوم القيامة ولا قدر.
- ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا﴾ بالله تعالى ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ ﴿١٠٦﴾ سخرية واستهزاء.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله تعالى ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ أعلى الجنان وأوسطها وأفضلها ﴿نُزُلًا﴾ ﴿١٠٧﴾ مُعَدَّةٌ لهم، ومهيأة لنزولهم.
- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ ﴿١٠٨﴾ لا يريدون أن يتحولوا عنها لنعيمها.
- ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ هذه الأبحر كلها ﴿مِدَادًا﴾ حبراً ﴿لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ﴾ كله ﴿قَبْلَ أَنْ نَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ وما نفذت كلمات الله تعالى الدالة على علمه وحكمته ﴿وَلَوْ جُمْنَا بِمِثْلِهِ﴾ بمثل البحر ﴿مَدَدًا﴾ ﴿١٠٩﴾ حبراً لنفذ كذلك قبل نفاد كلمات الله تعالى.
- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لا فرق ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ إلّا فيما يوحى إليّ من الله تعالى ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ﴾ لا شريك له ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ يوم القيامة ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ يقربه إلى الله تعالى ﴿وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾ لا يجعل مع الله تعالى شريكاً في عبادته.



١- ما أكثر حاجتنا إلى هذا الإخلاص والصدق الكبير الذي يفيض بمعاني الخضوع والتواضع في مشاريعنا ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾



وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٨﴾ ﴿١٨﴾ كل هذه الجهود والأعمال والمشاريع والإصلاح والتغيير ﴿١٨﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴿١٨﴾

٢ - كل نصر أو نجاح تحقق لك؛ فأصله وقاعدته توفيق من ربك تعالى ﴿١٨﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴿١٨﴾

٣ - الغرور والكبر أعظم موارد سوء التوفيق في حياة صاحبها ﴿١٨﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴿١٨﴾

٤ - ما أكثر ما وعظوا! وما أقل ما انتفعوا! ﴿١٨﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٨﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٨﴾

٥ - أخسر الناس أولئك الذين يصحبهم الضلال في كل خطوة، ويظنون أنهم على الصراط لم يتخلّفوا ﴿١٨﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّتُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٨﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٨﴾

٦ - أسوأ العقوبات أن تستمرى الباطل، وترى بأنك لم تبرح الحقائق في شيء ﴿١٨﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّتُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٨﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٨﴾

٧ - الاعتداد بالنفس بوابة هذه النهايات ﴿١٨﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّتُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٨﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٨﴾



٨ - اختر صديقاً ناصحاً، وادفع بكل ما تعتقد أنه الحق بين يديه، حتى لا تقع في أسوأ الأخطاء، ولا تجد معيناً في الطريق ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾.

٩ - هذا هو موعد النهاية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾.

١٠ - الإيمان والعمل الصالح هو الطريق إلى هذه الآمال ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾.

١١ - ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١٠٩) رسالة في الثناء على الله تعالى، وأنه موصوف بالكمال والجلال جلّ في علاه.

١٢ - الرسل لا تملك من دون الله تعالى شيئاً. حسبها البلاغ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا﴾ (١١٠).

١٣ - الفرق بين العمل الصالح والشرك، أن الأول: موردٌ بهيج لنهايات المجد والحياة، والثاني: مورد للظلام الذي لا ترى فيه النور ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا﴾ (١١٠).



٥	سورة يونس
٩٠	سورة هود
١٦٩	سورة يوسف
٢٦٥	سورة الرعد
٣٠٤	سورة إبراهيم
٣٤٨	سورة الحجر
٣٨٤	سورة النحل
٤٨٠	سورة الإسراء
٥٦٣	سورة الكهف
٦٣٩	• المحتويات

